



يوميات الجنرال غردون

خلال حصار الخرطوم

(١٠ سبتمبر إلى ١٤ ديسمبر ١٨٨٤م)

نقلها للعربية

فيصل محمد أحمد سليمان

45 كتاب الخرطوم الجديدة



فيصل محمد أحمد سليمان

حصل على بكالاريوس الآداب من جامعة الخرطوم - إنجليزي / اقتصاد عام 1963م.

حصل على الدبلوم العالي في الترجمة من جامعة الخرطوم.

عمل في مكتب النشر بوازارة التربية والتعليم محررا بمجلة الشباب والتربية.

استقال من وزارة التربية وعمل بعدد من وكالات الانباء المحلية في الخرطوم.

عمل في صحيفة سودان نيوز التي كانت تصدرها وزارة الاعلام باللغة الإنجليزية.

عمل كبيرا للمحررين بصحيفة اخبار الامارات التي كانت تصدر باللغة الإنجليزية بمؤسسة الإتحاد للصحافة والنشر في أبوظبي.

عمل ضابط نشر واعلام بشركة زادكو للبترول في أبوظبي.

عمل مترجماً وضابط للإعلام ببنك أبوظبي الوطني - أبوظبي.

ردمك: 7-502-1-99942-978 ISBN

Printech





السودان - الخرطوم - الرياض - شارع عبد الله الطيب - مربع (٢١) - منزل رقم (٣٠٣)
Email.khartoumbook@gmail.com



يـوميات الجنــرال غـردون خلال حصار الخرطوم

من ١٠ سبتمبر ١٨٨٤ إلى ١٤ ديسمبر ١٨٨٤م

نقلها إلى اللغة العربية

فيصل محمد أحمد سليمان


بسم الله الرحمن الرحيم


بسم الله الرحمن الرحيم
دفعاً لحركة الفكر والثقافة،
ورعاية للقيم السودانية،
واهتماماً بترسيخ المبادئ الوطنية،
تصدر هذه السلسلة
عن دار
هيئة الخرطوم للثقافة والنشر
ووزارة الثقافة والإعلام و السياحة
ولاية الخرطوم

يوميات الجنرال غردون
خلال حصار الخرطوم
من ١٠ سبتمبر ١٨٨٤ إلى ١٤ ديسمبر ١٨٨٤م

نقلها إلى اللغة العربية

فيصل محمد أحمد سليمان



يصدر عن هيئة الخرطوم للثقافة والنشر

المدير العام

ورئيس هيئة التحرير

عبد الماجد السر عثمان

مدير إدارة النشر الصحفي

أماني أبو الريش

المدير الفني

معتز الطيب حبيب الله

مشروع 1000 كتاب في الثقافة السودانية

الهيئة الاستشارية

الرئيس

أ.عبد الله حميدة

الأعضاء

أ.د. محمد غالب عبد الرحمن

د. علي صالح كرار

د. الصديق عمر الصديق

أ. عبد الله آدم خاطر

التصميم

أسماء الدرويش

تصميم الغلاف:

عبدالله محمد الطيب

فهرسة المكتبة الوطنية أثناء النشر – السودان

962.45 جورج جارس غردون

ج. ي

يوميات غردون خلال حصار الخرطوم 10 سبتمبر1884 – 14 ديسمبر 1884/جورج جارس غردون؛ ترجمة فيصل محمد أحمد سليمان – الخرطوم: ف.م.أ.سليمان،2018م

300 ص؛ 24سم

ردمك: 978-99942-1-502-7

- السودان – تاريخ – العصر الحديث - المهدية .
- فيصل محمد أحمد سليمان (مترجم)، 1945
- العنوان.

الناشر: 

السودان - الخرطوم - الرياض - شارع عبد الله الطيب - مربع (٢١) - منزل رقم (٣٠٣)

Email.khartoumbook@gmail.com

مقدمة الناشر

يأتي مشروع طباعة (المائة كتاب) الذي أطلقته هيئة الخرطوم للثقافة والنشر من ضمن الأهداف الثقافية الكبرى التي تضطلع بها ولاية الخرطوم بإعتبارها الولاية القومية الممثلة لوسطية السودان الجغرافية والإجتماعية والثقافية إلى جانب مكانتها السياسية والإدارية التي حازتها منذ أنْ صارت عاصمة للبلاد في الربع الأول من القرن التاسع عشر الميلادي.

هدفت الهيئة بإطلاق هذا المشروع الثقافي الرائد إلى إبراز دور الولاية في خدمة قضية الثقافة بسد جزء من الفراغ الذي تعاني منه المكتبة السودانية، عن طريق رفدها بعناوين جديدة من الكتب واعادة طباعة أمهات المؤلفات السودانية لإنعاش الذاكرة الثقافية الوطنية فضلاً عن رعاية وتشجيع المبدعين الشباب على نشر أعمالهم الثقافية المتميزة.

ولكي تطمئن الهيئة على جودة وجدوى ما تطبع من الكتب، فقد أوكلت مهمة اختيارها وقبولها وتقييمها لفريق استشاري مقتدر من المختصين في مجالات التأليف والطباعة والنشر، وهو الفريق الذي أطلقت عليه الهيئة اسم (اللجنة الاستشارية للنشر)، وقد استطاع هذا الفريق المؤهل أنْ ينجز في وقت قياسي اختيار وتقييم وإجازة نشر المائة الأولى من الكتب التي تمت طباعتها جميعاً في العام ٢٠١٦م.

أمَّا في العام ٢٠١٧م فقد فرغ الفريق الاستشاري من تجهيز المائة الثانية من الكتب توطئة لنشرها جميعاً خلال العام ٢٠١٨م.

إنَّ هيئة الخرطوم للثقافة والنشر إذ تتصدى لهذا المشروع الثقافي القومي الرائد، تتشرف بأنْ تكون هي المؤسسة الوطنية الأولى - منذ استقلال السودان- التي تتمكن من نشر هذا الكم المقدر من الكتب، يضاف إلى ذلك أنَّها أول جهة تتولى تقديم خدمات تشجيعية متميزة للمؤلفين.

.. وهكذا فإن الكتاب السوداني الذي ظل يعاني من عيوب الشروط المجحفة للناشرين إلى جانب ضعف الامكانيات الفنية والتحريرية والطباعية، قد وجد في الهيئة حاضنةً رؤوم تمكنه من الانتشار ومنافسة المطبوعات العربية والأجنبية.

وهيئة الخرطوم للثقافة والنشر إذ تتشرف بوضع هذا الجهد الثقافي بين يدي القارئ الكريم ، تتطلع إلى مزيدٍ من تجويد الأداء، وتسعى بكل إمكاناتها وخبراتها إلى إزالة كافة المعوقات التي تحول دون انتشار الكتاب السوداني، كما أنَّها لن تدخر وسعاً من أجل أنْ تدفع بمشروعها الثقافي هذا إلى أرحب الآفاق.

إهداء..

إلى ابنتي شذى والتي لولا دعمها ومتابعتها لما رأى هذا الجهد النور...

وإلى حفيدتي جيداء جريس محمد الفاتح آملاً أن يحفزها هذا العمل في المستقبل للاهتمام بتاريخ السودان..

تقديم

مع غردون في محبسه الأخير !

بقلم: طه النعمان

- صديقنا وزميلنا المترجم الصحافي القدير الأستاذ فيصل محمد أحمد، والذي عرف بيننا باهتمامه ودأبه للحصول على الكتب القديمة والنادرة؛ كان قد عثر خلال زيارة له إلى العاصمة البريطانية عام ١٩٨٥ على نسخة من الطبعة الأولى ليوميات غردون تحت الحصار، وظل يحتفظ بها على مدى أكثر من ثلاثين عاماً، حتى تفرغ أخيراً لنقله إلى العربية للمرة الأولى.. قطعاً لا بد أن كثيراً من كتاب التاريخ والباحثين والدارسين، سودانيين وعرباً وأجانب، قد اطلعوا على تلك اليوميات، وربما استفادوا منها في بحوثهم وكتاباتهم، لكن أياً من هؤلاء لم يفكر في ترجمتها إلى العربية بالرغم من أهميتها وفرادتها، كما فعل فيصل.. الذي يسجل له قصب السبق في هذا، لأنه سيرفد المكتبة السودانية والعربية بهذا السفر القديم والنادر، الذي ظل متوارياً عن أنظار قراء العربية لأكثر من مائة وثلاثين عاماً من الزمان.

- فهمت من فيصل أن الطبعة التي بين يديه يعود تاريخها إلى العام (١٨٨٥)، أي أنها صدرت بعد شهور معدودة من ذات السنة التي شهدت مقتل غردون، وأن من أشرف على طباعتها هو شقيق الجنرال (مستر هنري ويلسون غردون)، إثر تحول الجنرال إلى بطل قومي في بلاده فور مصرعه

بحراب الأنصار الذين اقتحموا عليه قصره في السادس والعشرين من يناير عام ١٨٨٥.. حينها طلب هنري غردون من الحكومة البريطانية مده بتلك اليوميات للقيام بطباعتها ونشرها.. اليوميات التي كتبها غردون وهو تحت الحصار، غطت الفترة الممتدة (من ١٩ سبتمبر ١٨٨٤ إلى ١٤ ديسمبر ١٨٨٤)، أي إلى قبل شهر ونصف الشهر تقريباً من مقتله.. الأمر الذي يضفي أهمية خاصة على تلك المذكرات اليومية التي عكف الجنرال على تسجيلها، برغم ظروف الحصار المادية والنفسية، وأكثر من ذلك إحكام التدبير لإرسالها لتستقر بمضابط الحكومة البريطانية، بالرغم من بطء المواصلات النهرية في معظمها وما يكتنفها من مهددات جراء الثورة المشتعلة في معظم أنحاء البلاد.

- المهم أن هنري قد حصل على الإذن، وأبلغ بواسطة المسؤولين في لندن بأن ذلك هو النص الكامل لتلك اليوميات، ما عدا (ست صفحات) تم حجبها بواسطة الرقابة الحكومية لتقديرات تتصل بالمصلحة العامة.. وصدر الكتاب بالفعل من جزئين، تضمن الجزء الأول خمسة فصول، بينما احتوى الجزء الثاني على الفصل السادس من اليوميات، علماً بأن كل فصل يحتوي يوميات الجنرال لعدة أيام، كان يجمعها ويرسلها في حزمة واحدة لتصل إلى القاهرة ومن ثم إلى لندن.

- قصة غردون ومصيره، تقودنا بالضرورة للحديث عن (الثورة المهدية) – أي الشق المقابل من الحكاية – وليست (الدولة المهدية)، التي لم يعشها أو يشارك في إدارتها وترتيب أوضاعها، لا الإمام المهدي ولا الجنرال غردون، فقد مرض المهدي ورحل بعد شهور قليلة من انتصار الثورة، كما هو معلوم.. تلك الثورة التي كان عنوان انتصارها الأبرز – خلافاً

لرغبة المهدي وفق الروايات المتواترة - هو اغتيال غردون وحز رأسه وعرضه على الإمام، الذي كان حسب تلك الروايات يأمل في أسر الجنرال وأخذه رهينة، لمقايضته بقائد الثورة المصرية المأسور أحمد عرابي، لكن يبدو أن ثلة من الأنصار لم تكن مطلعة على نية الإمام، قد اندفعت داخل القصر لحظة فتح الخرطوم وانهيار آخر خطوط الدفاع يوم ٢٦ يناير ١٨٨٥ وأعملت رماحها الطويلة في صدر الجنرال، الذي ترجح معظم آثاره المكتوبة وتفاصيل سيرته الذاتية، أنه لم يكن حريصاً على الحياة، تماماً كما هو حال الإمام الزاهد في الدار (أم بناياً قش) والذي كرس دعوات (راتبه) جميعها لطلب القرب إلى الله والالتحاق به وأن لا يجعل في قلبه ركوناً إلى الدنيا وزخرفها وفتنتها.. وتلك مفارقة - أو على الأدق مقاربة - لا بد أن تسترعي انتباه كل من يدقق في أدبيات وآثار الرجلين، برغم اختلاف الديانة ومناهج التدين.

- هالة غردون وصيته يمكن الوقوف عليهما من ردود الفعل الشعبية الواسعة والحزينة والمنتحبة التي عمت المملكة المتحدة والجزر البريطانية فور ذيوع مقتله بحراب الأنصار في الخرطوم، ومن تكريس الصحافة البريطانية حينها جل صفحاتها لمتابعة الحدث الفاجع بالأخبار والتعليقات والتحليلات السياسية.. ذلك الحدث الذي شغل، بل حاصر، كذلك دوائر الحكم في لندن بجميع مستوياتها، من الحكومة إلى مجلس العموم إلى قصر بكنجهام.. فشارلس جورج غردون هو ملك العسكرية الفيكتورية المتوج.. وبالمقابل فإن الانتصار عليه بكل شهرته تلك، على مستوى الإمبراطورية التي لا تغرب عليها الشمس، أضفى على الثورة المهدية وهجاً رومانسياً، قلما شهدت حركة وطنية أو ثورة مثيلاً له في تلك الأوقات.

- ردود الفعل الشعبية والرسمية والصحفية الواسعة والملتاعة لفقد الجنرال العظيم، تتأكد أيضاً عندما نطالع بعض الكتب الصادرة بعد سنوات قليلة من مقتله، وما حوته من تعبير عن مشاعر الحزن الممزوج بالتبجيل الذي أحاط بسيرة الرجل، وغدا جزءاً من رصيد الرجل التاريخي، برغم الجدل والشكوك التي اكتنفت تلك السيرة من قبل خصومه أو منافسيه الكارهين..من تلك الكتب ما أصدرته شقيقته (أوغستا)، الذي حوى رسائل الجنرال الموجهة إليها، في أوقات مختلفة من أطراف الإمبراطورية البعيدة، أثناء خدمته بالجيش البريطاني، فقد كانت أوغستا أحب الناس وأقربهم إلى نفسه الميالة إلى العزلة والتفرد.. ويلاحظ المتصفح لتلك الرسائل أنه قد غلب عليها الطابع الديني الذي طغى على حياة غردون ومشاعره، كما سبقت الإشارة، بحسب أوثق المصادر وكتاباته ومتعلقاته الشخصية وفي مقدمتها (الكتاب المقدس) الذي صوره ناحتو تمثاله وهو ممسكاً به، تعبيراً عن تدينه العميق.. لكن ما استوقفني حقا في سفر الرسائل ذاك الصادر في العام (١٨٨٨) أي بعد ثلاث سنوات على مقتل غردون، رسالتا عزاء ومواساة إلى أوغستا، إحداهما من الملكة فيكتوريا والأخرى من خديوي مصر توفيق.

- الملكة التي طبع اسمها زمان حكمها وعز الإمبراطورية، حتى تعارف عليه المؤرخون بالعصر (الفيكتوري)، كتبت لأوغستا تقول: كيف لي أن أكتب إليك، وكيف أعبر عما يعتريني من مشاعر! عندما أفكر في أخيك العزيز والبطل والنبيل، الذي خدم وطنه ومَلكته بإخلاص وتفان لدرجة التضحية بالروح من أجل إصلاح العالم، دون أن يجد من ينقذه، وأن ما تلقاه من وعود بالدعم والمساندة لم يتم الوفاء بها، تلك الوعود

التي مارستُ أنا الضغط باستمرار وثبات، على أصحابها الذين طلبوا منه الذهاب، من أجل تنفيذها، باتت تشكل مصدر حزن لي يفوق قدرة الكلمات على التعبير!

- هذا المقتطف القصير الذي ترجمناه عن كتاب الرسائل لأوغستا، يلخص في الحقيقة كل قصة غردون في قصر الحُكم السوداني، مثلما يعطي لمحة مركزة عن كيف كانت تنظر بريطانيا، في أعلى مرجعياتها السيادية، ممثلة بالذات الملكية الفيكتورية، إلى غردون و دوره وخدماته الجليلة وتضحياته في سبيل الإمبراطورية.. تلك الخدمات الممتدة في حروبات وأصقاع الإمبراطورية التي لا تغرب عليها الشمس.. من القرم إلى البلقان إلى الصين في أقصى آسيا، حتى لقب هناك بغردون (الصيني).. ثم إلى الشرق الأوسط ومصر وفلسطين، وإلى الشرق الأفريقي في مصوع وإثيوبيا.. والى أقصى جنوب القارة عند الكيب تاون وإلى أدغال أفريقيا في الاستوائية وبحر الغزال ودارفور السودانية حين شن حربا لاهوادة فيها على تجارة الرقيق انتهت الى الفشل، الذي اعترف به صراحة في بعض رسائله وكتاباته.. وحيثما كان لم يتوان الجنرال أبدا في مراسلة اخته الحبيبة أوغستا لاطلاعها على أخباره وأحواله وإنجازاته وتطلعه للخلاص من الدنيا وأعبائها إلى حيث الراحة الأبدية..أما الخديوي توفيق فقد عبر هو الآخر لأوغستا عن بالغ حزنه لفقد شقيقها البطل، مثمنا وممتنا لكل ما قدمه غردون في خدمة العرش الخديوي وخدمة وطنه والإنسانية جمعاء، أو كما قال.

- في أواخر العام ١٨٧٩ غادر غردون السودان، و لم يكن في خاطره العودة مجدداً لا لمصر ولا السودان، فقد بلغ به السأم والرهق مداه، كما عبر عن

ذلك مراراً، خصوصاً لشخص أعزب مثله.. فالجنرال كما هو معلوم لم يتخذ لنفسه زوجة تشاركه الحياة وهمومها أبدا، وربما هذا ما جعله من ناحية طليقا وجواب آفاق، دون عيال يثقلون كاهله، و جر عليه من ناحية أخرى أقاويل واتهامات لم تثبت صحتها يقيناً حول مسلكه الشخصي، برغم استغراقه الملحوظ والمشهور في الزهد والتدين.

- وبالرغم من عدم رغبته المعلنة بالعمل في كل من مصر والسودان.. وبينما كان في تطوافه المتواصل حول العالم، من الهند إلى الصين، ومن موريشيص إلى فلسطين خلال السنوات الثلاث بين ١٨٨٠ و١٨٨٣.. وقعت سلسلة من الأحداث قادت غردون إلى الخرطوم في مهمته الأخيرة والمصيرية.. من تلك الأحداث التطورات التي شهدتها مصر بسبب ديون قناة السويس، واضطرار بريطانيا للتدخل من أجل الدفاع عن مصالحها ومصالح وحقوق الدائنين الأوربيين، وهو تدخل كان بمثابة انزلاق قسري، خطوة إثر أخرى، تحول مع الوقت إلى التزام ومسؤولية، لطالما حاولت لندن تفاديها دون جدوى.. أولاً عبر إشراك فرنسا في مسؤولية السيطرة على الاقتصاد والخزانة المصرية، و لم تمض سوى سنوات قليلة حتى وجدت بريطانيا نفسها، خلافا لتقديراتها الذاتية في حالة احتلال فعلي للقطر المصري وكل شؤونه الداخلية والخارجية.

- بمرور عامين من ذلك الوقت، أي مع اقتراب ثمانينيات القرن التاسع عشر، انهارت عملياً ماكينة الإدارة المصرية، كما انفرط عقد جيشها، في وقت كان السودان يشهد فيه اشتعال الثورة المهدية، الأمر الذي حفز لندن مرة أخرى، على خلاف رغبتها أيضا، أن تطلب من الخديوي سحب جيشه من السودان، وإرسال غردون إلى الخرطوم مدداً لتنفيذ (سياسة

الإخلاء).. المهم أنه بعد تردد وأخذ ورد في جانبي الحكومتين البريطانية والمصرية ومن قبل غردون نفسه، الذي كان يفضل الالتحاق بخدمة ملك بلجيكا، المالك الشخصي للكونغو في ذلك الوقت، وبعد ضغوط مهولة من قبل الرأي العام والصحافة البريطانية اضطرت الحكومة البريطانية، خصوصاً بعد ذلك اللقاء الذي أجرته صحيفة (بول مول غازيت) لأخذ رأيه حول الثورة السودانية، وبرغم محاولته الاعتذار عن الحديث، لكنه تحت إلحاح رئيس التحرير (دبليو تي ستيد) وافق على الحوار.. وأبلغه أنه استجاب لدعوة ملك بلجيكا ليوبولد للذهاب إلى الكونغو، وأنه ليس لديه الوقت ولا الرغبة في التفكير للذهاب إلى السودان.. لكن ستيد لم يكن من النوع الذي يمكن إقناعه بسهولة، إذ أبلغ غردون أن حكومة غلادستون تلح على القاهرة بإخلاء السودان بالكامل.. كان الخبر صادماً لغردون، ليعلن لستيد محتجا، إن ذلك الإخلاء غير ممكن من الناحية العملية.. وإن عليك الاختيار بين اثنين: إما الاستسلام الكامل للمهدي أو الدفاع عن الخرطوم في وجه كل المخاطر!

- وفي اليوم التالي نشرت البول مول حديث غردون بالكامل على صفحة ونصف صفحة وكتبت افتتاحيتها تحت عنوان (غردون الصيني إلى السودان).. كانت تلك هي الدوامة أو (الدايلما) كما يقول الانجليز التي وجد غردون نفسه متورطاً فيها، بعد أن اقتنع تحت الضغط بضرورة ذهابه إلى السودان، وفي نفسه شيئاً بل أشياء من حتى تجاه (سياسة الإخلاء).. كان الرجل لأسباب دينية معلنة، أو لأخرى نفسية غير مفهومة يسعى إلى حتفه بظلفه، أو ما كان يدعوه (استشهادا) أو مايسميه الانجليز (مارتيردوم)

- نعود، في الختام، لنؤكد على قيمة الخدمة التي قدمها الاستاذ فيصل لقراء العربية بترجمته لهذه الوثيقة التاريخية المهمة، وجعلها كذلك في متناول الباحثين و الطلاب وكل المهتمين بعلم التاريخ، فهي خدمة تستحق الشكر والثناء.

تمهيد:

لست مؤرخاً ولكنني قارئ نهِم لكتب التاريخ والسير، يوميات غردون التي نحن بصددها تم نشرها عام ١٨٨٥م في لندن أي بعد أقل من عام من مقتله، في رأيي أنها رواية شاهد عيان لتلك الأحداث ،بل أحد الذين شاركو فيها وقام بسردها بقلمه بوجهة نظره. هذه اليوميات كانت بحوزتي منذ فترة طويلة وقرأتها مرات كثيرة وفي كل مرة أنوي ترجمتها، ولكن أتردد وأقول لا بد من أن أحد المهتمين بتاريخ السودان سيقوم بنقلها إلى اللغة العربية.

وبعد مرور سنوات طويلة، وعندما لم أجد لها ترجمة في المكتبات توكلت وقمت بهذا العمل الذى أرجو أن أكون قد وفقت فيه ليكون مرجعاً للباحثين من الشباب عن تاريخ السودان.

وصل الجنرال غردون إلى الخرطوم في ١٨ فبراير ١٨٨٤م مكلفاً من الخديوي بإخلاء الإقليم وسحب القوات والموظفين المدنيين، ومن يرغب من السكان في المغادرة إلى مصر.

حسب ما وصلنا من يومياته فقد بدأ الكتابة في ١٠ سبتمبر ١٨٨٤م، وآخر ما كتبه وفقاً لما وصلنا كان يوم ١٤ ديسمبر حيث ختمها بقوله: (إذا لم تصل الحملة خلال ١٠ أيام و أنا لا أطلب أكثر من ٢٠٠ رجل فإن المدينة قد تسقط).

كتب الجنرال غردون الأحداث يومياً بالتفصيل بل في بعض الأحيان يذكر الساعة التي وقعت فيها الواقعة وبالتفصيل، وكمثال حادثة الديك الرومي الذي كان في حديقة القصر مع إناثه والحمار الذي فجر اللغم، كثيراً ما يستشهد غردون بالإنجيل مما يشير إلى التدين الذي عرف به، وعند تعرضه لسياسة حكومة جلالتها ووزرائها كثيراً ما لجأ إلى النقد بسخرية وتهكم.

في الجزء الثاني يتناول غردون الخطط الحربية التي ينبغي اتباعها عند وصول حملة الإنقاذ، وهو يتوقع وصولها خلال شهرين، أمَّا رؤيته السياسية فتعتمد على التوصية بأن تترك البلاد للأتراك أو تعيين الزبير باشا حاكماً عاماً في الخرطوم، بينما يذهب هو إلى المديرية الاستوائية حيث سيتولي حمايتها من الزبير حسب ما يعتقد أنَّه بذلك سيحمي البلاد من تجارة الرقيق، كما أنه يرفض التلميح بأن الحملة ستأتي إلى إنقاذه بل ستأتي لسحب الحاميات.

يناقش في بداية الجزء الثالث استبداله فوراً لعبد القادر كحاكم عام، ويقول: بإنه لم يستغني عنه فلم يدفعه شيء لمغادرة السودان إلى أن يتم سحب كل الحاميات - بل إن الحل الأمثل هو تسليم السودان للأتراك، ويلحق هذا الاقتراح بوضع برنامج تستطيع بموجبه قوات جلالتها مغادرة السودان بشرف قبل يناير ١٨٨٥.

في الجزء الرابع يروي معاناته مع سكان المدينة الذين يطلبون رأيه في كل صغيرة وكبيرة وينظرون إليه بأنه القاضي والإداري والقائدالعام.

يبدأ الجزء الخامس بوصول المهدي إلى أم درمان، ويسرد الإعتقالات التي اضطر إليها نتيجة الخيانة كما يرى.،كذلك يتحكم على مجمل سياسة حكومة جلالتها.

بعد أسبوع من بداية كتابته للجزء السادس و الأخير يتوقع غردون سقوط مدينة الخرطوم، ويقول: بأن استعداده بكميات من البسكويت المسروق سيجعله قادراً على الصمود لمدة شهر آخر – وهذا ما لم يحدث.

لا ندري ماذا حدث خلال الأسبوعين الذين أمضاهما بعد هذا، وهل كتب يومياته عنها أم لا ؟ فهي لم تصلنا إن وجدت!!

المترجم/ فيصل محمد أحمد

وصف اليوميات

كُتبت يوميات الجنرال غردون في ستة أجزاء يتناول الجزء الأول الأحداث من ١٠ سبتمبر إلى ٢٣ سبتمبر و الجزء الثاني يتحدث عن الأحداث من ٢٣ سبتمبر إلى ٣٠ سبتمبر، أما الجزء الثالث فيتناول الأحداث من الأول من أكتوبر إلى الثاني عشر منه.

الجزء الرابع يصف الأحداث من ١٢ إلى ٢٠ أكتوبر،والخامس يصف الأحداث من ٢٠ أكتوبر إلى ٥ نوفمبر، والجزء السادس يتناول الأحداث من ٥ نوفمبر إلى ١٤ ديسمبر.

تم توجيه الأجزاء الأول والثاني والثالث والرابع إلى المقدم ستيورات أو رئيس الأركان. أما الجزئين الخامس والسادس فقد أرسلا إلى رئيس أركان قوة حملة إنقاذ الحامية.

أرسلت اليوميات الأولى والثانية في ٣٠ سبتمبر بالباخرة إلى شندي عبر بربر.

أرسلت اليوميات الثالثة في ١٢ أكتوبر بالباخرة التوفيقية إلى المتمة، أرسلت الرابعة إلى شندي بالباخرة في ٢١ أكتوبر، أرسلت اليوميات الخامسة بالباخرة بوردين إلى المتمة في ٥ نوفمبر، أرسلت اليوميات السادسة بالباخرة بوردين في ١٥ ديسمبر.

كتبت نفس الملاحظات في كل جزء وفي بعض الحالات لتبين أكثر من ثلاث مرات في صفحة خارج اليوميات وكان يجب تهذيبها قبل نشرها.

قام الضابط قائد بواخر الجنرال غردون بتسليم اليوميات إلى السير شارلس ويلسون في المتمة وذلك يوم ٢٢ يناير.

في نظري أرتأت الحكومة أن اليوميات وثائق رسمية أرسلتها إليّ مع الإشارة إلى أن (يقدر اهتمام حكومة جلالتها بالأمر، فهي تريد النشر الكامل لليوميات، ولكنهم لا يودون التدخل في ما تراه مناسباً).

وبما أن أمر النشر قد آل إليّ فقد رتبت مع السادة كينان بول وشركاه، لإصدار اليوميات كاملة ما عدا ست أو سبع صفحات تم حذفها والتي لا تحتوي في نظري على أمور تهم المصلحة العامة.

أرجو أن تبذل مجهودات كبيرة للحصول على يوميات العقيد ستيورات ويوميات الجنرال غردون من ١٥ ديسمبر إلى يوم سقوط الخرطوم، وكذلك كل اليوميات التي وعد بها الدكتور صحيفة التايمز.

هنري ويلسون غردون

الجزء الأول

١٠ سبتمبر

غادر خلال الليل كل من العقيد سيتورات وباور وهيربين إلى دنقلا عن طريق بربر. جاء جاسوس من الجبهة الجنوبية واخبرنا آخر جاء من الحلفاية بأن العرب لن يهاجموا بل سيواصلون الحصار، بعثت مع جاسوس سيذهب إلى شندي مجموعتين من البرقيات. أرسلت بالأمس رسولاً ليسلم ردي على خطاب المهدي، وبالرغم من حمله لراية بيضاء إلا أنهم اطلقوا النيران عليه وحاولوا الأمساك به، لقد كانوا يستخدمون الراية البيضاء وكانوا يعرفون أننا نحترمها ونسمح لرجالهم الذين يحملونها بالعودة إليهم، ولكنهم في المقابل كانوا يقيدون بالسلاسل أي رجل نرسله إليهم.

من المدهش! أن سكان المدينة الذين يملكون كل السبل لمغادرتها يتشبثون بالبقاء بها، وأن المئات يتدافعون للمدينة مع أنه ليس من المخفي بأن لا مال ولا طعام لدينا،[١] هذا يجعلني أشعر على نحو ما بالثقة في المستقبل، فمن النادر أن يحدث مثل هذا الدافع أثراً لدى كل فرد من حشد متفكك بدون أن يكون هناك سبب ما لا يعرفونه، ولكنهم مدفوعون بنوع من الغريزة حقيقة، لا أعتقد أن شخصاً يمكنه إنزال عقوبة أشد على قاطني الخرطوم أكثر من إجبارهم على الذهاب إلى العرب.

أبلغت الحلفاية أن الفكي مصطفى الذي يقود العرب في الضفة الغربية للنيل

الأبيض يرغب في الإنضمام إلى الحكومة. تم إخباره بأننا مسرورون لذلك ولكن نرغب في أن يظل هادئاً وأن لا يلعب دوراً نشطاً إلى أن يرى كيف تسير الأمور، إذا نجحنا يمكنه أن يفعل وإذا فشلنا لن يكون في موضع الريبة، ولكن نطلب منه أن يقوم بإرسال جواسيسنا إلى الشمال ويمكنه فعل ذلك بدون مخاطر[٢] ونفس النصح أسديناه لأهالي شندي الذين يرغبون في الخروج ومهاجمة بربر.

الفارون من توتي [٣] يرغبون في العودة وقد سمح لهم بذلك.

نقبت فتائل الإشعال المستخدمة في الألغام واجبرنا على العودة لاستخدام أنابيب البارود، وتوحيد الألغام في مجموعات كل مجموعة تتكون من عشرة رصت صفوف فوق صفوف أخرى من الأسلاك الشائكة حول خطوط القتال، استولى العرب على حصان الجنرال غردون في معركة العيلفون الخاسرة، وجرح حصان قائد الأركان الآخر في رأسه ولكنه تعافى الآن.

لا يزال المهدي في الرهد[٤]، وتم إرسال الرد على خطابه مفتوحاً حتى يتمكن الزعماء العرب من قراءة محتوياته، بالنسبة للخطابات المكتوبة إلى المهدي والزعماء العرب تعليقاً على ارتداد الأوروبيين فهي بلا شك صعبة، ولكن ليس من السهل على الأوروبيين إنكار إيمانهم خوفاً من القتل، لم يكن الأمر هكذا في سالف الأيام، ويجب أن لا ينظر إليه كأنه خلع معطف وارتداء آخر.

إذا كانت العقيدة المسيحية أسطورة فالينبذها الرجال، ولكن من الشائن والمخزي فعل ذلك لمجرد إنقاذ المرء لحياته، إذا كان يعتقد بأنها العقيدة الحقيقية. ما الذي يمكن أن يكون أشد وقعاً من هذه الكلمات (من ينكرني

في الأرض، سانكره في السماء) أعتبر الشهداء السابقين الرجال الذين حاولوا منعهم من المجاهرة لعقيدتهم أعداءا،يالهم من رجال اولئك الذين عاصروا عهدي الملكتين ماري واليزابث، وحينذاك كان الأمر أبسط من هذا لأن القضية الأساسية كانت حول(القداس) بينما هنا فإن القضية هي نكران مسيحنا وآلامه. لعله من الأفضل حذف هذا الجزء إذا تم نشر هذه اليوميات، لأنه لا يحق لرجل أن يحكم على آخر. ومع ذلك قد يكون من الأفضل لنا سياسياً وأخلاقياً أن لا تكون لنا علاقة بالأوروبيين المرتدين في معسكر العرب، لا ينجح الغدر أبداً، وكيفما تنتهي الأمور فمن الأفضل أن نفشل وأيدينا نظيفة بدلاً من أن تكون لنا صلة بأفعال مريبة ورجالٍ مشكوكٍ فيهم، ربما من الأفضل لنا أن نسقط بشرف بدلاً من الانتصار بعدم شرف، يتفق علماء المدينة مع هذا الرأي ولن تكون لهم علاقة باقتراحات الخيانة.

لا شك أن خطاباتنا للعرب ستجعل زعماءهم يحاولون التأثير على الأوروبين الذين معهم لكي يلعبوا دوراً نشطاً ضدنا، وذلك بالقول لهم :(لقد نبذتم) ولكن العرب لن يثقوا فيهم فعلياً، لذا سيفعلون القليل ضدنا.

قمنا اليوم بإخلاء دوري للسجن فسمحنا بخروج خمسين سجيناً وسنبعث إلى العرب بتسعة منهم، إذ ليس من الحكمة ابقاؤهم في المدينة. فجر حمار كان يرعى بهدوء قرب الحصن الشمالي أحد الألغام هناك (أداة تقطير كيميائي حديدية من عهد محمد علي وكانت تستخدم في تحويل الذهب وكان بها حوالي عشرة أرطال من البارود) مضى الحمار متفاجئاً وغاضباً ولكن بدون أصابة. هذه الأدوات الكيميائية تشبه هذا الشكل (ص٧) ومثبته بسيور من الحديد، من المدهش وبعد أمطار كثيرة وثلاثة أشهر من التعرض للعوامل الجوية أن يحتفظ صندوق الاشتعال بفعاليته!.

كانت المدرسة جديرة بالاهتمام إلى حد بعيد، فالعلماء ينالون حصة تموينية معينة والمدرسة مكتملة دائماً أي مائتا تلميذ – لكل طفل لوح من الخشب يكتب عليه دروسه، عندما يقوم شخص بزيارة من المعتاد أن ينادي على كل طفل ليقرأ درسه. فيفعل ذلك بحركة متمايلة لجسمه وبطريقة غنائية كما يفعل اليهود عند حائط المبكى في القدس وفي معابدهم. من هذا يمكننا أن نخمن بأن هذه هي الطريقة القديمة للعبادة لأن الدروس كانت دائماً من القرآن. يندفع التلميذ للإمام كحمامة سوداء صغيرة وبريئة لا يزيد طولها عن قدمين ليتلو العشرة أحرف الأولى من الأبجدية وهذا كل ما يعرفه.

أكملنا الإحصاء (بموجب يوميات العقيد ستيورات)° وظهر أن لدينا ٣٤٠٠٠ شخص في المدينة.

١١ سبتمبر

غادرتْ إلى بربر [٦] في الليلة الماضية بواخر ستيورات والتي تأخرت في الحلفاية [٧] نسبة لمشكلة في الآلات، ذكر جاسوس بأن إحدى البواخر التي تم الاستيلاء عليها في بربر قد تم تعطليها.

عندما حضر بالأمس كوسي[٨] إلى خطوط القتال جعله الضابط حسن بك يزحف على ركبتيه ليمر عبر الخطوط مشيراً له بأن الألغام منتشرة بكثافة على الخطوط ، سأل كوسي ماذا سيفعل الشخص عند انخفاض النيل؟ وأخبر بأن هذه الألغام الجديدة ستنزل إلى الأسفل عندما ينخفض النيل، أدخله حسن كوسي في كوخ من القش وسأله عن أماكن تواجد المهدي. قال: أولاً إنه في الدويم[٩]،وعندما ضغط عليه قال: بإن المهدي في كردفان و لم يتحرك منها وقال: بإن لدى المهدي كتيبتين وقد فقد كثيراً في قتال قبائل النوبة و لم يتبقى لديه الكثير من الذخيرة، وأن مع ود النجومي ٢٠٠ من النظاميين و ١٠ مدافع جبلية و ٢ مدفع كروب، ولكن لديه فقط ٥ صناديق ذخيرة مدفع جبلي و ٣ صناديق ذخيرة كروب و ٥ صناديق ذخيرة رمنجتون (استولى العرب عند هزيمتنا في العيلفون على ٧٥٠٠٠ طلقة مما سيساعدهم) أراد ود النجومي الذهاب إلى الجريف حيث هزم أبو قرجة، ولكن رفض أبو قرجة. بدأ كوسي تعيساً جداً. كان هناك ثلاثة عرب وإغريقي خارج الخطوط في انتظار كوسي. حالما غادر كوسي إلى معسكر العرب حضر اثنان من الدراويش يحملون خطاب المهدي (بموجب يوميات الكولونيل ستيورات)

وزياً للدراويش من المهدي إليّ. سُلموا الخطابات التي استلمتها من القاهرة معنونة إلى سلاطين، وكذلك ردي على العرب رشمة الحصان التي فقدها أبو قرجة، فضحكوا وعادوا إلى معسكر العرب. أرسلت مع عبد خطاباً رداً على المهدي (بموجب يوميات الكولونيل ستيورات) ولكنهم أطلقوا النار عليه. غادرت هذا الصباح الباخرتان بوردين وتل عوين إلى سنار لجلب الذرة[١٠] كتبت خطاباً إلى الشيخ العبيد[١١] (مقترحاً) يجب علينا – كلا الطرفين – أن نظل هادئين حيث أننا نحيل البلد إلى صحراء.

(ملعون الرجل الذي يتوكل على الإنسان ويجعل البشر ذراعه وعن الرب يحيد قلبه (ارميا ١٧ – ٥)، ولذلك ملعون من الرب ذلك الذي يأمل بأن أي تدابير للقوات أو مساعده خارجية ستنقذه من الوضع الذي نحن فيه (هكذا قال الرب) مبارك الرجل الذي يتوكل على الرب وكان الرب متوكله (أرميا ١٧ – ٧) لذلك مبارك هو من الرب ذلك الذي يضع كل تدابيره دون الاعتماد على مثل هذه التدابير أو أي مساعدة خارجية ولكن يثق في الرب)[١٢]. كيف من المستحيل على رجل وحده أن يتقبل هذه الأراء وبأي قلب يستطيع أن يضع هذه الترتيبات إذا لم يثق في نجاحها غريبة هذه الآيات حزقيل إصحاح(٢٩، ١٠ – ١٤)،[١٣] فيما يتعلق بمصر بأن تكون مقفره لأربعين سنة من مجدول إلى أسوان وإلى حدود أثيوبيا، فمن المؤكد أن المعني هو السودان صحراء.

جاء درويش حاملاً خطاباً من عبدالقادر وهو شيخ من النيل الأبيض، مرفق الخطاب والرد كما أحضر خطاباً من الرسل الذين أحضروا خطاب المهدي بتاريخ ٩ سبتمبر (بموجب يوميات سيتورات)، وقالوا: إنهم لم يتلقوا ردي

يذكر أن ردي أرسل مع العبد الذي أطلقوا النيران عليه كما أحضر هذا الرجل خطاباً من يوناني كلامتينو، يتوسل فيه بأن يأتي إلينا ليطلعني على أخبار مهمة لكل أوروبا مرفق خطابه وردي.

يلاحظ أن كوسي أضاف أنه ذاهب إلى بربر اليوم لذا قد يقابل ستيورات وكانا يفترض أن يسافرا معاً إذ كل منهما قد علم بسفر الآخر.

جاء جندي كان قد قبض عليه في الأبيض، وأبلغنا أن رفاقه سيأتون في مجموعة إذا سمحنا لهم بالمجيئ ليلاً. نفى أبو قرجة أن يكون رشمة الحصان التي أرسلتها إليه ملكه.

أعزو هزيمتنا في الديم أي رئاسة الشيخ العبيد إلى شيئين.

ذهب عدد كبير من الباعة الجائلين لينهبوا وبذلك انهار المربع.

قبض محمد علي باشا صبياً عمره ١٢ أو ١٤ عاماً وتحدث هذا الصبي بشجاعة وقال: بإنه يؤمن بأن محمد أحمد هو المهدي وأننا كلاب تم إعدامه رمياً بالرصاص، قبل أن أسمع بهزيمتنا سمعت هذه القصة وخطر ببالي أن (لن يمر هذا بدون انتقام) هناك اعتقاد قديم لدى المسيحيين السابقين بأن كل حادثة تقع في الأرض يسببها فعل ما حدث في السماء، الفعل في السماء هو السبب في الحادثة في الأرض.بموجب سفر الرؤيا، عند فض الأختام صدحت القيثارة، كل الأحداث التي تمارس في السماء تتبعها أحداث في الأرض، إذا كانت هذه هي الحالة فإن جهودنا لتحويل الأشياءعن مسارهالا طائل من ورائها.

تسكب القوارير على الأرض ومن ثم تحدث الحوادث، تبدو بالنسبة لي هذه الحوادث صغيرة مهما كانت، وأن الهدف الأكبر من حياتنا هو كيف

نتحمل هذه الحوادث كأفراد. ملعونون نحن إذا توكلنا على الإنسان، هكذا يقول الرب، ومباركون إذا توكلنا عليه.

لا اعتقد بأن هناك وعوداً بالاستجابة لصلاة أقيمت من أجل أشياء دنيوية، إن الوعود هي لسماع الصلاة ومنح القوة لتحمل ما قد تكون عليه مشيئة الرب باطمئنان قارورة تسكب على الأرض فتحدث الحوادث، شخص غاضب من الحكومة البريطانية بسبب هذه الحوادث ،ولكن إذا كنا منطقيين، يجب أن نكون غاضبين من ساكب القارورة وأن نتضاءل في حياتنا لأن الرب هو من يسكب القارورة.

انفجر عند الظهر لغم آخر في توتي وكانت الضحية حمار آخر، ولكنه لم ينجو كزميله في القلعة الشمالية، فقط فقدت اجزائه الخلفية وقتل.

لا يسعنا إلا أنْ نعتقد بأن شيئاً مروعاً قد حدث في أوروبا ومعلوم للعرب بطريقة غير واضحة، لأنهم من الواضح ينظرون إلى اللعبة وكأنها لعبتهم من دون قتال ولا يظهرون أي إشارة ، قال أبو قرجة لود النجومي (في اعتراضه على رغبة ود النجومي في النزول إلى النهر)١١ إن حصونه أفضل من أي حصن في القاهرة ولكن جاء الجنود مثل العفاريت.[١٤] هكذا اخبرنا الدرويش الذي حضر اليوم.

قررنا هذا المساء أن نبعث بخطاب إلى العرب نخبرهم بأننا بالرغم من عدم سماحنا لأي أوروبي بدخول المكان إلا إننا سنسمح بمقابلة أي أوروبي يرغبون في إرساله، وذلك عند راية ستوضع أمام خطوط القتال ومعها القنصل اليوناني والطبيب اليوناني.

١٢ سبتمبر

من المحبط للهمة كثيراً الوضع الذي أنا فيه، إذا لم يكن مناسباً لي أن أفكر بأنني عندما أغادر سأتمكن من القول:(لا يمكن لإنسان أن يرفع يده ولا رجله في كل أرض السودان [١٥] بدوني (لتكوين ٤١ - ٤٤)[١٦] والآن لا نستطيع تكييف وجودنا أكثر من ٢٤ ساعة كل الناس ضدنا ويالها من سلطة لديهم، لا يحتاجون لأن يقاتلوا ولكن فقط يرفضون بيع الحبوب لنا. المعدة تحكم العالم والمعدة التي هي (عضو محتقر) قد سببت بؤسنا منذ البداية. من المدهش أن القناة الهضمية للإنسان تحكم العالم في الأمور الصغيرة والكبيرة).

جاء أحد أفراد أسرة السيد محمد عثمان من شندي وأبلغنا أن عثمان دقنة كتب إلى بربر يخبرهم بوصول الإنجليز إلى سواكن وشراؤهم للجمال وتقدمهم . الزعيم العربي في بربر جمع معاونيه وأخبرهم بذلك وبتقدم القوات (بقيادة الإنجليز) من الدبة وأوصاهم بتجميع رجالهم. السفينتان المستولى عليهما في بربر راسيتان في ناحيتين متقابلتين في النهر، أرسلت رسالة إلى العرب اليوم قائلاً : بأنني سأسمح للقنصل الإغريقي بالخروج ومقابلة الإغريقي الذي كتب إليّ. لم يطلق العرب النيران هذه المرة على راية الهدنة.

عرضه للعرب في الناحية الجنوبية ولكنها بعيدة جداً. قال الرجل الذي جاء من شندي بأن كل الضفة الشرقية للنيل هادئة، أرسلنا حرساً للقبض على كوسي الذي كان في طريقه إلى بربر.

من المؤكد أنه مثل غريب، وهو كيف أن الرجال يستخفون بالأديان وأن

تلاحظ الردة المخيفة عند المسلمين والمسيحيين معاً عندما تهدد حياتهم أو أموالهم، من النادر أن تجد عائلة واحدة من بين العائلات الكبيرة في السودان والتي من الممكن أن ترجع نسبها إلى خمسمئة عام لم تتصل بمحمد أحمد كمهدي لإنقاذ ممتلكاتهم بالرغم من أنهم يسخرون على الفكرة من بعد ذلك. أنا استخدم هذه الحجة معهم بقولي (أنتم تطلبون مني أن أصبح مسلماً لأنقذ حياتي وأنتم تعترفون بمحمد أحمد كمهدي كي تنقذوا حياتكم، وإذا اتبعنا هذا المبدأ سنتبنى كل دين يهدد أنصاره وجودنا. أنتم تعلمون عندما تكونون في أمان بأن محمد أحمد ليس بالمهدي)[١٧].

جاء من ود النجومي أحد جنودنا المقبوض عليهم في الأبيض، كما جاء أربعة آخرون ومعهم امرأة من الفكي مصطفى (اثنان من الآخرين هم عبيد لسوء الحظ حسن باشا إبراهيم الذي تم إعدامه) قالوا : بإن الطعام شحيح في معسكر العرب وأن الكثيرين يجاهدون ليفروا نسبة للتنمر الذي يمارس ضدهم.

يكتب العلماء إلى زعماء العرب محتجين على افعالهم المنافية للدين الإسلامي.

يشتكي السجناء الإغريق وأخرون في الأبيض من الخطابات التي يرسلونها إلى الإغريق هنا من العوز وسوء المعاملة من قبل العرب.استيقظت هذا الصباح على صراخ امرأة:(تم قتل ابني وأنا اطالب بالانصاف). يبدوا أن ابنها الصغير والوحيد كان في إحدى سواقي العرب، والتي تعمل بالثيران ودفعه رجل مما أدى إلى كسر جزئي في جمجمته وأدخل المستشفى لعدة أيام. كنا نأمل في شفائه ولكنه أصيب بالإلتهاب ومات. كان طفلاً ذو ثمانية أعوام لطيف ومشرق العينين وأسمر اللون – كانت المرأة أرملة.

ينجذب المرء إلى أطفال هذا البلد سواء أكانوا سمراً أو سوداً، والمذكورون أولاً ذوي ألوان برونزية كاملة يتحمل السمر والسود جراحهم بلا تذمر، أما الجنود الفلاحون الفقراء فيصرخون عند أقل لمس لجراحهم.

جاء أحد الزعماء العرب إلى شلال السبلوقة وحاول إثارة الأهالي ضد الإحتلال المر رفض الأهالي الاستماع فقفل راجعاً.

يوجد في المستشفى جندي زنجي به جرح بالسيف في أنفه وامتد الجرح إلى فتحة أنفه فأصبح له أربعة فتحات بدلاً من اثنتين، هذا الجرح في قصبة الأنف (إن كان للزنجي قصبة أنف) لم تمس خدود الرجل.

أصيب رجل بجرح في صدره وعاش لأحد عشر يوماً ثم مات. وجد الطبيب رصاصة مستقرة في وسط القلب - في جدار بطين القلب وكانت رصاصة تزن نفس الوزن لرصاص ما ترين - هنري - رسم القلب صفحة ١٧.

يتصف الجنود الزنوج بالنظافة التامة عكس مجمل الفلاحين والأتراك، كان للجنود الزنوج أحذية نظيفة تماماً ولها لمعان مثلما يفعل ماسحو الأحذية في لندن الذين يلمعون الحذاء ببنس.

جاء الليلة إغريقي من العرب، وأرسلت القنصل الإغريقي لمقابلته عند خطوط القتال حيث يقف.

قابلت العلماء[١٨] اليوم، أبديت حزني للإنحطاط في الإيمان الذي يحدث عندما يصبح المسيحيون مسلمين كي ينقذوا حياتهم ويصبح المسلمون أتباعاً لنبي زائف كي ينقذوا ممتلكاتهم[١٩]، سيقومون بالوعظ ضد هذا ولكني أخشى عندما تكون المسألة بين الله وغنمهم، سيميلون كالعادة إلى العناية

بغنمهم. أخشى بأننا مثلهم ونفضل بأن يكون هناك ٥٠٠٠٠ رجل خلفنا بدلاً من وعود أي كتاب مقدس، فقط عندما نحشر في مكان ضيق ولا نستطيع إيجاد ٥٠٠٠٠ رجل نتجه إلى الوعود. هذا على الأقل بالنسبة لي بدرجة كبيرة لا شك بأن النجاح يجعل الرجال متشددين مع زملائهم بينما تجعلهم المحن متساهلين. (فقط على المرء دراسة سلوك وزير أو كولونيل عندما يكون في المنصب أو خارجه ليقتنع بهذه الحقيقة) أنا لا أعتقد بأن التعصب الديني موجود كما كان من قبل في هذا العالم حسب ما رأيت في هذا البلد الذي يدعي بالمتعصب، المسألة أكبر كثيراً من مسألة أملاك وتشبه كثيراً الشيوعية تحت رأية الدين والتي يبدو أنها تثير وتعطي الذريعة للأفعال ولولا ذلك لادانها الناس!؟.

أنا واثق بأنّ العموم من أرسالياتنا في البلاد المسلمة لا تعرف بأن ليس في القرآن إسناد تهمة الآثم لمسيحنا ولا يلمح بأنه في حاجة إلى الغفران، بالإضافة إلى ذلك ليس هناك مسلماً يمكنه إنكار أن والد المسيح هو الله (بموجب السورة ٣ من القرآن - آل عمران)، وأنه قد جسد معجزة يكتفي أساقفتنا بالقول إنه دين زائف، ولكنه دين زائف يعتنقه الملايين والملايين من إخوتنا البشر. لا يقول: المسلمون بأن محمداً كان بلا ذنب ويقر القرآن مراراً بأنه أخطأ ولكن ليس هناك مسلم يقول بأن (المسيح أذنب)، هم من حيث التضحية الجسدية أعلى مرتبة من الرومان الكاثوليك وبالتالي أعلى مرتبة من البروتستانت، إنها مشكلة حقيقية عندما يستدعي المرء خادمه فيقال له باستمرار إنه يؤدي صلاته لا يمكن أن يكون هذا عذراً، لأنه لا يسر المرء أن يكون مكرهاً على الانتظار لمدة طويلة إلا إذا كان له بعض الإيمان بهذه الصلوات، إن رب المسلمين هو ربنا. هم يعتقدون بأن محمداً لا يؤدي

مهمة وساطة لهم، وإنهم سينجحون أو يفشلون بأعمالهم. في الحقيقة إنهم يخضعون للقانون مثل اليهود.

كثيراً ما ناقشنا خلال الحصار مسألة الخوف الذي ينتابنا وفي نظر العا لم يجب أن لا نخاف أبداً، من جانبي أخاف كثيراً لأنني أخشى نتيجة المعارك[٢٠]. إنه ليس الخوف من الموت فقد ولذلك (شكراًللرب) لكن أخشى الهزيمة ونتائجها. إنني لا أثق قط في الرجل المطمئن وهادئ البال فهو فقط لا يظهر مشاعره، ومن ثم أقرر بأنه يجب على قائد القوات أن لا يعيش بالقرب كثيراً مع معاونيه الذين يراقبونه كالفهود. ليس هناك عدوى تعادل عدوى الخوف. أصير غاضباً عندما لا استطيع الأكل نسبة لقلقي، فأجد الذين معي على نفس المائدة تاثروا بنفس الطريقة.

رجع القنصل الإغريقي بعد مقابلته الإغريقي الذي كان قد أحضر خطاباً[٢٠]. من ود النجومي، طالباً مني الاستسلام جاوبت على هذا كما في الهامش. قائلاً بأنني لم أرى هذا الخطاب كان هدف الإغريقي أن يجعلنا نستسلم، وقد قال جاء لبتون[٢١]. مع رجاله من مديرية بحر الغزال إلى شاكا ليستسلم، ويقال: بأن أمين بك مدير الإستوائية قد تم القبض عليه يقول الإغريقي:(غادر كوسي بالأمس إلى بربر وسلاطين [٢٢]بك في كردفان وأن المهدي في طريقه إلى هنا) وفقاً للقنصل الإغريقي فإن هذا الرجل جاء ليأخذ أموالاً للسجناء الإغريق ولشيءٍ صغير آخر. تركت الأمر للقنصل ليفعل ما يريد في هذا الصدد.

كان هناك زلزال الساعـ٩ـة مساء الليلة واستمر لعدة ثواني، وكالزلازل الأخرى كان من الشمال للجنوب.

عندما يفكر المرء في الخسارة الفادحة في الأرواح التي حدثت في السودان منذ عام ١٨٨٠م والاضطراب العام في كل الحكومة لا يسع المرء إلا أن يشعر بالمرارة حيال السير أوكلاند كولفن والسير ادوارد مالين والسير شارلس ديلك، فبسبب هؤلاء الثلاثة ونصيحتهم التي قبلت بها حكومة جلالتها نجمت كل هذه الأحزان لقد ناصروا حملة السندات وعاملوا آراء من خالفهم كأوهام. من الذي سمح لسير أوكلاند كولفن والسير ادوارد مالين بالبقاء في مصر عندما ذهب هناك انطلت عليه حبائلهما؟ في مقبل الأيام ونتيجة لسياساتهم لم تسمع عنهم ولن نسمع عنهم مرة أخرى. إن مراسل التايمز في القاهرة والإسكندرية مذنب بدرجة أقل لأنه أيدهم، نحن أمة صادقة ولكن دبلوماسونا أرانب وليسوا صادقين.

١٣ سبتمبر

بعثت باخطارات لكل المسؤولين في مصر والسودان لتفتيش كوسي بدقة، لاعتقادي بأنه عميل للمهدي ويمكن فعل ذلك بحجة الجمارك، أميل للاعتقاد بأنه سلم بربر للعرب وإلا فكيف يمكن تفسير المعاملة المختلفة له من قبل المهدي دون الأوروبين الآخرين؟.

جاء اليوم خمسة من جنودنا الذين تم القبض عليهم في الأبيض وقالوا بأن العرب ليسوا بأقوياء ولا يفكرون في القيام بعمل فعلي (أحضروا أسلحتهم معهم) وبأن العرب يعرفون بأمر حملتنا إلى بربر.

أرسل العلماء اليوم خطاباً. إلى المهدي وهي خطابات مثيرةُ للاهتمام لأنها توضح أراء هؤلاء الرجال، تم الإبلاغ بأن البواخر اجتازت ممر شلال السبلوقة وعليه يجب أن تكون اليوم في بربر. من الملاحظ إنني لا اسمي العدو متمردين بل ادعوهم بالعرب. إنه سؤال مربك عما إذا لم نكن نحن متمردون بالنظر إلى الفرمان بإعادة السودان إلى زعمائه.

أبلغ الإغريقي الذي أتى بالإمس الطبيب الإغريقي بإن رئيس الإرسالية في الأبيض هو وحده من تمسك بعقيدته واسمه ولوبجي بونورولي، أما القساوسه والراهبات الآخرين فقد اسلموا (هكذا يقول) الراهبات تزوجن اسمياً من أغاريق للنجاة بأنفسهن من الاغتصاب قال: بإن كوسي استلم حصانين وزوجه وعبدً وستين دولاراً [٢٣] من المهدي وله صداقة حميمة معه

كما قال بأنه كان مع سلاطين حينما استلم ٤٠٠٠ أردب[٢٤] ذرةٍ و ١٥٠٠ بقرة والكثير من الذخيرة وقد أهداه المهدي ثمانية حصين (يجب أخذ كل هذه المعلومات بتحفظ) . جمع الأغاريق ٣٨ جنيهاً لمواطنيهم الأسرى وأرسل القنصل النمساوي ١٠٠ دولار للإرسالية في الأبيض، منحت الإغريقي خمسة دولارات وأتوقع أنها بددت ولا أشك في أنه سيحتفظ بكل الأموال التي استلمها لنفسه، إني أسف على العشرين دولاراً التي منحتها لكوسي لاعتقادي بأنه خائن حقير. أتوقع أنه سلم كل الشفرات ولحسن الحظ لم يكن معه شفرة وزارة الخارجية والتي أخذها ستيورات. لو كنت أعرف هذه المعلومات عن كوسي لكنت قطعت رأسه، ولكن حسناً إني تركته لقدره.

إذا كان ما قاله الإغريقي عن ردة الجميع ما عدا لويجي صحيحاً، فياله من مشهدا!!.وبالتأكيد جاء هؤلاء الرجال إلى هذه البلاد بإيمان أعمق من هؤلاء الذين بقوا في وطنهم. و إنهم لم يكونوا يتوقعون رفاهية في هذه البلاد بل الكثير من نكران الذات، بعض هؤلاء الراهبات كان لهم دخل يعادل ١٠٠٠ جنيه سنوياً ولكنهن تركنه ليأتين إلى هنا و بالطبع فإن أقوال الإغريقي عرضة للكثير من الشك.

اسم سلاطين هو عبدالقادر واسم كوسي محمد يوسف. يقترح المهدي أن أضع نفسي عند الاستسلام[٢٥] تحت إمرة أبي قرجه وهو مشهور بعدم التزامه بقوانين الدراويش نسيت أن أعلق في خطابي على هذا الأمر. يبدو أن لكل من هؤلاء الرجال مرشد روحي يعمل أيضاً كجاسوس.

هرب عند الظهر اثنان من جنود الأبيض وقالا: بإن العرب يفكرون في وضع مدفع عند بري على النيل الأزرق وآخر أمام خطوط القتال في الجبهة الجنوبية، وذلك لقصف المدينة.

حاصر بسميتش [٢٦] (أزوتس) أو أشدود لمدة تسعة وعشرين عاماً (وفقاً لهيرودتس) يالها من معيشة لأهالي أزوتس. المرء متعب بما فيه الكفاية هنا وقد عانينا فقط لمدة ستة أشهر من الحصار. أزوتس أو أشدود هي قرية بائسة صغيرة قرب يافا (بالمناسبة سميت على اسم جافيت - ابن نوح) . الجنود السود الذين يجيئون هم في العموم معارف قدماء لي أو يعرفونني، بينما هم بوجوههم السوداء وأنوفهم الفطس كلهم متشابهون بالنسبة لي. إنني أميل أكثر إلى الصينيين ومن بعدهم السود ذوي الوجوه الفطس ومن بعدهم أهالي السودان السمر، أنا لا أميل إلى الفلاحين الذين يدهنون وجوههم بالشحم الحيواني ولكني أرثى لهم.

إن إصحاح إرميا ٢٩ و ٣٠ مثيران للاهتمام فهما يظهران مصر بأنها محكوم عليها بأن تكون أحقر الممالك، وأن لا يكون لها ملك من أهلها الأصليين (كان محمد علي سنجك [٢٧] من سالونيكا وغريب على هذا البلد) إن الأحكام على سكان هذه البلاد مبنية على وحشيتهم فيما يتعلق بتجارة الرقيق، تقع بربر (التي يتوقع أن يكون ستيورات قد اجتازها الليلة) على بعد ٢٠٠ ميلاً من مروي حيث تنتهي الشلالات، ومن ثم تكون المياه صالحة للملاحة حتى دنقلا والتي تبعد ١٥٠ ميلاً من مروي سيجد ستيورات خط التلغراف قابلاً للاستخدام في دنقلا وبذا يتوقع أن يكون على اتصال بالقاهرة وأوروبا في ٢٠ سبتمبر.

هناك أمر يشغل بالي وهو إن كان هناك حقاً تصميم للتخلي عن السودان، فلماذا لم يتم سحب أهالي دنقلا وسنهيت عندما إتخذ قرار الانسحاب؟ لا يمكن أن يكون هناك هدف من ابقائهم في هذه الأماكن، اعتقد إنه بدلاً من

أن يدرس ضباطنا من الشباب (التكتيكات الصغرى) أو كتباً عن فن الحرب فمن الأفضل تدريس (سيرة بلو تراخ) هنا نجد رجالاً (غير مسنودين بأي إيمان حقيقي بل مجرد وثنين) يضحون بأنفسهم كأمر طبيعي، وفي أيامنا هذه فإن منتهى الفضيلة أن لا تهرب أنا أتحدث عن شخصي عندما أقول: بإنني كنت في قلق رهيب، ليس خوفاً على شخصي، ولكن لأنني أكره أن أهزم أو أن تفشل خططي، هذا أمر سخيف ولا يقارن بأن اتحمل عشر ما تتحمله أي ممرضة تعتني بمريض مشاغب، عندما أظهر للعيان فالكل مادحون وعندما يموت المريض يكون السؤال ما الذي يجب أن يمنح للممرضة نظير خدماتها. إننا نعلن بأننا أتباع لمسيحنا الذي منذ ولادته وحتى مماته كان مطارداً، والذي يمكن أن يقال إنه لم يجد شفقة أو عطفاً ومع ذلك نحن (وأقول شخصي خاصة) نولول إذا وضعنا في موضع عذاب مع إنه واجبنا إذا كنا مسيحيين أن نتحمل مثل هذا العذاب، لقد جعلت الضباط والموظفين يعيشون حياةً كحياة الكلاب عندما كنت هنا، إنه مهماز في خصورهم كل يوم. لا شئ يمكن أن يمسح هذه المعاملة السيئة من ذهني يمكنني القول بأني لم أمنحهم لحظة من السلام. كانوا جبناء ولكن كان عليّ أن أكون أكثر مراعاة لهم، من المؤلم أن تجد رجالاً يرتعشون عندما يأتون لمقابلتي وأنهم لا يستطيعون الإمساك بعود كبريت لتوليع سجائرهم ومع ذلك لم أقطع رأساً، فقط قتلت أثنين من الباشوات. وأعلن بأنه لولا ضغوطات خارجية لكانا أحياء الأن لقد قتلوا قضائياً ٢٨ سعداءهم، بقدر مانرى، أولئك الرجال الذين يتأرجحون في أجزاء صغيرةٍ من الدائرة، ونسائهم أولئك الذين يبحثون عن ميدان المغامرة ويتأرجحون من أقصى الشر إلى أقصى الخير.

ياله من تناقض في الحياة! أكره حكومة جلالتها لتخليها عن السودان بعد أن

كانت السبب في كل مشاكله، ومع ذلك فإني أؤمن بأن الرب يحكم السماء والأرض ولذا عليّ أن أكرهه، ولكني بصراحة لا أفعل.

أسمع أن القنصل النمساوي يميل إلى الذهاب إلى العرب مع سبع من خدمه من النساء،أتمنى أن يفعل ذلك قطعان من الماشية تأتي يومياً، ولكن هناك القليل من الحبوب. بعث السيد محمد عثمان رسالة إلى أهله بأن يذهبوا إلى الخرطوم للجوء. هذا جميل بالنسبة لنا ويظهر الثقة في مستقبلنا وشرف عظيم لي بأنني ﴿شكراً لله﴾ منحت الايمان لأعلن صراحة (إني مسيحي) وأنني حصلت على هذه الثقة من رجل بالكاد نظر إلى أيام مجدي.

أحد رجال السيد محمد عثمان كان ذاهباً إلى شندي (حيث تعيش أخته) حاملاً إليها جوز (شبشب) أحضره هنا كتبت اسمي في باطن كل نعلٍ وطلبت منه أن يخير (الست) بأنه عند لبسهما فإنها بذلك تضع قدميها على رأسي رجع الرجل وقال بأن (الست) كانت مسرورة بالفكرة.

يالها من جلبة سيحدثها البابا حول الراهبات اللاتي تزوجن اليونانيين إنه إتحاد بين الكنائس اليونانية واللاتينية.

١٤ سبتمبر

أطلق العرب بالأمس أربع دانات مدفع تجاه خطوط القتال في الجبهة الجنوبية ولكنها لم تصل إلى التحصينات أبلغت الحلفاية [٢٩] بتجمع للعرب بغرض الهجوم على ذلك المكان ذهب فريق لمعرفة حقيقة هذا البلاغ، جاء اليوم أربعة رجال من العرب و لم يكن لديهم ما يقولونه أكثر من أن العرب يعتزمون الحصار وليس الهجوم مباشرة. قتل العرب أربعة جنود حاولوا الهرب، ولكن الذين وصلوا يقولون بأن هذا العمل لن يوقف مجيئهم.

أمسك العرب رجلاً أرسلته إلى ود النجومي الذي قاتل مع أبي قرجه (بموجب يوميات سيتورات)، ومعه خطاباتي وسيعدم في المساء. عندما وصل خطابي الذي أحتج فيه لدى العرب على المعاملة السيئة لرسلي عفوا عنه واطلقوا سراحه. يقول هذا الرجل إن اليوناني الذي جاء بالأمس إلى خطوط القتال تم إرساله إلى كردفان، بعد رجوعه سيكون العرب محقين جداً في إعدام الرجل المشار إليه اعلاه فقد كان جاسوساً حقيقياً. احتجاجي لديهم كان على معاملتهم للرسل الذين أرسلهم إليهم مباشرة. هناك شك كبير بأن ود المكاشفي قاتل مع ود النجومي.

أقترحتُ على الشيخ عبدالقادر في خطابي مقابلتي، طلب منه الزعماء العرب الذهاب ولكنه رفض لقد كان معروفاً جداً إننا رفضنا الاستسلام.

إذا أمكن التخلص من الشعور المرير الذي يوجد بين القطاعين الكبيرين من

أهالي السودان [٣٠]، سيكون هناك سبيل للتهدئة يمكن فعل ذلك على مراحل.

انخفض سعر كيلو اللحم من ١٠ شلنات إلى شلنين.

ذهبت الباخرة التوفيقية أعلى النيل الأزرق إلى الجريف، وهاجمت العرب وحالت بينهم وبين جمع الأخشاب والكلأ (يكون المرء في هذه الأوقات شاكراً للنعم الصغيرة إن كلمة "إسلام" تعني الاستسلام أو تكريس الشخص لنفسه للرب وخدمته(أي التضحية بالنفس)، وبناء على ذلك فإن المسيحي الحقيقي هو على دين الإسلام بقدر ما يعني الاسم(هذه ترجمة سال للكلمة).

من الغريب أن الناس ينسون بسرعة الكوارث والخسائر قبل عشرة أيام فقط فقدنا حوالي ألف رجل قتلوا، ولكن لا أحد يتحدث عن هذا الآن تكفي حوالي أربعة أو ستة أيام لنسيان مرارة الكارثة.

وظهر مرة أخرى (البعبع) العجوز لإرتداد الشايقية. كتب صالح باشا المسجون لدى المهدي خطاباً إلى أخيه بأنه والمهدي قادمان وعليه ألا ينضم إلى هذه الأنواع من الأشياء والتي تؤخذ كحقيقة لا ريب فيها من قبل الذين حولي، وهي أحد أكثر الأشياء سماجة من وجهة نظري. هؤلاء الذين يعلنون في يوم ما أن الشايقية أوفياء، سيحثون المرء بعد يومين لإتخاذ أشد تدابير القمع ضدهم، والتي هي في رأيي الوسيلة الأمثل لدفعهم للتمرد إذا كانت لديهم النزعة لذلك (أعني بالتمرد الإنضمام للمهدي).

جاء أخو صالح اليوم لمقابلتي، فقد سمع بأن أخاه مع المهدي في (شات) وهي مكان في الداخل من الدويم على النيل الأبيض. يبدو أنه يعتقد بأن ذلك حقيقي وإذا كان ذلك صحيحاً سنجد المهدي هنا بعد فترة قليلة لأنه هناك منذ تسعة أيام.

لم تقلقني أخبار اقتراب المهدي فإذا فشل سيكون أمره قد انتهى، ولن تكون هناك ضرورة لحملة إلى كردفان، وإذا نجح فوجوده قد يمنع أي مذبحة لقد شعرت دوماً بأنه قدرنا بأن نتقابل وجهاً لوجه قبل إنتهاء الأمر.

أنا أقلب الأمر في ذهني، فيما إذا تم الاستيلاء على المكان هل أفجره بكل ما فيه أو أن استسلم؟ وبمساعدة من الرب أحافظ على إيماني، وإذا كان ضرورياً أعاني من آجله؟ (وهو محتمل جداً)، إن تفجير المكان هو الأسهل أما الأمر الأخر الذى وسعني عذاباً وإرهاقاً طويلين وإذلالاً من كل نوع. اعتقد إنني ساختار الأخير، ليس خوفاً من الموت ولكن لأن الأمر السابق به القليل أو الكثير من همة الانتحار ولانه لايحدث خيراً لأحد وبطريقة أخرى هو أخذ للأمور خارج يدي الرب.

تقع شات على بعد عشرين ميلاً إلى الداخل من الدويم التي تبعد مائة ميل من هنا على الضفة الغربية للنيل الأبيض.

اليوناني الذي جاء أخبر القنصل بأن المهدي يضع الشطه (الفلفل الحار) الفلفل الأحمر تحت أظافره، وعندما يستقبل الزوار يلمس عينيه فإذا هو يبكي بغزارة، كما إنه يأكل حبات قليلة من الذرة في العلن، ولكن في منزله ينال مالذ من الطعام ويتناول المشروبات الكحولية. يقول اليوناني أن المهدي يستلم عدداً من الخطابات من القاهرة [٣١] واستطنبول والهند، وحديثه الدائم عن الخرطوم غرضة للاستيلاء عليها.

أعتقد بأني ساتخلى عن أي قلق مرة أخرى عندما أكتب إليه محاولاً إقناعه أو حثه على إتخاذ تدابير معقولة، قال اليوناني: للقنصل اليوناني بإن المهدي في حيرة ويود أن يعرف ماذا أفعل هنا وأنا لست من سكان هذه الجهة وليس

لدي أهل في السودان. أتوقع أن يكون هذا السؤال محيراً أكثر لآخرين غير المهدي (بما في ذلك شخصي)، يجب أن أعترف بإن مسألة الفلفل أصابتني بالغثيان. كنت أمل في أن أتعامل مع متعصب عادي يؤمن برسالته، ولكن عندما يصل الأمر إلى فلفل وأظافر أصابع يكون مهيناً أن تخضع له. وعلى أية حال لدي اعتقاد بأني لن أفعل هذا. لايسع المرء إلا أن يضحك في مسألة الفلفل هذه. يأتي هؤلاء الذين يطلبون العفوا زاحفين على ركبهم وحبل ملتف حول أعناقهم، يقف المهدي ويحك عينيه فتسيل الدموع غزيرة وينزع الحبل. بما أن إفراز الدموع عموماً يعتبر برهاناً على الصدق، فإني أوصي بوصفة المهدي للوزراء لتبرير بعض الأعمال الأظافر يجب أن تكون طويلة (هكذا يقول اليوناني) لتسع الفلفل.

١٥ سبتمبر

جاء جندي هارب هذا الصباح وقال: بإنهم في انتظار أوامر المهدي ولا يعتزمون الهجوم على خطوط القتال البر بالناس لا ينطوي على شر، وهو لا يوجد في السودان، ماذا أقول عن حيل الموظفين هنا؟ سيجد البر أوقاتاً عصيبة يقولون: بإن المهدي عندما يرى امرأة تحمل جرة من الماء يسرع إليها متوسلاً بأن تسمح له بحملها. يسرع إلى الست[٣٢]. كما أفعل أنا ولكني لا أحاول حمل جرة الماء.

يبدو أن مسألة الفلفل لها تاريخ طويل في السودان و لم يبتدعها المهدي. إن قوة الحكام الشرقيين تكمن في العزلة التي يعيشون فيها. إنهم مقدسون بمجرد التعرف عليهم ينتهي أمرهم. قد يحدث هذا للمهدي عند حضوره هنا. طالما يلقي تبعة الأفعال السيئة على مساعديه يكون في مأمن، ولكن عندما يرى الناس إنه لا يفعل شيئاً لتصحيح الأخطاء، فستتلاشى هيبته.

جاء عند الظهر شخص من شندي[٣٣] من أسرة السيد محمد عثمان، وروى إنه بعد اجتياز حملة سيتورات شندي استولوا على قارب كبير به غلال وأربعة عشر عبداً، وكان القارب يجمع الضرائب للعرب. قال بصحة وصول قوات إلى دنقلا وأن مدير دنقلا استطاع تهدئة الأوضاع في المديرية. عند سماع محمد الخير، زعيم العرب في بربر، بوصول القوات إلى دنقلا حاول تجميع العرب واعداً بمنح ٢٠ دولاراً للفرد في الشهر. استجاب النصف للدعوة وجاءوا إلى بربر وطالبوا بما وعدوا به. أرسلهم محمد الخير إلى منزل قال: بإن

الأموال توجد فيه (هي أموال الحكومة وهي ٦٠٠٠٠ جنيه منحتني أياها الحكومة في القاهرة)، لم يجدوا المال وشرح لهم محمد الخير الأمر بقوله: إن الشيطان أدخل المال باطن الأرض وتظاهر بأن المهدي أرسل له وقام بالفرار. إذا ذهب إلى المهدي و لم يفسر اختفاء الأموال بطريقة أفضل، أخشى بأن يكون ذلك أمراً عسيراً عليه، لأن المهدي وبالرغم من إنه يسمح بحرية محدودة بالنسبة للحوادث التي تحدث بمعجزة ، فمن الأرجح أن يكون حذراً تجاه مثل هذه الحوادث بين أنصاره خاصة عندما تؤثر على جيبه.

هرب جندي آخر وقال: بإن العرب صاروا أكثر صرامة بعدما بدأوا في ملاحظة التناقص في أعداد رجالهم، يعرفونني شخصياً كل الجنود تقريباً في دارفور. بالنسبة للستين ألف جنيه التي سرقت بواسطة عرب السودان هي تمثل عُشر ما سرقه الباشوات المصريين من السودان ولذلك لا أندم عليها.

نأمل أن ننجز خلال عشرين يوماً باخرة أخرى من البواخر الصغيرة مثل الباخرة عباس (التي ذهبت مع ستيورات إلى دنقلا) وخلال أربعين يوماً أخرى نكمل + باخرة وبذا نكمل الأربع بواخر التي اشتريت بواسطة الكولونيل براون[٣٤] عام ١٨٧٨، أحداهما الباخرة محمد علي، سلمها صالح بك للعرب.

لن أفاجأ إذا استسلمت بربر لحملة ستيورات فقد أبدت دفاعاً هزيلاً من قبل، و لم يكن الأهالي ميالين إلى المهدي أبداً. لا استبعد التفكير بأن كوسي كان متورطاً بشكل كبير في استسلامها.

ذهبت الباخرة التوفيقية اليوم إلى الجريف، وأطلقت النيران على العرب واستولت على بقرة. هرب أربعة من الجنود المقبوض عليهم في الأبيض

وكان لديهم القليل ليقولوه أكثر من أنهم كانوا تعساء، وأن العرب يأملون في استسلامها أرجوا بإخلاص أن تستسلم بربر لحملة ستيورات، وسيكون ذلك مفخرة عظيمة له. معظم الجنود الذين يأتون هنا يحضروا بنادقهم معهم.

تتردد مجموعة كبيرة من الصقور على القصر، وكثيراً ما أتساءل ما إذا كان مقدراً لها اقتلاع عيوني فأنا لم أكن أفضل الأبناء[٣٥].

(يكفي اليوم الشر المتعلق به)، لا استطيع تجنب الشعور بالرعب لما سيحدث، حتى لو استطعنا إنهاء مشاكل الخرطوم فعلينا تهدئة كافة البلاد حول سنار وكسلا، وأن ننسحب من بحر الغزال والإستوائية (لا أصدق رواية اليوناني بأنه قد تم إخلاء هذه الأراضي)، وبعد ذلك هناك مسألة ترك الأسرى في كردفان لمصيرهم. سيكون هذا مستحيلاً إذا دخلت حكومة جلالتها الميدان أو منعت مصر من إخراجهم، فعند ذلك تكون حكومة جلالتها فعلياً هي التي تركتهم لمصيرهم. بالإضافة إلى ذلك هنالك التكاليف الباهظة من المال (التي يجب أن تقابل) للإنفاق على المصروفات المالية، أيضاً من الذي سيحكم القطر؟ يجب التخلي بالكامل عن فكرة الإخلاء الجماعي لأنها مستحيلة، الحل الوحيد هو السماح للأتراك بالتدخل أو من ناحية أخرى إبقائي هنا، مجرد التفكير الفعلي في هذا الأمر يجعلني أرتعد، أو إرسال الزبير باشا [٣٦] وفي كلا الحالتين هناك احتياج إلى معونة قدرها ١٠٠٠٠٠جنيه سنوياً.

١٦ سبتمبر

الرجل الذي تُرك مسؤولاً عن حديقة الإرساليه الكاثوليكية الرومانية غاضب على القنصل النمساوي لأخذه المائة دولار التي أرسلها للسجناء في الأبيض، يقول: إنه لو كان يعلم بأنهم أصبحوا مسلمين لأرسل لهم سماً، المائة دولار هي حصيلة بيع إنتاج الحديقة. سواء أكان غضبه نسبة لتعصبه أو للتخلي عن المائة دولار أمر قابل للجدل، يقول: إنه لا يمكنه المغادرة لأنه مسؤول عن ثياب المطران. أتوقع أنه يتمسك بالحديقة التي تبلغ مبيعاتها من البلح وحده ١٦٠٠ دولار.

هربت امرأة هذا الصباح من العرب (ملاحظات) سأل حول القرآن السورة ١٩ واسمها (مريم) مثيرة للإهتمام، لإحتوائها على رأي المسلمين في الحمل بمسيحنا السورة ١٦ من القرآن واسمها (النحل)، تتضمن السماح للمسلمين بأن يرتدوا إذا إجبروا بالعنف على فعل ذلك (بموجب ملاحظات؟ سأل بالنسبة لمسيلمة) مع إنه أجدر بالتقدير إن لم يفعلوا. إذاً المسلم هنا أفضل حالاً في هذا الصدد بالمقارنة مع المهدي.

يتوقع أن يأتي إلينا الفكي مصطفى الذي يتولى القيادة في الضفة الغربية للنيل الأبيض، والذي أنسحب إلى الداخل. على أي حال فقد كتب خطاباً بعبارات مسيئة إلى خشم الموس مؤكداً فيه أن محمد أحمد هو المهدي. جاء اليوم جندي آخر ومعه بندقيتين. ذهبت الباخره التوفيقية أعلى النيل الأزرق، ونقلت عبدين هاربين. حضر رجل آخر ومعه خطاب من رجل أسير لدى

العرب يذكر الخطاب وبشكل جازم بأن هناك ٢٢٠٠٠ جندي في دنقلا وأن مدير دنقلا في مروي ويدفع برجاله إلى الأمام.

فسر الرجل الذي أحضر البندقيتين احضاره لهما، بأنه ورفيق له بدأ سوياً الهروب ولكن رفيقه خاف، ولذا جلسا ونام رفيقه ففكر صديقي إنه قد حان الوقت للذهاب ومن الأفضل أن يأخذ بندقية رفيقه معه.

١٧ سبتمبر

لدي شك قوي في الروايات عن القوات في دنقلا ومروي، وأنها كلام فارغ وإذا أردت أن تجد قوات حكومة جلالتها عليك الذهاب إلى فندق شبرد بالقاهرة، [٣٧] الروايات عن تقدم القوات والتي حصلنا عليها من السيد عثمان لم يتم تأكيدها أبداً بادلة مكتوبة من دنقلا، واعتقد أنها مختلقه لا نعرف الآن إذ ما كان بعث ستيورات وباور وهيرين من الموت سيحدث أثراً، ولكن إذا ما كنت شاكراً أو لم أكن فإن، انطباعي الثابت أن حكومة جلالتها ستفاجأ بظهورهم.

إذا وصل ستيورات أتوقع أن يكون على إتصال بأوروبا في ٢٢ سبتمبر ويجب أن تكون برقيات باور في التايمز في ٢٣ سبتمبر يضحكني أن أفكر في الرفرفة التي ستحدث في برج الحمام (ذلك السودان الكريه مرة أخرى) حقاً إن أفريقيا كانت (حيوان) في بلدنا كما أسماها أحد شخصيات ديكنز.

خطاب أيفرتون[٣٨] والذي كتب بعناية بالشفرة (وأيضاً بعناية بلا تاريخ ولكنا ننسبه إلى يونيو)، بالنسبة للعقودات التي تعقد مع القبائل البدوية لمرافقتنا (تأكد من الإعتناء بشخصك)، ويمكن أن تكتب أيضاً باللغة العربية. إنها ستحدث ضجة لدي المهدي، حضر اثنان من الجنود الهاربين بقليل من الأخبار واحضرا سلاحهما.

حضر رجل بعد زيارته للشيخ العبيد ويقول: بإن العرب فقدوا عدداً قليلاً في هجومهم على محمد علي باشا، وأنهم سينتظرون انخفاض النهر قبل أن يحاولوا تطويق الخرطوم.

إن سخط الصالحين، والذي عبر عنه عند إعلان منشور العبيد الذي لم يقل أكثر من (أن معاهدة ١٨٧٧ (التي تعلن عدم السماح ببيع العبيد بعد ١٨٧٧) لن تطبق) من غير شك مضحك عند التفكير فيه (معاهدة مع الشيطان كما يسميها البعض) وعندما يرى الشخص احتمال أن تصبح كل البلد عشاً لصائدي العبيد وقطاع الطرق.

يقولون: أنّ المهدي لا ينوي أن يكون مركزه في الضفة الغربية للنيل حتى يكون تقهقره إلى كردفان سهلاً في حالة الضرورة. ذهبت التوفيقية أعلى النهر ووجدت العرب في الجريف ومعهم ثلاثة مدافع أطلقت خمسة أو ستة دانات تجاه الباخرة ولكن بدون حدوث أي اضرار.

إن روعة تلغراف أيفرتون تتمثل في(إن حكومة جلالتها ستدفع حقاً عند التسليم كذا مبلغ للشخص عن كل اللاجئين الذين يصلون الحدود المصرية لا يصدق تماماً وستكافئ القبائل التي تعاقد معها لمرافقتهم) إنه كرم أكثر من أن يصدقه المرء. إن طبيعة أفرتون الشهمة تغلبت على تدريبه الدبلوماسي عندما كتب هذا، أبدى الكتبة في ديواني الذين أعلنت لهم ذلك الكثير من التعجب على هذا الكرم! لا شك أن أفرتون اعتبرني أبلهاً تماماً عندما ظن بأني أحتاج لمثل هذا الأذن. أرجو أن تتم ترقيته وأن لا يلام على أرهاق نفسه حول تعليماته. هرب جندي آخر مع زوجته ويقول: بإن العرب أحضروا ثلاث مدافع إلى الأسفل لتغطية الفريق الذي يبحث عن المؤن وقد أرجعوها وهذا أراحني.

ينتابني خوف من أن يوميات سيتورات لن تنشر كاملة بل ستبتر، هذا أمر يؤسف له إذا حدث لأن بها أشياء جميلة إنها حقاً يومياتي كما هي يوميات

سيتورات بالرغم من إنه كتبها. عندما يجئ الجنود الهاربون يقومون بزيارتي ويمنحون دولاراً ثم يطلب منهم النظر في المرآة التي في القصر ليشاهدوا وجوههم المكتنزة السوداء، ويسألون عن رأيهم في الانعكاسات التي يرونها. بعضهم يحدق باندهاش لأنهم لم يشاهدوا أنفسهم أبداً من قبل، عموماً كانوا يتهجون للانعكاسات خاصة النساء السود القذرات واللاتي يظنن انفسهن (فينوس) ويضعون أيديهم على أفواهم وهي أشارة عامة لدى السود على التواضع مثل خفض العين عندنا.

أحدث خطاب الفكي مصطفى ارتباكاً بين العلماء لأنه يقول: (إنه سيدمر القرآن ويغلق المساجد ويستمع فقط إلى المهدي)

هناك لهجة في تلغراف [٣٩] أيفرتون تضايقني، بالنسبة لي كأنه قال (بالرغم من إنك وقعت في مأزق لا تستحقه إلا إنني مستعد لان أبذل جهداً لصالحك وأخولك)، وفي الجزء السابق من التلغراف (الكاتب غير معروف) كأنني كنت استمتع بالحرب المزرية هنا أنني أعلن بأن أيفرتون وشركائه هم من صنعوا المأزق ويودون تعليقه وحله عليّ، لا أجد مانعاً من تحمل العبء، إذا لم يرسلوا مثل هذه التلغرافات (الشركاء مالين وكولقن)[٤٠].

يجب القول: بإنني كقاعدة لا أحب الدبلوماسيين (وأتخيل أنهم ينظرون اليّ بازدراء لتجرأي على إبدأيي فيهم) أعني في منصبهم الرسمي، وأن القلة منهم التي أعرفها شخصياً مقبولون (إنني استثني خاصة الستون، الباشكاتب، وويلر و بواب القاعة والذي أصبح خلال السنوات الأخيرة أكثر لطفاً)، ولكن بالنظر إليهم في منابرهم مع أتباعهم من الرؤساء وحتى أصغر موظف، لا يمكن للمرء إلا أن يتخيل أنهم مجموعة من الرجال غير مقنعين

للتعامل معهم. لقد رأيتفي أوقات مختلفة، وعندما يغادر المرء حضورهم العظيم يتعجب من أن سياسة بريطانيا العظمى يتولاها مثل هؤلاء. كان لورد هاموند سريع الغضب، ولكن يعلم المرء بأنه يجب احترامه.

لا يأبه المرء كثيراً إذا لم يلقحوا بفيروسهم، هؤلاء الذين يتم تعيينهم من قبلهم ولكن وجدت ستوك في قناة السويس وويلسون في الاناضول وآخرين كثر (يمكن أن أقول سيتورات) بأفكارهم حول عبادة الشمس والمنفعة. أقر بأني قرأت باستمتاع (كوينز مسنجر) إلى أن أوقف نشرها لورد كارنجتون، وأعمال مارفن حول الوظائف العامة.

قال: رجل جاء إلى هنا إن ستيوارت وبواخره استولوا على قافلة كبيرة معها مواد يملكها العرب تعادل حمل ١٠٠ جمل. لقد اجتازوا شندي و لم تطلق عليهم النيران.

سيغضب المهدي.

لا أعتقد بأن موارد هذا البلد معروفة. يمكننا صنع ﴿٥٠٠٠٠طلقة﴾ من ذخيرة رمنجتون أسبوعياً وهناك ﴿١٠٠٠٠دانة﴾ من ذخيرة المدفع الجبلي في المخزن، وإذا استولى المهدي على الخرطوم (وسيتبع ذلك سقوط كل مدينة في السودان) سيحتاج إلى قوة كبيرة لوقف غايته. وفقاً لليوناني فهو يفكر في غزو مصر[٤١] وفلسطين وهما على أهبة الثورة. كل البواخر في النيل حتى أسفل أسوان عبارة عن أواني فخارية إذا ماضربت بقذيفة مدفع جبلي. إذا ثار سكان فهم يستطيعون مع إرسال المهدي مدفعين ايقاف جريان النهر. كلما بعد المهدي عن الأهالي كلما كان قوياً. نحن هنا قريبون منه ونسمع بلهو، ومسألة الفلفل. سيضيع هذا في ضباب المسافة إلى اسنا ويضيع أكثر

في القاهرة وفلسطين – ماذا فعلنا في مصر السفلى لنجعلهم يحبوننا؟ لاشيء لقد فرضنا عليهم نحن الأوروبيين مقدار ﴿٤٥٠٠٠ جنيهاً﴾ سنوياً. لم نخفض الضرائب فقط بل حسنا طريقة جبايتها يقول: المهدي (سآخذ عشر انتاجكم وأخلصكم من الكلاب)، برنامج مؤثر إذا أحسن المهدي القيادة واستولى على الخرطوم، لن تستطيع قوات إنجلترا وفرنسا مجتمعةً إخضاعه إلا إذا ذهبوا إلى وكره، أتحدث مادياً ومن وجهة نظر عسكرية محترفه بأني أرغب في أن لو كنت المهدي فسأضحك على كل أوروبا. أتساءل (معتقداً في كل ما سبق) هل سيكون مبرراً لي التصالح مع المهدي بشرط أن يسمح بخروج اللاجئين (وفق تدابير عقد أيفرتون) بينما عليّ أن أحول له كل المواد الحربية التي في الخرطوم سالمة.

بالتأكيد وفقاً للخطاب سيكون مبرراً لي فعل ذلك ثم ماذا؟ بالتأكيد سأشعر بما سوف يحدث، يعني أن انتفاضة ستحدث في مصر، ماذا ستقول أمتى؟ (لأن أيفرتون سيختفي بموجب منصب ما في شيلي) سيقولون إنه خطأئ ولكن (إن شاء الله) لن يقولوا هذا لأنني لن اسلم المكان إلا مقابل حياتي، لا يمكن أن ترسخ في أذهان الجمهور بأنه ليست قوات المهدي هي التي علينا أن نخاف منها، بل علينا الخوف من إثارة الأهالي بواسطة رسله. لا اعتقد بأنه كان معه أربعة الف رجل عندما هزم هكس. علينا أن نفكر ماذا ستفعل حامية مكونة من عشرة ألف جندي في القاهرة إذا انتفض السكان؟ في كل الاحتمالات لم تكن بربر لتسقط ، إذا كان قد تم إرسال الزبير باشا عندما طلبت ذلك وكان من الممكن إقامة حكومة معارضة للمهدي. اخترنا أن نمنع مجيئه بسبب علاقته السابقة بتجارة الرقيق، هذا إذا افترضنا أن لدينا

تفسيراً ومع ذلك وبما إننا لم نتخذ تدابير وقائية فيما يختص بمستقبل البلاد بتجارة الرقيق، فإن المعارضة أعلاه تبدو سخيفة أنا لا أبعث لأنه سيفعل بل سأترك البلاد له والذي سيفعل نفس الشيء تماماً.

١٨ سبتمبر

جاء رجال إلى الحلفاية من شندي وتحدثوا بالمزيد من التفاصيل عن الهجوم على سوق المتمة[٤٢] والاستيلاء على عدة أشياء، كما أخبروا عن وصول القوات إلى دنقلا وتقدمها نحو بربر قالوا: (إن مجموعة استطلاع قد أرسلت للتأكد عما إذا كانت الخرطوم قد سقطت أم لا) جاء ثلاثة جنود هاربين من العرب وقالوا: بإن هناك قوات كثيرة في فشوده [٤٣]، أظن أن هؤلاء من الإستوائية أو بحر الغزال ويبدوا إنهم كانوا في فشودة منذ وقت قصير ومعهم الكثير من الأبقار، لم يرغبوا في القدوم إلى هنا لأنهم لا يعرفون إذا كانت الخرطوم لا تزال موجودة.

الساعـ١٠ـة صباحاً، يجري قتال بين الباخرة التوفيقية ومعها خمسمائة من رجالنا ضد العرب بالقرب من الجريف، العرب متراجعون نحو النيل الأبيض، أرسلت الرجال لإحضار الحطب وفعل العرب نفس الشيء مما أدى إلى الصدام. يقول الرجال الثلاثة الذين حضروا اليوم بأن العرب نظراً للأعداد الكبيرة التي تفر منهم يأخذون البنادق من الرجال ليلاً ويعيدونها في الصباح. يقول: هؤلاء أن المهدي على علم بتقدم القوات نحو بربر وأنها على بعد منها.

بالأمس وقبل أن أسمع أخبار اليوم رتبت لتحريك القنصل اليوناني ورعاياه إلى الإستوائية، ومن ثم انسحابهم عبر زنزبار ولكن الآن سنعلق هذا الأمر مؤقتاً حتى نرى تأكيداً لتقدم القوات نحو بربر.

إن التفكير التالي حول المستقبل قد يوفر الكثير من الكلام، لذا أقوم بكتابته.

لنفترض صحة مجئ حملة عسكرية إلى بربر ويتكون جزء منها من قوات بريطانية ماذا ستكون النتيجة؟ سيتراجع انصار المهدي بعيداً في الداخل وبعض رجاله سيجيئون إلينا. سيقول قائد الحملة العكسرية الآن الطريق من الخرطوم إلى بربر مفتوح اسحب الحاميةقد يقول: (أمنحك ثلاثة أشهر لفعل ذلك) حسناً نرسل البواخر إلى الإستوائية وبحر الغزال، تزحف حامية الخرطوم إلى سنار وتحضر اللاجئين والحاميات من هذه الأماكن، بالطبع في اللحظة التي يعرف فيها بأننا سنقوم بالإخلاء سيندفع كل المحايدين وحتى الأصدقاء في البلد إلى أحضان المهدي لأن تفكيره سينصرف لى التخلي عنا وبالتالي يجب و لمصلحتنا الخاصة أن نفعل شيء لنحمي أنفسنا، هذا يعني بأنه سيصطف ضد الإخلاء عدد كبير من هؤلاء الذين يعيشون وسطنا والذين هم في صفنا الآن. هذا أمر غير مقبول ولكن لا يسع المرء إلا أن يرى بأنه من غير الممكن الاحتفاظ بالقوات البريطانية بعد شهر يناير، لذا يجب علينا تنصيب الزبير مع إعانة مالية أو أن نعهد بالبلد إلى السلطان مع معونة مالية. لا خيار إذا تقرر عدم إتباع هذين الخيارين بل إخلاء السودان ببساطة، أرى عندما يتم إحضار حامية سنار أن تسلم لي البواخر والسودانيون من القوات الذين يرغبون في الذهاب، ويسمح لي بأخذهم إلى الإستوائية بينما تذهب الحملة العسكرية إلى بربر. أعتقد أنه يجب القول: بإنه من الخطأ التخلي عن السجناء في الأبيض وأن نسمح للمهدي بالفوز بالخرطوم. يجب إنقاذ كسلا بواسطة حملة عسكرية منفصلة من مصوع، لنفترض أنه قد تقرر الإخلاء وعدم إقامة حكومة منتظمة (تحت إمرة الزبير أو الأتراك) فإن المهدي عند

استيلائه على الخرطوم سيفكر مرتين قبل التوجه إلى مصر لأني سأكون خلفه في الإستوائية مع كل البواخر.

لا يستطيع أحد أن يشعر بمثلما أشعر به من وجوب أن يشهد شهر يناير وصول أي قوات بريطانية، والتي يمكن أن تجئ إلى هنا عن طريق مصر مهما كلف الأمر. يجب أن يحدث هذا ولذا أنا أستمر في الحديث حول منح البلاد إلى السلطات أو تنصيب الزبير مع إعانات مالية.

لدينا في السرايا ديك رومي وخمس دجاجات رومية كلها أليفة، ولكن ذات مرة وضعت رأس الديك تحت جناحه وقمت بارجحته كي ينام. أصبح خجولاً ولايقترب مني، وعلى أية حال إذا اقترب الشخص من زوجاته يغضب وينتفش وتصبح رقبته كلها ألوان، ولكنه لا يقترب. أنا آسف للقول: بإن أحدى زوجاته وبعد حضانتها بصبر للبيض لمدة ثلاثة أسابيع فقست ثلاثة فراخ قام بقتلهم. هذا هو الإتهام الذي ساقه ضده الطاهي، أعتقد أن الديك رومي وكل ريشة فيه منتصبة وبكل الوان الطيف في رقبته هو صورة للقوة البدنية، إن عينه محمرة كالنار ولا شك أنه يغضب حين يرى زوجاته تُلمس، أنا أحد الذين يؤمنون بوجود السابق واللاحق لـ الذين نسميهم حيوانات. لدينا تاريخ للإنسان الذي شكل في صورة وشبه الله. الذي نفخ فيه نفس الرب فصار حياً بينما أمرت المياه والأرض أن تلد الحيوانات التي لها حياة مسبقاً (التكوين ١ - ٢٠) (ذات نفس حية) انظر إلى المزامير ٨ « فمن هو الإنسان - حبلت كل شيء تحت قدمية ماذا يولد بعد ذلك نجده في الآية التي بعدها(الغنم والبقر جميعاً)، وأرجع إلى العبرانين ١١ - ٨ حيث يورد نفس المزمار حيث كل الأشياء تخضع له. كل الولايات والسلطات وكل

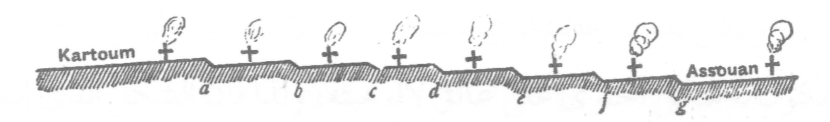
الوجود يخضع له. لماذا يقيم المزماري بعيداً ويورد(الغنم والبقر) إلا إذا كانوا (هكذ يقال)، تجسيداً للولايات والسطات؟ إن الإنسان مهما كانت خطيئته شنيعة، فله التبجيل الاسمى على كافة المخلوقات لقد شُكل (إن الكلمة هي نفسها التي تستعمل مع صانع الفخار الذي يصنع الأواني) على صورة الله وشبهه. فقط هو الرب الذي شكّله على هذا النحو والرب وحده يعرف شبهه أيضاً، عندما أخذ الله شكلنا كأناس (والذي مازال يحتفظ به) ففيه وجد كمال الذات الإلهية، حتى إنه لا شك (كما إنه يختلف عنا بأنه بلا خطيئة) بأن الإنسان قادر على احتواء الألوهية، نحن نعتقد بأن ربنا يحكم السماء والأرض ولايسقط عصفور بغير إذنه،بما أن هذا كذلك فإن قدرة الإنسان يجب أن يسمح وجوده الموهبة لكي يحكم كل الأحداث في السماء والأرض، فقد قيل بوضوح أن مسيحنا جسد في جسم يشبه جسمنا ولكن بدون خطيئة، إن مسيحنا هو الآن دائم، وليس من المحتمل أن يكون له شكل احتوى على عائق لالوهيته، ولذا فإن الشكل الذي إتخذه يجب أن يكون بالغ الكمال. وبما إن الإختلاف بينه وبيننا هو خطيئتنا (التي أزالها) فنحن بالتالي يجب أن نكون قادرين على إدراك الوهيته، واعتقادي بأن سعادتنا في المستقبل هي في أن نكون محدودي العقل، سنحافظ على كل ديمومتنا مدركين للمعرفة اللامتناهية للرب والتي شُكلنا لنستطيع عمل ذلك، والتي ستدوم إلى الأبد بقدر ما هو لا متناهي إنها محبطة عندما يصل المرء إلى هذه المواضيع وعليه أن يصل إلى السؤال المخيف عن السودان، كذلك التفكير بأن البؤس هنا هو قدرنا عندما نكون مع سيدنا؟ أن نكون مثله والذي يمكن أن يقال: بإنه منذ مولده وحتى مماته كان بائساً بكل ما

تحمله الكلمة من معنى وبقدر ما يتعلق بالأشياء في هذا العا لم، ومع ذلك فإني أقاوم أقل عائق لإرادتي.

إنني بالتأكيد سأبذل أقصى الجهد وبتفان، إذا جاءت أي قوات لجلالتها هنا أو إلى بربر وأعيدهم قبل شهر يناير وأتحمل كل العبء بطيب خاطر. حقيقة إن الأهالي لا يستحقون تضحيتي الكبيرة ونحن فقط ملتزمون تجاههم نسبة لسلوكنا المريب في مصر، ولكل التزام حدود وسأعالجه في يناير، أما بخصوص الأوربين في كردفان فقد أنكروا مسيحهم، ماعدا واحد، ويستحقون قدرهم إلى حد ما.

١٩ سبتمبر

كان الخديوي السابق دائماً يقول: بإن الصعوبة الكبرى في حكم السودان هي نقص الوسائل للوصول بسهولة، ولذا فقد شرع في مشروع كبير للسكك الحديدية، كان يقول دائما: بإن الحكومة سيئة نسبة للحصانة التي يتمتعون بها وعدم قدرته على مراقبتهم، لن يكون من السهل حكم السودان بمجرد أن يتم إنشاء مواصلات جيدة. إن الطريقة الوحيدة للوصول إلى السودان هي عبر النيل وأن يتم ذلك بدون صرف أكثر من ١٠٠٠٠ جنيه نظراً للحالة المالية الفقيرة لمصر.



يبين هذا الرسم مجرى النيل من الخرطوم إلى أسوان، وأن abcdefg هي الشلالات، توضع بواخر في المسافات الصالحة للملاحة بين الشلالات وتقام حصون صغيرة عند رأس الشلالات وبذلك يوجد طريق مفتوح على الدوام يعمل نفس الملاحين على هذه البواخر، فخدمة أسبوعية ستكفي وتكون هناك جمال عند رؤوس الشلالات لنقل البضائع من سفينة لأخرى.

يعد الصرف الأولي والذي بالتأكيد لن يزيد عن ١٠٠٠٠ جنيه، لأن لدينا البواخر (أعتقد ٥٠٠٠ جنيه ستكون كافية) سيقوم هذا العمل بالصرف على نفسه بالطبع، من الأفضل عمل خطوط ترام تشغل بالحيوانات بدلاً من

إبقاء الجمال عند رؤوس الشلالات، لقد تأملت وتدبرت هذه الفكرة بهدوء في الوقت[٤٤] الذي كنت فيه في السودان من قبل.

ذهب للكولنيل ماسون وتفحص الشلالات بين ضك ووادي حلفا ووجد ٤٠ ميلاً صالحة للملاحة. قد يقام خط سكة حديد وادي حلفا على بعد ٩ كيلومترات ويوصل إلى شاطئ النهر. إن محن السودان نشأت من هذه الفكرة للإستفادة من النيل والتي لم يتم تنفيذها، ولكن على المرء أن يتمعنها بهدوء. كانت القاهرة متجهة نحو فكرة سكة حديد وادي حلفا والتي صرفت عليها مثل هذه المبالغ.

إنني أخذت بأخرة من وادي حلفا حتى دنقلا (يعني أن المستر بيرد هو من فعل هذا) للبدء في سلسلة البواخر.

لا عرضه يمكن التحدث عنها. يمكن مشاهدة العرب الآن في الجهة الجنوبية على بُعد أربعة أو خمسة أميال، لم يحضر العرب اليوم مدافعهم إلى النيل الأزرق و لم يحضره إلينا رجالاً هاربين. اليوم الراحة الأسبوعية عند المسلمين، وليس هناك عمل في المكاتب (ليس معنى هذا أن هناك عملاً كثيراً في الأيام الأخرى ومع ذلك لا يرى المرء أي شخص من الصباح إلى المساء).

منحني هذا وقتاً للتفكير حول اندلاع السخط بالنسبة للمنشور عن الرقيق، لم نر الصحف ولكن يمكن أن نتخيل ما كتبته وأتوقع أن هذه؟ رفع الأيدي باشمئزاز (هل العالم مقبل على نهايته؟) ياله من هراء! ألم يعلن صراحة أن السودان سيتم إخلاؤه، وبالتالي فإن السودانيين سيسمح لهم بتنفيذ رغباتهم (التي هي بالتأكيد الميل إلى صيد العبيد)!. ما الأثر الذي يمكن أن يتركه قولي: بإن تلك الإتفاقية الهزيلة لعام ١٨٧٧م لن تطبق على أناس سيتخلى عنهم؟

إن الهدف الوحيد والكلي لرسالتي هو أن أخرج الحاميات واللاجئين بدون فقد للأرواح، وبقولي: الذي قلته فإني فقط أخبرت الناس بملاحظة تافهة.

تلقط بارنج بالقول: إنه سيدعمني بالطبع، إنه دعم ضخم بأن أحصل على موافقته أتوقع أن طلبي بمجئ الزبير كان القشة التي قصمت ظهر البعير، ومن ثم أصبحت منبوذاً بالكامل في الحقيقة إذا كان سيتخلى عن السودان، فما هو الفرق الذي يمكن أن يحدث سواء أكان الزبير أو المهدي هو من يقوم بصيد العبيد؟ فوفقاً لكل الروايات فإن المهدي ناشط كثيراً في هذا المجال (هكذا يقول اليوناني) لقد قررنا التخلي عن السودان وتركه لرغباته وإن العائق الوحيد لهذا هو تلك الحاميات البشعة وحين نقدر على إخراجها ستسود الفوضى وهذا كل ما نأبه له.

لن يسمح لنا العرب ببلاهة أن نرجع، وبالتالي هذا هو الوضع الحالي. أعتقد إن بمجئ الزبير عندما طالبت بذلك كان سينقذ بربر ويساعد كثيراً في خروج تلك الحاميات والتي نهتم بها، لأنه عار شنيع أن نهجرهم (كان يجب أن نستسلم حالاً، إنهم رجال مزعجون ومثيرون للكثير من الضجة).

سيكون ستيورات شاهداً على أن كل جهودي كانت ولاتزال تنفيذ تعليماتي أي سحب الحاميات واللاجئين. لولا هزيمة محمد علي باشا لكنت أخرجت على الأقل ثلث هؤلاء الذين في الخرطوم وسنار كنت منهمكاً في عمل معين، (أي إحضار الحاميات) وكان يناسبني كثيراً أن أقبل هذا العمل (عندما يتقرر إخلاء السودان) والذي حسب رأي أفضل من أن يترك لهؤلاء العاجزين والحقيرين من الباشوات المصريين، وافقت حكومة جلالة الملكة على إرسالي، وكان شأناً متبادلاً فهم لا يدينون لي بشيء إطلاقاً وأنا لا

أدين لهم بشيء، سأل عضو برلماني في إحدى الصحف التي استلمتها مؤخراً (أليس من المفترض أن يذهب الضباط إلى حيث أمروا؟) أوافق تماماً على وجهة نظره، ولكن لا يمكن أن يقال: بإني أمرت بالذهاب. إن الموضوع أكثر تعقيداً (لقد كان على نحو هل ستذهب وتحاول؟) وكان جوابي(بكل سرور)، أما عن كل ما يقال عن الصمود ...وغيره، فكله ثرثرة لأنه لم يكن هناك خيار.. أما عن كل ما يقال عن لماذا لم أهرب مع ستيورات – ببساطة أن الأهالي لن يكونوا بلهاء بالسماح لي بالذهاب وهكذا، هي نهاية الأمر لهؤلاء من ذوي المعاطف الثقيلة والتضحية بالنفس ... وغيرها، ضع أمام الرجال فرصة النجاح من خلال الصمود والموت، الأكيد أو الأسر الشنيع إذا استسلموا ... ليس هناك الكثير من الفخر في الصمود يجب عليّ أن أضيف في هذا الشأن(لن يسمح لي الأهالي بالذهاب) حتى لو كانوا راغبين في أن أذهب فما كنت سأذهب وأتركهم في بؤسهم. أعتقد إنني أقول بصدق بأنني لم أطلب حملة عسكرية بريطانية، لقد طالبت بإرسال مائتي جندي إلى بربر في الوقت الذي هزم فيه جراهام عثمان دقنة.

إن المرء يمكنه الافتراض بأن لا خطر على هؤلاء المائتين من الرجال، وطالبت بمجيء الزبير [٤٥] أهان ستيورات كوسي والذي ثأر لنفسه بخيانة بربر. (أعلن بارنج صراحة لن تذهب قوات إلى بربر)، وهو فعل لا مبرر له من جانبه. قد نكون متأكدين من أن كوسي (الذي يحب يارنج) لم يتوان عن اخبار المهدي بذلك وفوق ذلك فقد وبخني بارنج علانية على عدم حصافتي في طلب الزبير،[٤٦] لقد فعلت هذا متعمداً كي أجنب حكومة جلالة الملكة عار مثل هذه الخطوة!.

أما بخصوص رفض الزبير المجئ (كما قال كوسي) فإني أرجعه إلى بعض التآمر في القصر، واعتبر (إذا كان صحيحاً) إنه أجبر على قول ذلك. إذا جاءت حملة عسكرية فأنا شاكر رسمياً من أجل الناس ولكني اعتبره حقاً يمتلكونه، ولأنه لو لم يكن قد تم التدخل في مصر، فإلى حداً ما كان أكثر من سبعة أشخاص سيأتون إلى هنا كتعزيزات في ما بين ٢١ نوفمبر ١٨٨٣ عندما عرفت هزيمة هكس و ١٩ سبتمبر ١٨٨٤، أنا شاكر (شخصياً) لأنه بالتأكيد عندما يصل قائد تلك الحملة سألقي على كاهله عبء الحكومة، (وأفعل ما أستطيع لمساعدته) لا أستطيع نسيان عذابات هؤلاء الرجال بسبب عدم وجود قرار فيما يتعلق بالزبير، وليست هناك كلمات معسولة يمكن أن تزيل هذه العذابات من ذاكرتي ليس فوق الإطراء أن يصمد الرجل، فعندما لا تصمد تقطع عنقك.

إنني كثير الامتنان لهؤلاء الذين صلوا من أجلنا. إن مجئ أي حملة عسكرية هو شرف لإنجلترا وستكون إنجلترا ممتنة،وسأعلق(ربما يقصد) مشاكل الحكومة على عنق شخص آخر ليحل المشكلة. يقول افرتون في تلغرافه المؤرخ ٢٩ أبريل سواكن وذلك الذي بدون تاريخ من مصوع: (إن حكومة جلالتها لا تفكر في اقتراحك بإرسال قوات تركية أو أخرى للقيام بعمليات حربية في السودان، وبالتالي إذ مكثت في الخرطوم فعليك إبداء أسبابك) إن أي شخص يقرأ هذا قد يتخيل بأن المرء يعيش حياة ترف هنا، بينما أنا متأكد بأن لأ أحد يرغب في الخروج أكثر مني والأسباب هي هؤلاء العرب الشجعان.

أعترف بأني كنت متمرداً على حكومة جلالتها وموظفيها، ولكنها طبيعتي ولا أستطيع الفكاك منها، أخشى أنني لم أحاول حتى أن ألعب معهم لعبة المضرب أو الريشة، أنا أعرف أنني لو كنت رئيساً لما وظفت نفسي لأنه

لا سبيل لإصلاحي. أنا بالنسبة لرجال، مثل ديلك، يزنون كلماتهم (سم زعاف) أتعجب كم كلفت التلغرافات عن السودان حكومة جلالتها؟ في الحقيقة إنه سؤال فظيع، هناك مدينة الأبيض وشيخ العبيد؟ هناك الرجل ذو الهالة في القاهرة وهناك الرجل ذو الهالة في الخرطوم. لابد أن ساندرسن واجه أوقاتاً عصيبه، (تتحرك المدينة في كل جهة) إذا هوجم الرجل ذو الهالة لماذا تكون القاهرة في خطر؟ أرسل لي ويلسلي، هزم شيخ العبيد قوات الخرطوم، لماذا لابد أن المدينة تحركت أليست الأبيض هي المكان الذي ذهب إليه هكس للإستيلاء عليه؟ والأكثر غرابة (أرسل ويلسلي).

(وجدتها! لقد وجدتها؟. هناك رجل يدعى العبيد ومدينة تدعى الأبيض. عندما يحدث تحرك فهو الرجل وليست المدينة هي التي تحركت! بعد كل هذه ساتردد في أن أطلب وظيفة من وزارة الخارجية، ولن أحصل على المزيد من أوراق البنكنوت الجديدة كما كنت أفعل في كنجهام في ١٨٥٨- ١٨٥٩م (عندما كان الستون صبياً - هكذا أقول) في غرف داونينج استريت القذرة والتي تم إزالتها الآن يتخيلهم المرء وهم يقولون:(ذاك الوحش المهدي! ذلك البعث المقيت لسيتورات وباور وهيربين في دنقلا!. سينتهي الاسترخاء الذي استحقته حكومة جلالتها كما قال السير ويلفرد لاوسن (هو غير نظامي) ستتأوه في يوم من الأيام عندما تسمع عن التل الكبير).

أنا أفكر في كل الأعمال الجبانة التي حدثت عام ١٨٨٢م، والتي كان أسوأها هروب الأوروبيين من الإسكندرية أمام قوات الفلاحين البائسة، إذا كانوا قد قاموا بتحصين شوارعهم لكانوا قد صمدوا أمام ﴿٥٠٠٠٠﴾ من هذه الأشياء الهزيلة (مثلما فعل أبوت في فندقه والبنك المصري في مكاتبه) لا يوجد جندي جدير بالازدراء أكثر من المصري، نحن لا نعتمد عليهم هنا

فهم محتقرون. لا يذهبون أبداً للقتال، وسيكون ظلماً فادحاً جعلهم يفعلون ذلك. لقد حاولنا مرة فرفضوا صراحة أن يغادروا البواخر. إننا نحتفظ بهم في قطن طبي لإرسالهم إلى ويلسلي (إن كان قد نجا من العاصفة).

(طوبى للرجل الذي لم يجلس في مجلس المستهزئين) (المزمورإصحاح ١) أنا أعترف بأنه ليس صواباً أن يسخر المرء من رؤسائه، ولكني لا أفعلها بحقد وأرجو أن لا يغضب هؤلاء الذين أبديت ملاحظات حولهم، إن الحياة عملية ثقيلة حتى الأرهاق، ويكون من الأفضل تخفيفها. أنا لا أعتقد بأني رئيس بارنج وأيفرتون ووزارة الخارجية عندما ما انتقدهم، ولكني أنتقدهم لأني أحب أن يروا كيف ينظر الأخرون إلى الأمور خارج رؤيتهم. إن اختلافي معهم لايعني بأنهم ليسوا على صواب ولا يتصرفون بطريقة مستقيمة، وقد أكون مخطئاً تماماً أنا متأكد بأن (الكائن الأسطوري) مقتنع بضمير حي بأن كل ما فعله في مصر كان صواباً، وإذا زرته في بروكسل ستجد في لمحة بأنه مرتاح البال.

أحد الأمور التي لفتت نظري واضحكتني في فلسطين، وتمثل كيف أن مديح العالم قليل الأهمية، كان مقاله في الـ(تايمز) تصف منح دكتوراه في القانون المدني من اكسفورد. منح هذا الشرف للسير شارلس ويلسون، في تعليقها على الأمر خلطت التايمز بينأر أي ويلسون ورفرز ويلسون من مكتب الأئتمان القومي، وتحدثت عن (القدرات المالية) في مصر. بالطبع فإن أر أي ويلسون لايسعه إلا أن يفكر بأنه سرق شهرة ويلسون التابع لمكتب الأئتمان القومي، بينما شعر ريفرز ويلسون بالأذى لأنه تم سرقتها منه، وبالتالي أنزعج شخصان، بينما كان الكاتب في التايمز. عند كتابة مقاله يفكر في كيف يدفع إيجاره (هذا مجرد افتراض).

قد نكون متأكدين من أن جونز يهتم أكثر في أين سيتناول العشاء أو ماذا سيأكل أكثر مما فعل سميث، لذا نحن لسنا بحاجة لأن نغتاظ لما يقوله العا لم. كان مقال التايمز قارصاً لار أي ويلسون وأفسدت تماماً متعة استلام دكتوراه القانون المدني، ومع ذلك فإن كاتب التايمز فعل كل مافي وسعه ليمجد أر أي ويلسون. أعتقد أن الصحافة ذات مستوى راقي في نشر المقالات ولكن نحن عندما نأتي لنلوم أو نمرم فأنا لا أبالي البتة بـ(نحن) لاني قد رأيت ووجدتهم مثلي كثيرا. لن أكمم أبداً الصحافة أو مراسليها لأنهم مفيدين جداً ولايمكن للمرء أن يكون ممتناً لهم كثيراً (أنا أقر بهذا أكثر من أي شخص آخر)، ولكن بالتأكيد وظيفتهم لا تمتد إلى لوم أو مدح شخص. هناك أفتراضى بالاستعلاء لأن الأعلى هو من يستطيع فعل ذلك مع الأدنى، ليس هناك صحيفة يمكن أن تدعي أن مراسلها أعلى من الجنرال (رغم ذلك أعتقد بأنه في بعض الأوقات قد تكون تلك هي الحالة) خذ كمثال هزيمتنا هنا في ١٦ مارس، والتي أرجعت إلى خيانة الباشوات لن تستطيع ١٠٠٠٠ مقالة في التايمز أن تجعلني أفكر بأن أعدامهم لم يكن قتلاً قضائياً، ومع ذلك فمن المحتمل أن تقول التايمز: أننى كنت مبرراً – إنها لا تغير شيئاً بالنسبة لي – إنها ببساطة معلوماتي ضد معلومات مراسلهم إذا رأت التايمز هذا منشوراً ستقول (لماذا إذن تصرفت كما فعلت؟ أخشى أن ليس لدي إجابة على ذلك.

٢٠ سبتمبر

جاء اليوم ستة جنود هاربين ومعهم أسلحتهم. يقولون: إن آخرين يفكرون في الإندفاع جماعياً نحو خطوط القتال ليهربوا: وأن العرب مندهشون لهدوئنا ويعتقدون بأن الغاماً وضعت عند الخطوط يقول هؤلاء الرجال: بإن المهدي لايزال في الرهد وليس شات أحد هؤلاء الرجال كان يشبه الطاؤوس، وهو في زي الدراويش المرقع الذي يلبسه بالأمس وعند المساء، وبينما كانت عاصفة تهب أخرج ود النجومي مدفع كروب قاصداً قصفنا بالقنابل ولكنه ارجعه بناء على اعتراضات أبو قرجه الذي قال: بإننا بقينا هادئين لعدة شهور وأنه قد أقام تحصينات جيده، ولكن في أحد الأيام أندفعنا فجأة نحوه وهزمناه.

وجد خطاب غريب كتبه ضابط ذو رتبة عالية، قبل أن تفنى قوات هكس بقليل وبه هذه الكلمات (أيها الغريب إذهب وأخبر العفاريت بإننا نرقد هنا إطاعة لقوانينهم). •

لقد أسات في صفحة سابقة إلى الجندي المصري، ولكن هذا ليس عدلاً، ماهي الفائدة التي يجنونها من العمليات شبه الحربية في السودان؟ لقد هزمهم الإنجليز في مصر ومن ثم أرسلوهم إلى هنا ليتم ذبحهم بالكامل. قد يقول المرء: على أية حال إن العشرة الآف من جيش هكس الذين تم ذبحهم أظهروا أنهم يمكن أن يموتوا إذا لم يمكنهم القتال عندما تم تطويقنا، ثم عُزل الكثيرون من الرقيق عن أسيادهم في الخرطوم، ومنذ ذلك الحين بدأوا يبعثون

لنا بأعداد قليلة، أعتقنا النساء وجندنا الرجال كان هذا صعباً على أسيادهم لفقدهم عبيدهم، ولذا صممت على تعويض الأسياد بسبعة جنيهات للرجل وخمس جنيهات للمرأة لأنها كانت تعتبر سلعة وضيعة، بالتأكيد سأجعل (شخصيات بلوتراخ) دليلاً لضباطنا الصغار فهو يساوي عدد من (فنون الحرب أو التكتيكات الصغرى).

بعض الروايات في الجريدة الرسمية، والتي تصف أسباب منح صليب فكتوريا مذهلة تماماً. مثل أن رجلاً مع آخر أرسلا في مهمة استكشافية، جرح الآخر وانتظره رفيقه وأردفه على حصانه وبذلك أنقذ حياته. ماذا كنا سنقول إذا كان قد ترك رفيقه؟ تمر حالات كثيرة مثل هذه بلا اهتمام. إذا قرأت من قبل (شخصيات بلوتراخ) فهي ببساطة واجب الرجل. إن الجندي ملزم بالكامل تجاه عمله كجندي، فهو لا يستطيع أن يفعل أكثر من واجبه في الميدان، لذا هو لا يستحق شيئاً، لقد سبق أن دفع له عن هذه المهنة وليس للحامية أو حياة المنزل، الفكرة الأصلية لصليب فكتوريا هي أن يمنح الملازمون من الضباط وضباط الصف وساما يحل محل وسام الشرف للرتب الأقل من رائد، وهي بموجب القوانين لا يمكن منحها ومن ثم جاء الخطأ بمنح صليب فكتوريا لأفعال الشهرة، وهو ما يحدث الآن. أنا أحب أيرون ديوك بإنفعالاته الرهيبة فقد قال: لصديق لوالدي كان يولول على خدمته الطويلة والجديره بالتقدير (إنه يجب عليه أن يكون سعيداً بأن البلاد احتفظت به هذه المدة الطويلة)، أتمنى أن يتبع ويلسلي هذا المبدأ ويجلب لنا بعض الشهامة الدون كبشويته. أشعر أن هذا ممكن بالتأكيد لأننا نفس الرجال كما في السابق. لم يكابد أي ضابط أو جندي خلال ثلاثة حملات من أربع في السنوات الماضية مثل هذا الحرمان والمخاطر التي كابدها ضباطنا وبحارونا في الزوارق البحرية وفي أجزاء مختلفة من العالم، ومع ذلك فإن الآخيرين سيسخرون منهم كأنهم

التمسوا هذا الحرمان للحصول على مكافأة، يدافع الرجل عن معسكر وإذا فقده تقطع عنقة، فلماذا يمنح صليب فكتوريا؟ وإذا منح فلماذا لايمنح كل من كان معه؟ إنهم دافعوا عن أعناقهم بالتساوي. أود أن يتم سؤال الرجال عن البلاد التي هم فيها، هم جنرالاتنا الذين أمضوا كل وقتهم في المكاتب منشغلين بالمحاكمات العسكرية ... وغيرها. والذين يخصصون أحياناً يوماً لتحريك الرجال في تشكيلات لم يتم تطبيقها عملياً أبداً في الميدان، وظيفة الجنرال في الميدان وليس المكتب وكان وقتهم مخصص للحصان في الأصطبل وليس للبلاد، حيث إن هذا هو الأهم. أود أن أرى ويلسلي يستعرض الجنرالات في مراكزهم ويسألهم عن الوسائل واقتراحاتهم حول توزيع الرجال في حالة الهجوم وعن إعدادات المياه إلى الحصون،لا أعتقد أنه معروف عموماً بإنه إذا قام زروق حربي بفصل حاجز البحر بالقرب من كولبج على التيمس فإن حصني شورميد وكليف سيعزلان عن البر الرئيسي وأن نهر التيمس سيفيض إلى الأراضي العالية ويصبح عرضه عشرة أميال. هناك رجل واحد أعرف أن لديه الموهبة ليتساءل، وذلك لأنه يعرف كل جزء في الساحل وهو السير دبليوم جيرقويس إذا لم يكن لدى ويلسلي الوقت فعليه أن يقوم بدور المعلم. بالطبع كل هذا خيانة مخيفة وافتراض.

قال جاسوس: إن بواخر سيتورات أعادت الاستيلاء على الباخرتين اللتين فقدتا في بربر، لم يكن هناك قتال يذكر وأن القوات الإنجليزية هزمت العرب وتتقدم نحو أم بكول[٤٧] التي تقع في منتصف الطريق بين الدبة ومروي.

هرب جندي شاب أسود من العرب طارده ثلاثة من الخيالة وبعض المشاة واستمر في إطلاق النار تجاههم حتى وصل إلى الخطوط، وقال: إنه قتل اثنين من مطارديه. كتبت خطاباً إلى عبدالقادر وهو شيخ كبير في الجبهة

الجنوبية وبعثت معه رزمة من الصابون لأنه اشتكى لأحد الهاربين من رجالنا بأن ليس لديه صابون. أخشى أن يعتقد بأن الرزمة عبارة عن لغم. أمرت ببيع خمسمائة أرادب من الذرة الحكومية على أن لا يكون نصيب الأسرة الواحدة أكثر من أردبين، إن الاستيلاء على البواخر يفصل عرب بربر عن هؤلاء الذين في الجانب الآخر.

كان مع الجندي الشاب ثلاثة آخرين ولكنهم تراجعوا وتم القبض عليهم أخشى أنهم سيعانون، ولكن المعاناة الجسدية لن تغير ما في القلب ومن ثم فأنا لا أعتقد بأن هناك حاجز بين الجنة والنار، حيث يتم تطهير الأرواح. بما أن العرب لهم نوع من الميل للتسلل إلى الجريف، ذهبت الباخرة التوفيقية إلى هناك ووضعت عشرين لغماً لمنعهم من الذهاب إلى ذلك المكان. الأمر الأسوأ هو أن فتايل الإشعال المحلية نفذت ولا يمكننا صنع بديل، لذا علينا العودة إلى خرطوم (.....) البارود وتوصيله في مجموعات، كل مجموعة مكونة من عشرة، أعتقد أن السلك الشائك مع الألغام سيحمي أي مكان إذا كان لدى المرء قوات معقولة خلف الساتر يجب أن يكون السلك على عمق عشرين ياردة وتربط معه الألغام الأرضية. لا يمكن لمدفعية الميدان إبطال مفعولها ،فقط يدمرها القصف المتواصل لعدة أيام.

جاء رجل من شندي وعزز خبر تقدم الحملة العسكرية وهزيمة العرب. جاء آخر وهو يقول: بإن الباخرة عباس مرت بأمان، وأن الباخرتي(المنصورة والصافية) في طريق عودتهما ولكنه لم يقل شيئاً عن الاستيلاء على الباخرتين في بربر. جاء جندي هارب آخر. أخذ العرب الرجل الذي يحمل راية الهدنة (أرسلته بخطاب إلى عبدالقادر - الشيخ الكبير) إلى خطوطهم. لقد حمل خطاباً من العلماء إلى المهدي.

تقول معلومات لابأس بها: بأن المهدي كتب إلى القبائل في الجوار يخبرهم بالخضوع إلى سلطتنا وأن لا يقاتلوا وأن يدفعوا الضرائب...وغيرها. وأنه إذا كان هو المهدي فإن الأتراك وكل الرجال سيعترفون به في آخر الأمر بدون المزيد من القتال. تلقينا هذا من مصدرين مفنصلين. أعتقد أنه يشعر بأن فشله هنا سيقود إلى سقوطه، لذا سيتصالح كي يحتفظ بكردفان كما اقترحت عليه بداية.

أرسل الفكي مصطفى (الرجل الذي يقود العرب في الضفة الغربية) ليقول: إنه لم يكتب أبداً الخطاب الوقح E والذي لم يكن عليه ختمه. أخرج الطبيب اليوم حصاة في حجم بيضة البجعة من بطن رجل.

ليس هناك شيء مثل الحرب الأهلية لتظهر حقارة الرجال، أحد أكبر همومي هو الشايقية الذين يتحركون نحوي أو نحو المهدي. أعتقد أن الجانبين يحتقرونهم وفقاً للتاريخ، فإن نفس الشئ حدث في عهد جيمس الثاني، عندما نزل وليام أوف أورانج إلى اليابسة، لم يظهر جيداً في الصورة زوج الملكة (آن) أمير الدنمارك، وأتوقع أن الأمبراطورة أيوجين يمكنها أن تقول الكثير عن (الخونة) في زمانها. يجب أن أقول بأني أكره الشايقية وإذا كان لي أن أفعل ما أريد لآذيتهم، ولكن السياسة تقول :(أمدد لهم الحبل) لقد أخبرتهم بوضوح بأني على علم بأن المصلحة الشخصية هي التي تسيرهم، وهي على أية حال تفاهة لأنها تحكم أكثرنا.

٢١ سبتمبر

جاء اليوم ستة جنود هاربين بأسلحتهم. يقولون: إن العرب غاضبون لفقدهم بالأمس دوريشهم الطاؤوس (الذي كان أحد ضباطه)، وأيضاً نسبة للفرار المستمر بين صفوفهم وقد كتبوا إلى المهدي يسألونه هل يقتلون هؤلاء السود أم لا؟. أجر المهدي ألف جمل، ثلاثة دولارات للجمل الواحد لجلب الذرة إلى معسكر العرب، ولكن الذين كلفوا بفعل ذلك فروا بالمال والجمال إلى الداخل. يتواجد المهدي في شات[٤٨]. وصل رسل إلى أمدرمان ويقولون: بأن قوات مشتركة بريطانية وهندية في الدبة على النيل شمال دنقلا، وأنهم هزموا مجموعة من الدراويش. قال اليوناني الذي جاء قبل أيام قليلة من العرب بأن المهدي أعطى كوسي مرهماً ليمسح به جسمه مما سيحيطه بهالة من القداسة. أخبرت الحلفاية بأن هناك مجموعة من العرب تقوم بالنهب بين الحلفاية والسبلوقة[٤٩].

جاء الرسل الثلاثة من دنقلا بتلغرافين مشفرين من أيفرتون في نفس الوقت غير مقروءتين فهمتهما جزئياً ومذكرات من فلوير [٥٠] وكتشنر [٥١] يقولون: بأن القوات قادمة ،وخطاب من مدير دنقلا يقول فيه إنه هزم العرب أربع مرات قبل تقدم البريطانيين، منحته لقب باشا وطلبت له من الخديوي وسام سانت مايكل وسانت جورج. أمرت بإطلاق ثلاث قذائف من كل مدفع للتحية وإنذار العرب بأن هناك شيء سيحدث. سأرسل جواسيس غداً. منحت الرسل الثلاثة ٥٠ جنيهاً وأعطيت كلاً منهم ١٠ جنيه مع وعد بعشرة

جنيهات أخرى عند وصولهم دنقلا. قالوا: إنهم لم يمنحوا شيئاً عندما بدأوا في المجيء، وهذا أمر غريب إذا كان صحيحاً.

جاء ظهر اليوم ثلاثة جنود هاربين وقالوا: بأن العرب نزعوا سلاح كل الجنود السود وأخبروهم بالذهاب إلى حيث يريدون، لذا أتوقّع الكثيرين غداً. أطلقنا ثلاثة قذائف للتحية من كل مدفع على خطوط القتال لتجعل العرب يعلمون بتقدم قوات الحملة، قال الرجال الذين جاءوا: بأن العرب يتوقعون هجوماً.

سأرسل غداً تلغرافاً إلى القاهرة لحسم الأمر بقدر ما يخصني، صيغة التلغراف كالآتي: (إذا قمتم بإبعادي من منصب الحاكم العام حينها ستنتفي كل المسؤولية عني، أما إذا أبقيتموني كحاكم عام حينها ومهما كلفني تفويضي في خدمة جلالتها؛ سأعمل على إخراج كل اللاجئين من البلدة).رداً على تحية المدافع الثلاثة قام العرب هذه الليلة بإطلاق تسعة قذائف على خطوط القتال وذلك ثأراً على تحيتنا، مرت قذيفتان فوق الخطوط.

رجع الرجل الذي حمل الخطاب ومعه خطابان والصابون الذي تم رفضه، تحيتنا التي تم الرد عليها بقذائف مدفعية جعلتنا نطلق قذائف مدفعية كرد. قال الرجل الذي رجع بالصابون: إن قذائفنا قتلت عشرين رجلاً وأخشى أن يكون هذا تضخيماً. يقول الرجل: إن العرب في حالة سيئة ولديهم القليل من الطعام. لقد هددوا بقتله. أرسلت خطاباً رداً على ذلك.

٢٢ سبتمبر

جاء عبد هارب اليوم. يقال: بأن بواخر بربر قادمة، أرسلت ٢٠٠ جندي من الحلفاية لإبعاد مجموعات العرب التي تنهب الطرق من هذا المكان وحتى السبلوقة. عادت الصافية والمنصورة من بربر اجتازتا الباخرة عباس، هذا كل شيء وأنا ممتن لذلك لقد نفذوا أوامري، خطاب ستيورات يروي بالتفصيل. فقدت البواخر ثلاثة قتلى وأربعة جرحى، رأوا الباخرتين المستولى عليهما على الشاطئ.

ملحوظة: عندما توضع الألغام ذاتية الانفجار من الأفضل لفهم بحبل ليسهل رفعهم.

٢٣ سبتمبر

عاد الرجال الذين ذهبوا لإبعاد المجموعات التي تنهْب في الطريق بين الحلفاية والسبلوقة أبعدوا العزب واستولوا على أشياء كثيرة.

خلال الحصار أي من ١٢ مارس وحتى يوم ٢٢ سبتمبر صرفنا

٣٢٤٠٧٧٠	رمنجتون
خرطوشة	
١٥٧٠	مدفع كرون
٩٤٤٢	مدفع جبلي

فيما يتعلق بخراطيش الرمنجتون ربما يكون العدو قد استولى على ﴿٢٤٠٠٠٠﴾ وبذا نكون قد أطلقنا ﴿٣٠٠٠٠٠٠﴾ وأتوقع أن يكون العرب قد فقدوا ١٠٠٠. إحتاج قتل عربي واحد إلى ٣٠٠٠ خرطوشة.

لدينا هنا

٢٢٤٢٠٠٠	رمنجتون
خرطوشة	
٦٦٠	مدفع كروب
٨٤٩٠	مدفع جبلي

نحن نصنع ٥٠٠٠٠ خرطوشة رمنجتون أسبوعياً.

هاجم ٥٠ عربياً رجالنا الذين يجمعون المؤن والذين كانوا خارج بري ولكن الباخرة أبعدتهم.

لم يحضر جنود هاربون اليوم، أتوقع أن الجميع سجناء ،هناك خمسين تافهاً مع العرب في بربر.

أنا متأكد بأنه يجب عليّ حب ذلك الشخص أيفرتون. هناك هزل خال من الهموم في اتصالاته، وعليّ أن أعتقد بأنه لا يكترث لهموم الحياة لاحظ البيان في الهامش. إنه يرغب في معرفة (اليوم والساعة والدقيقة) إنه (غردون) يتوقع أن تكون لديه(ضائقة في ما يتعلق بالمؤن والذخيرة) [٥٢] ، أعتقد إذا راجع أيفرتون (سجلاته ((كلمة جميلة) في مكتبه سيجد أننا كنا في ضائقة منذ عدة شهور. هذا مثل رجل على الشاطئ يرى صديقه في النهر يختفي تحت الماء، ثم يظهر ثلاث مرات فيصيح الرجل: يا صديقي أخبرنا متى نرمي إليك عوامة النجاة. أنا أعلم أنك غطست مرتين أو ثلاثة ولكن من المؤسف أن نلقي إليك بطوق النجاة إلا إذا أصبحت في النزع الأخير، وأنا أريد أن أعرف بالضبط فأنا رجل نشأت في مدرسة للدقة. مع أني نسيت ﴿؟﴾ أن أؤرخ تلغرافي في يونيو حول (عقد مرافقة البدو).

أرجع إلى صفحة ... أرسل إلى ويلسلي. أرى أنهم أرسلوا إليه قبل شهر فقط (مدن كريهة تثور وكريه جداً السودان).

خطاب أيفرتون القصير المشفر [٥٣] الذي لم أستطع حل شفراته لأن ستيورات أخذ معه كتاب المفتاح. ولكني أشعر بأنه خطير وأنا آسف لأني لم أستطع الحصول على مضمونه والذي أعتقد بأنه سيوفر مادة للتعليق المضحك.

أرسل لي مدير دنقلا تلغرافاً تجده في الجانب الآخر [٥٤] يخبرني بالقلق الشديد

الذي أنتاب القاهرة (عندما سمعت بأن بربر قد سقطت وأشيع بأن الخرطوم سقطت أيضاً) بانسحاب سكان دنقلا.

(القى بالأشياء في النهر) ..الخ (ولكن أذهب بعيداً) (إننا معجبون جداً بك) (لافائدة من البقاء)...اعتقد أن المدير ضحك ورأى نوع التعليمات(ضع حاجز فوق حاجز بين الخرطوم وشقيقاتها من المدن المحاصرة والقاهرة)، دعنا نسمع نهاية هذه المدن المتحركة والرجل ذو القداسة. ياله من اشمئزاز شنيع من هذا العبث! جعلت المدير باشا وكان ضابطاً سابقاً معي، عندما جئت أمرت بعزله لأن أوامري كانت أن أعيد تنظيم البلد بموظفين سودانيين وليس لأنه سيء اعترضت القاهرة(كيف يجب عليهم لِيّ أياديهم فوق هذا الآن؟) وطلبت مني الغاوه وقد فعلت، وقد أنقذت دنقلا وبطريق غير مباشر الخرطوم. لو كنت عينت سودانياً لكان قد ذهب إلى المهدي كما فعل حسين باشا خليفة، ومن ثم أعتقد بأن القبر كان سيتم إغلاقه لنرقد جميعاً بسلام. عندما يفكر المرء بأن القاهرة أنقذتنا بتدخلها في إزاحتي لهذا الرجل – فيجب أن نضيف العلقم في الكأس التي سيشربونها، إن التلغرافات حول إعادة هذا الرجل والرد عليها توجد في يوميات سيتورات حوالي شهر مارس.

أنا أرتب للهجوم على بربر بأربعة بواخر ومدافع كروب حالما تصل البواخر من سنار، بدأ بالأمس جواسيس ومعهم خطابات رحلتهم إلى دنقلا.

أتمنى أن يحتفظ ستيورات بيومياته بكل نسخ التلغرافات التي أرسلت لنا من القاهرة واستولى عليها العرب (قراءة ممتعة)، وأيضاً أن يجد نتيجة مهمة هويت إلى الملك يوحنا ومفاوضات يارنج لفتح (الطريق من سواكن إلى بربر)، والتي تحدث عنها في ٢٩ مارس، والتي أحدثت مرحاً صاخباً

هنا وأدت إلى إغضابه، كوسي الذي كالأبله تساءل عن حكمة ونجاح هذه الخطوة، وعندما طرد انتقم منا الأثنين (في كل الاحتمالات) بخيانة بربر وتسليمها إلى العرب.

إن أيفرتون رجل إحصاء عظيم، فهو يجمع بوضوح مادة لعمل عظيم. ما هي الفائدة الدينوية لنا حتى أن أيفرتون (يعرف بالضبط حاجتنا إلى المؤن) بينما هو على بعد ١٥٠٠ ميل. أنا غاضب لعدم حصولي على جوهر تلغرافه المشفر. كل ما أراه أن ٧٧٧٥ اسم الزبير ليس موجوداً فيه. أنا أرتب لمغادرة القصر تاركاً التلغراف فقط والذهاب إلى المديرية ليكون هناك متسع لهيئة الأركان إذا جاءوا – وهو موضوع تساؤل بالنسبة لي حتى الآن.

أستنتج مما جاء من نورثيروك أن يارنج عاد إلى القاهرة، وأن صديقي أيفرتون قد رجع إلى الأكروبولس . أتمنى أن يقول كلمة طيبة لملك اليونان في صالح ليونيوس، القنصل اليوناني هنا والذي سلك سلوكاً نبيلاً كسلفه من ثيوموبيل.

لدي قناعة جازمة بأننا لن نفعل أي شيء في مصر لا يمكن أن ينجح إلا إذا أتفقنا مع فرنسا وهذا لن يكون صعباً.

السكرتير الخاص لعرابي والذي حتى مع صبر ستيورات في العمل تخلى عنه جاء اليوم ليقول: (إنه يموت جوعاً) لذا منحته عشرة جنيهات شهرياً، كيف استطاع الانسجام مع عرابي؟ إنها أعجوبة! كان هو وستي ورات يقضيان الساعات، رافعين الكلفة، يترجمان الخطابات المكتوبة باللغة العربية وبعدها وجد ستيورات أن الرجل استخدم فقط خيالاته و لم يتكبد أي عناء لنقل معنى محتويات الخطابات.

يفطر الشايقية قلبي بمشاجراتهم العائلية. سأذهب غداً إلى الحلفاية للنظر

في الأمر. قبضوا خمسة رجال كان قد تم العفو عنهم ورجعوا إلى العرب ويريد الشايقية قتلهم وأنا أرفض ذلك. من هم المتمردون؟ نحن أم العرب؟ أنا مسؤول عن القتل القضائي لاثنين من الباشوات، وخلاف ذلك لم أقم بقتل شخص. أعتقد أن الكلولونيل ستيورات يقسو على رجالنا بسبب جبنهم، أوافق بأنهم ليسوا أبطالاً، ولكنهم برأيي ليسوا جبناء كليا، كل ما في الأمر أنهم لا يرون ذلك ولكن إذا كانوا في وضع به فرصة مبشرة بالنجاح فسينتهزون الفرصة ويصبحون جسورين. إن للصينين نفس الطبيعة (لايمكث رجلان في مكان واحد، أنت تجيء، أنا أذهب) هذه حكمة معترف بها في الشرق.

يقول جاسوس جاء إلى هنا: بإن لدى شيخ العبيد أخباراً في معسكره بأن عبدالقادر باشا في كسلا (ياله من إزعاج لساندررسن كل هؤلاء الذين يسمون عبدالقادر قد يختلطون مع الذي في الجزائر).

انفجر لغمان آخران في أم درمان عندما تم أخذهما لتغيير الفيوزات، ولكن لم يكن هناك أضرار.

قابلت اليوم زعيم الشايقية عبدالحميد والذي يقول: بإن سعيد باشا وإبراهيم باشا °° حسن ليسا مذنبين، وأن العرب نهبوا منزليهما عندما سمعوا بأني قتلتهما والعرب لم يكونوا ليفعلوا ذلك لو كانوا على اتصال معهما، سأرسل إلى أسرتيهما وأمنح كل أسرة ١٠٠٠ جنيه وهذا كل ما أقدر عليه.

ذهبت التوفيقية إلى أعلى النهر وقامت بالقتال المعتاد مع العرب. يقول تقرير: بأن جندياً أخذ قطع مغلاق مدفعين كروب عند العرب وفر هارباً مما جعل المدفعين عديمي الجدوى.

إذا كان عبدالقادر في كسلا فلماذا لم يخبرني رجالنا بذلك؟ بالطبع يمكنني مساعدته يبدو أننا فقدنا عقولنا في مصلحة الاستخبارات التي تكلف الكثير من المال.

أما من حيث (الإخلاء) فهو أحد الأمور، وما يتعلق بالخيانة فهو أمر آخر، أنا أنصح بالرأي رقم الأول (حيث ليس لدينا قرار للاحتفاظ بالبلد) ولكن لن أكون طرفاً في الرأي رقم الثاني (أمر الخيانة) أولاً لأنه غير مشرف، وثانياً لأنه غير ممكن (والتي سيكون لها وزن أكبر)، إذن إذا كان الأمر سيكون رقم الثاني فمن الأفضل ألا تذهب القوات إلى ما بعد بربر إلى أن يتم حسم مسألة ماذا سيتم عمله. وهكذا أنهي هذا الكتاب.

س. ج – غردون ٢٣ سبتمبر ١٨٨٤م

ملحوظة:

يتم نسخه وقراءته من قبل الكولونيل ستيورات إذا رغب. تسلم مقتطفات إلى المس باور (طبقاً للوعد) وبعد ذلك تسلم إلى الآنسة غردون، ساوث هامبنون، إذا لم ترغب فيها وزارة الخارجية.

الكتاب الأول

على القميص الورقي

لا أسرار بقدر ما يخصني

س.ج . غردون

المقدم ستيورات CMG

أو

رئيس الأركان – لورد ويلسلي G.C.B

الحملة العسكرية – السودان

يوميات الأحداث – الخرطوم المجلد ١

من ١٠ سبتمبر إلى ٢٣ سبتمبر ١٨٨٤م

على الغلاف من الخلف

يوميات الجنرال غردون

من ١٠ سبتمبر إلى ٢٣ سبتمبر ١٨٨٤م

ملحوظة: هذه اليوميات تحتاج إلى تهذيب إذ أعتقد أنه ضروري نشرها

س.ج. غردون

١٠/٩/١٨٨٤م

١/ أرسل العسكريون والمدنيون والعلماء والسكان والمقيمون في الخرطوم تلغرافاً بتاريخ ١٩ أغسطس إلى الخديوي كالآتي(عندما ما ضعفنا وساء حالنا إلى أبعد حال، أرسل الله برحمته إلينا غردون باشا في وسط كارثتنا بالحصار كنا جميعاً سنفنى من الجوع ونتلاشى، ولكن بفضل ذكائه ومهارته العسكرية تحملنا وبقينا في الخرطوم حتى الآن).

مصر رقم ٣٥ صفحة ١٣

٢/ نجد في هذه الفقرة مثالاً للعدل الكامل والمعروف الذي كان الجنرال غردون يتعامل به مع الآخرين. قبل أن يسمح للفكي مصطفى، المحايد بالإنضمام إلى صفوفه ومساعدته ضد المهدي، يجب عليه أولاً أن يقتنع بنفسه بأن مثل هذه الخطوة لن تعرض حياة الفكي مصطفى للخطر ،إن النجاح أو الفشل لا زالا محل شك. بالطبع لا يمكنه إخبار مصطفى بذلك ولكن هل من الصواب والإنصاف استخدامه بينما الشك لازال موجوداً؟ كان من رأى غردون أن هذا ليس صحيحاً، ولذلك طلب من مصطفى أن ينتظر الحوادث وأن يفعل له الذي لا يعرضه للمخاطر – المحرر.

٣/ توتي جزيرة عند ملتقى النيل الأبيض بالنيل الأزرق – المحرر.

٤/ بالقرب من الأبيض وحوالي ٢٠٠ ميل من الخرطوم – المحرر.

٥/.بموجب المذكرة التمهيدية للسير هنري غردون – المحرر.

٦/ تقع بربر على بعد ٢٠٠ ميل من الخرطوم – المحرر.

٧/ مدينة صغيرة على بعد ثمانية أميال شمال الخرطوم.

٨/ وكيل قنصلي إنجليزي في بربر وفقاً للتلغراف الذي أرسله إلى هيربن من الخرطوم واستلمه أم . باري في ٢٢ سبتمبر ١٨٨٤م فإن كوسي غادر إلى كردفان ولكن لم يبين سواء أكان حراً أم سجيناً – مصر ٣٥ (١٨٨٤) رقم ١٤٢.

٩/ الدويم هي مدينة على النيل الأبيض وتبعد حوالي ١٠٠ ميل من الخرطوم – المحرر.

١٠/ طعام يشبه الحبوب الهندية – المحرر.

١١/ أعلن الشيخ العبيد إنضمامه للمهدي في مارس ١٨٨٤م.

١٢/ بالنظرة الأولى قد يبدو أن هناك شيئاً من التناقض في هذه الأراء، ولكن عند التفكير ملياً نجد أنها متناغمة وسليمة، إنها تفضي إلى فكرة كانت دائماً تدور في عقل غردون وإن أثرها : أن الرجل يجب أن يبذل كل جهد للوصول إلى الكمال وبعد ذلك وليس قبل ذلك يترك الأمر إلى الرب. في الحقيقة يجب عليه أن يستعمل الموارد الدنيوية – كأدوات من الرب – وبعد استنزافها يجب عليه حينذاك الإتجاه إلى السماء للمساعدة وليس إيجادها في الأرض.

١٣/ لذلك هاأنذا عليك وعلى أنهارك وأجعل أرض مصر خربة من مجدل إلى تخوم كوش.

(تتحرك فيها رجل إنسان ولاتمر فيها رجل بهيمة ولا تسكن أربعين سنة

وأجمل أرض مصر مقفرة في وسط الأراضي المقفرة ،ومدنها في

وسط المدن الخربة تكون مقفرة أربعين سنة ،وشتت المصريين بين الأمم وأبددهم في الأرض)

(لأنه هكذا قال السيد الرب عند نهاية أربعين سنة أجمع المصريين من الشعوب الذين تشتتوا بينهم).

(وأرد سبي مصر وأرجعهم من أرض فتروس إلى أرض بلادهم ويكونون هناك مملكة حقيرة) .

١٤/ (إذهب واهذي مع الغيلان والعفاريت) . ١٤

١٥/ يمكن أخذ هذه الكلمات حرفياً هكذا كان نفوذ وسلطة غردون في عام ١٨٧٩م عندما استقال من حكمدارية السودان – المحرر.

١٦/ (وقال فرعون ليوسف أنا فرعون، فبدونك لا يرفع إنسان يده ولا رجله في كل أرض مصر) المحرر.

١٧/ (كل شيء يفعله الإنسان معروف والأسف الوحيد هو أنني مسيحي . ومع ذلك سيكونون أول من يزدريني إذا إرتدت وأصبحت مسلماً) مقتطف من خطاب الجنرال غردون المؤرخ كسلا ٧ ديسمبر ١٨٧٧م – المحرر.

١٨/ أبطلت الكثير من المصالح المكتسبة وأن الاشخاص الذين أعتمد عليهم هم العلماء والذين ردت إليهم كل امتيازاتهم السابقة، والتي كانت قد سلبت منهم بواسطة إسماعيل باشا يعقوب، مقتطف من خطاب الجنرال غردون المؤرخ بتاريخ ٤ فبراير ١٨٧٧م – المحرر .

١٩/ إذا حدث القتال فإن السودانيين المحافظين على ممتلكاتهم سيقاتلون

الشيوعيين السودانيين الذين يرغبون في سرقتهم. مقتطف من مذكرة الجنرال غردون التي استلمها السير إي بارنج بتاريخ ٤ فبراير ١٨٨٤م – مصر رقم ١٢ – المحرر .

٢٠/ لقد تجاوزنا بحمدالله أخطارنا لا أعرف إن كانت تخيلات أم لا، ولكن كنا مهددين بهجوم من الآف السود عاقدي العزم والذين يعلمون بأني هنا. يعرف الآن القليل من الجنود الإنجليز حقيقة أن تكون مع قوات ليس لديهم أي ثقة فيهم، صليت من قلبي من أجل أن يُخرج ولكن سبب لي ألماً في القلب مثل ذاك الذي أنتابني عندما كنت محاطاً في (ماسنرمي). أنا لا أخاف من الموت ولكن أخاف من الافتقار إلى الايمان ونتائج موتي لأن كل البلد ستثور. مقتطف من خطاب الجنرال غردون المؤرخ بتاريخ ١١ يوليو ١٨٧٧م – المحرر.

٢١/ كان لبتون حاكماً لبحر الغزال.

٢٢/ وفقاً لتلغراف من أم هيربين إلى أم باربي فإن سلاطين بك الحاكم السابق لدارفور انضم في هذا الوقت إلى المهدي ووصفه كقائد لفرسان كردفان، وهي قوة كان يفترض أن تمثل أعظم فرقة مرعبة في جيش المهدي – المحرر .

٢٣/ دولار.

٢٤/ يعادل الأردب ٥ كيلات.

٢٥/ أسماء الإرسالية في الأبيض.

القساوسة في كردفان.

١/ دون لويجي بوثورني - الرئيس (٢) جيسبي أوهرالدو (٣) دون باولو نجنولي. (٤) فر اسودودو لوكائيلي (٥) فرا جيبس ديجستو.

الراهبات

١/ تيريزا جرجولين - الرئيسة (٢) فورتناتا جورس (٣) كاترينا شيشيروني (٤) كوتيا كورس (٥) اليزابتا فنتوريني (٦) ماريا كابريني.

عبدالقادر - المترجم.

٢٦/ ملوك مصر- المحرر.

٢٧/ قائد فرقة - المحرر.

٢٨/ أعلن الباقون على قيد الحياة من السودانيين بأن الباشوات الاثنين المتولين للقيادة كرا عائدين إلى مربعهم، وعندما تعرف عليهم الجنود افسحوا لهما الصفوف ليدخلوهما، وبهذه الفجوة استطاع فرسان المتمردين الدخول ،أكتمل نجاح الخيانة والتي كانت بلا شك مرتبة مسبقاً، ولكن الجزاء كان في متناول اليد. عندما انتهت المعركة جاء هذان الخائنات مصدومين إلى خيمة غردون وقدم لهما الجنرال شراباً رفضا ومتكهناً بالسبب قام سكرتير غردون بالشرب أولاً وتبعه الباشوات الاثنين واللذين شكا في أن هناك سماً. قاما بالإختفاء بقية ذلك اليوم في منزليهما لأن الجنود كانوا يطالبون بصوت عال بالإنتقام، وكانوا ليقتلوهما حالاً لحظة ظهورهما في الشوارع. تمت محاكمتهما عسكرياً في اليوم التالي ووجدا مذنبين بالإتصال مع العدو،

وقتل رجالهم غدراً أكتشف مخزن كبير للبنادق والذخيرة في منزل حسن وثبت أنه وزميله سرقاً معاً رواتب شهرين، منحت للقوات من حساب متأخرات ستة أشهر، كما أنهما أخذا إلى الميدان ذخيرة مدفع لسبعين جولة بدلاً من ثمانية وهو العدد المعتاد حتى يمكن أن يكون لمدافع المتمردين تموين كاف للهجومات المقبلة على الخرطوم. كانت المحاكمة طويلة وحليمة، ولكن التهم كانت متوقعة من البداية، وُجد حسن وسعيد مذنبان وفي نفس المساء وبمظاهر من الفرح العام تم رميهما بالرصاص بواسطة الرجال الذين تمت خيانتهم بواسطتهما. قصة غردون الصين – صفحة ٩٢ – ٩٣ – المجلد ٥ – ٢ – المحرر. .

٢٩/ أهالي من الحلفاية هم الذين أبلغوا – المحرر.

قد يعني ود المكاشفي – المترجم.

٣٠/ هؤلاء الذين مع أو ضد المهدي – المحرر.

٣١/ أشك كثيراً بأنه ﴿المهدي﴾ مجرد دمية قدمها إلياس، والد زوجة الزبير، وأكبر ملاك العبيد في الأبيض، وأنه أتخذ لقباً دينياً ليبدو حقيقياً في الدفاع عن حقوق العامة(رأي غردون كما صرح به المحرر) بول مول غازيت ٨ يناير ١٨٨٤ – المحرر.

٣٢/ امرأة – المحرر.

٣٣/ تقع شندي على بعد ٩٥ ميلاً من الخرطوم – المحرر.

٣٤/ عين الكولونيل براون بواسطة الجنرال غردون لقيادة المديريات الجنوبية عند استقالة الأخير في خريف ١٨٧٦ – المحرر.

٣٥/ العين المستهزئة بأبيها والمحتقرة إطاعة أمها تقودها غربان الوادي وتأكلها فراخ النسر . الأمثال أصحاح ٣٠ – ١٧

٣٦/ يجب أن لا ننسى بأن الزبير من عائلة عالية المقام وهو سليل مباشر للعباسيين.

٣٧/ غادر لورد وسلي وأركانه القاهرة إلى وادي حلفا بعد عشرة أيام من كتابة غردون لهذه الكلمات – المحرر.

٣٨/ أمر لورد جرانفيل في ١٧ مايو مستر أيفرتون ليوصل الرسالة التالية من حكومة جلالتها إلى الجنرال غردون: مع الأخذ في الاعتبار الوقت الذي انقضى فإن حكومة جلالتها ترغب في إضافة الآتي إلى اتصالها بتاريخ ٢٣ أبريل. بما أن الخطة الأصلية لإخلاء السودان قد تم التخلي عنها وأن العمليات العدائية لا يمكن الشروع فيها بتأييد من حكومة جلالتها، فإن الجنرال غردون يؤمر للنظر في إما أن يقدم تقريراً عنها أو إذا كان ممكناً في أول وقت مناسب أن يتخذ التدابير لانتقاله وانتقال المصريين إلى الخرطوم، والذين عانوا معه أو خدموه بإخلاص بما في ذلك النساء والأطفال بأي طريق يعتبره أفضل أخذاً في الاعتبار سلامته الشخصية وسلامة الرعايا البريطانين الآخرين .

يخول الجنرال غردون بأن يستخدم بسخاء المكافأت المالية أو الوعود حسب تقديره بالنسبة للمصريين المشار إليهم أعلاه، مثلاً له الحرية في تخصيص مبالغ للجنود المصريين في الخرطوم لأنفسهم وللأشخاص الذين يحضرونهم معهم بشرط وصولهم بسلامة في كورسكو أو أي موقع آخر يراه مكاناً آمناً، أو يمكنه استخدام الدفع للقبائل في الجوار الذين يرافقوهم، تفترض حكومة جلالتها أن السودانيين في الخرطوم

ليسوا في خطر في حالة إرسال الجنرال غردون لأي أشخاص أو عملاء لمواقع أخرى ،فهو مخول لصرف أي أموال مطلوبة بغرض استدعائهم أو ضمان سلامتهم – مصر ٢٢ – ١٨٨٤م رقم ٢٢ – المحرر.

٣٩/ ذلك التلغراف الذي كتب في صفحة ٣٩ – المحرر.

٤٠/ أنظر الملحوظة في صفحة ٣٩ – المحرر.

٤١/ إن الخطر الذي يخشى منه ليس أن يزحف المهدي شمالاً عبر وادي حلفا، بل العكس ليس من المحتمل أنه سيذهب أبداً إلى هذا الحد شمالاً. إن الخطر ذو طبيعة مختلفة تماماً ،إن الخطر ينشأ من النفوذ الذي يمارس على الأهالي الذين تحكمهم أنت ويعود هذا إلى مشهد السلطة المحمدية الفاتحة، والتي توطدت قريباً من حدودك سيشعر كل سكان المدن في مصر بأن ما فعله المهدي يمكن لهم أن يفعلوه، وكما طرد الدخيل والكافر يمكنهم فعل ذلك.. ليس فقط إنجلترا وحدها التي عليها مواجهة الخطر. أثار نجاح المهدي مسبقاً هيجاناً خطيراً في الجزيرة العربية وسوريا، علقت اللافتات في دمشق تدعو الأهالي ليهبو ويطردو الأتراك. إذا استسلم كل شرق السودان للمهدي فإن القبائل العربية في كلا جانبي البحر الأحمر سيطلقون النار.

سيتوجب على الأتراك دفاعاً عن النفس أن يفعلوا شيئاً للتغلب على هذا الخطر الهائل، لأنه من الممكن جداً إذا لم يفعل شيء فإن المسألة الشرقية كلها قد يعاد فتحها نسبة لانتصار المهدي – آراء الجنرال غردون كما عبر عنها للمحرر(بول ميل غازين)– المحرر.

٤٢/ مدينة قبالة شندي تقريباً على الشاطئ الأيسر للنيل – المحرر.

٤٣/ مدينة قديمة على النيل الأبيض تمثل مركزاً لتجارة الرقيق.

٤٤/ اعتبر الخديوي السابق إسماعيل، أن الإبقاء على قبضته على السودان توجب عليه تحسين مواصلاته الأصلية بين السودان ومصر، لسوء الحظ فإن رغبته في إحضار تجارة السودان عبر النيل إلى مصر دعته إلى هجر المنفذ الطبيعي من بربر إلى سواكن عبر الصحراء وهي مسافة ٢٨٠ ميلاً وصمم على إقامة خط سكة حديدية عبر الصحراء وبمحاذاة النيل متجاوزاً الشلالات من وادي حلفا إلى هناك، وهي مسافة تبلغ ١٨٠ ميلاً، تم توقيع العقود وصرف مبلغ ٤٥٠٠٠٠ جنيهاً على الخط ولكن ظهرت مصاعب مالية عام ١٨٧٧م، وتوقف العمل تماماً على بعد خمسين أو ستين ميلاً جنوب وادي حلفا كان من الواضح أنه لا يؤمل في استمرار هذا العمل الكبير، ولذا قمت بدراسة هذه المسألة هناك حوالي خمسين ميلاً من الخط قد تم إقامتها وتبقى ١٣٠ ميلاً لإقامتها قبل اجتياز عائق الصحراء إتضح من أبحاث العقيد ماسون والسيد جورنج وكذلك معاينتي الشخصية، إن النهر وعلى مدى مسافة ١٣٠ ميلاً لا تعيقة الصخور باستمرار هناك شرائح طويلة من المياه الصالحة للملاحة بين سلسلة الصخور وإحدى هذه الشرائح بلغ طولها ٤٠ميلاً ،إن البواخر التي بنيت في إنجلترا تم سحبها فوق كل واحد من هذه السلاسل وهكذا تم احضارها إلى الخرطوم وسافرت إلى غندكرو، كانت فكرتي إحضار بواخر صغيرةً خلال الفيضانات ووضعها في كل شرائح المياه الصالحة للملاحة لأي حد معقول. بالإضافة إلى ذلك اقترحت وجود طاقم واحد من البحارة ونقلهم من باخرة لأخرى لتقليل المنصرفات. اقترحت استعمال طرق ترام عند هذه الأماكن، حيث السلسلة طويلة للنقل فوق أماكن الإنزال

في أحد مجاري المياه إلى رصيف التحميل في المجرى الصالح الآخر. وهكذا باستخدام المجرى المائي حيث لا عائق وطرق الترام حيث هناك عوائق أستطيع التغلب على المائة وثلاثين ميلاً. حسبت تكاليف كل هذا العمل والبواخر وطرق الترام .. الخ ٧٠٠٠٠ جنيهاً بينما إذا تم إقامة السكة الحديدية سيكلف أكثر من مليون ونصف جنيهاً. وعلى أي حال فإن الثورات والمشاكل بأنواعها المختلفة وأشياء أخرى منعت اتمام هذا العمل ومراقبوا النفقات لم يوافقوا، لذا فبعد صرف ٠,٥ مليون تقريباً هناك خط سكة حديد بنهاية غير معروفة ومخازن قيمة أزيلت بينما ليس لمصر الحديثة قبضة على السودان أكثر مما كانت لدى مصر القديمة.

أنظر الجنرال غردون في أفريقيا الوسطى. صفحة ٣١٥ – المحرر.

٤٥/ عندما وصل الجنرال غردون إلى الخرطوم في ١٨ فبراير أوصى بشدة بأنه يجب إرسال الزبير وأبدى أسبابه بالتفصيل. مصر رقم ١٢، ١٨٨٤م. مرفقة في رقم ١١٤ (أوصى السير أملين بارنج في ٩ مارس بوجوب ذهاب الزبير. فهذه القومية تتناسب مع سياسة الإخلاء) مصر رقم ١٢، ١٨٨٤م، في صفحة ١١٥ و ٢٢٢ – المحرر.

٤٦/ لا يمكن تتبع هذه – المحرر.

٤٧/ حوالي ١٨٠ ميلاً من الخرطوم – المحرر.

٤٨/ ما بين أربعين وخمسين ميلاً غرب الدويم – المحرر.

٤٩/ ممر حوالي نصف الطريق بين شندي والحلفاية.

٥٠/ لندن الثاني عشر نقاشات حول مصر – مجلس العموم – الموضوع مصر.

رفض جلادستون إفشاء تعليمات نورثبروك. أعلن أن المعاهدة الإنجليزية الفرنسية رسالة مهجورة.

(الثالث عشر - هاجم الخبراء الماليون - ألمان نمساويون - روس - موقف إنجلترا. اعتبر المؤتمر إنه يجب زعامة ائتلاف ضد إنجلترا. أوضح فترومون أن الحكومة البريطانية غير مستعدة لتغيير مشورتها بإفتراض أن مصر ستنسحب من الخرطوم). الثالث عشر - أقفل البرلمان حتى ١٥ سبتمبر الرسالة تأمل أن تقترح بعثة نورثبروك نصائح مفيدة. ستواصل إنجلترا أداء المهام العامة التي فرضت عليها بالأحداث في مصر.

(السابع عشر، الكتائب ٨٨ و ٤٦ و ٥٦ مع حملة ١٩ هوسار وفيلق المشاة الراكب تذهب إلى حلفا.

(لندن ١٩ يقود الجنرال أيرل حملة حلفا - بولر رئيس أركان)

عزيزي جنرال غردون،

أبعث لك أعلاه كآخر ما سمعناه من أخبار عامة، لقد تم تعييني مفتشاً عاماً للتلغراف في السودان ولكن حالياً لا أستطيع الوصول إلى ما بعد الدبة لأقوم بالتفتيش لأن السيد هوداي استولى على مكتب تلغراف مروي ولن يسمح لنا السردار بالتقدم، أمرت بالرجوع إلى حلفا وسأغادر بالباخرة هذا الصباح. مع خالص احترامي إلى العقيد سيتورات.

المخلص

إس أ فلوير

الدبة ٢٢/٨/١٨٨٤م

٥١/ عزيزي سيتورات.

هل يمكنني عمل أي شيء لك أو للجنرال غردون؟ سأكون سعيداً جداً إذا أعلمتني من قبل أن حملة الإنقاذ في طريقها ولكن سواء أكانوا سيذهبون عن طريق بربر أو عن الطريق المباشر من هنا فلا علم لي. المهدي في وضع سيء فقد هجر دارفور وليس لديه تعزيزات لإرسالها إلى الخرطوم وسنار التي طلبت منه.

المخلص

هـ. هـ. كتنشر

٥٢/ عزيزي غردون، طلب مني السيد أفرتون أن أرسل لك الآتي:

٣٠ أغسطس أخبر غردون بإن البواخر يتم العمل على عبورها من فوق الشلال الثاني، ونرغب في أن نعلم عبر دنقلا بالضبط متى يتوقع أن تكون هناك صعوبات بالنسبة للمؤن والذخيرة. (أنتهى الرسالة) اللورد ويلسلي قادم لتولي القيادة يتم الآن إرسال الكتيبة ٣٥ من حلفا إلى دنقلا يوجد السير أي وود في حلفا. سيأتي الجنرال ودورمر وبولر وفريماهلي مع القوات بالنيل اعتقد بأن الحملة سترسل من هنا إلى الخرطوم، بينما تذهب أخرى بالباخرة إلى بربر يكون مقبولاً إذا أرسلت كلمات قليلة حول ما ترغب في أن يُعمل.

المخلص

هـ. هـ كتنشر

الدبة ٣١/ أغسطس

٥٣/ القاهرة ٢٠ أغسطس – الساعة ١٠:٣٠ مساء.

إلى الجنرال غردون.

٤٤٥٧٣٧ – ٩٠٥٣٠٩ – ١٨٥١١٥ – ٤١٧٢٩١ – ٥٥٢٦٧٦ –
٧٩٢٩٩٦ – ٢٧١٣٨١ – ٤٦٧٤٣٠٠ – ١٣٤٩٧١ – ٢٧٧٥٣٥
– ٦٧٢٣١٨ – ٥٣٥٢٢٢ – ٦٢٦٠٥٤ – ٨١٥١٠ – ٤٨٣٢٨٩ –
٨٠٤٩٦٠ – ٢٠٣١٥١ .

كتب الآتي خلف التلغراف المشفر.

تم استلام خطابيك بتاريخ ١٨٨٤/٧/١٣م و ١٨٨٤/٧/٢٠م وتم إرسال مضمونيهما تلغرافياً آخر، الأخبار هنا أن الكتيبة ٣٥ قد أمرت بالتقدم من حلفا إلى دنقلا فوراً الجنرال ايرل قائد الحملة، بولر رئيساً للأركان، دومر وفرمائيل رؤساء أركان اللواءات.. الجميع سياتون. سيغادر ويلسلي لندن مباشرة لتولي القيادة العليا كلهم بخير هنا. المدير يعمل جيداً .. لاخطر . السير إي ود في حلفا يقوم بإرسال القوات.

هـ. هـ. كتشنر

الدبة ٢٩ أغسطس ١٨٨٤م

٥٤/ تلغراف مدير دنقلا والذي يقول: بإن حكومة القاهرة أظهرت حسن نية ملحة للإخلاء وهكذا تثبت (شاهد القبر) فوق الخرطوم – المحرر.

٥٥/ الباشوات السود الذين حكم عليهم بالإعدام من قبل محكمة عسكرية بتهمة الخيانة في ٢٠ مارس.

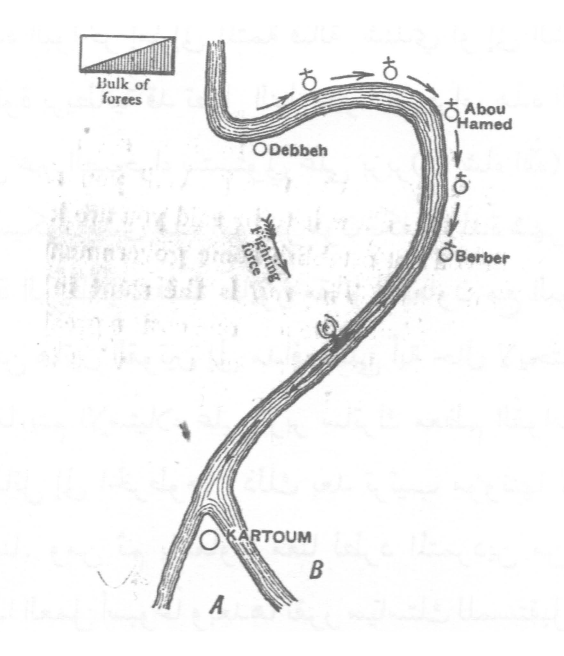
٢٤ سبتمبر

وجهة نظري بالنسبة لعمليات القوات البريطانية هي: سأضع ثلاث بواخر بمدفعين في كل باخرة وقوة مسلحة من المشاة، تحت تصرف أي سلطه بريطانية تصل.

سأرسل هذه البواخر إما إلى المتمة قبالة شندي أو إلى الشلال أسفل بربر لمقابلة أي قوة بريطانية قد تصل النيل عبر الصحراء، هذه البواخر مع القوة التي ستصل عبر الصحراء ستستولي على بربر(إن شاء الله)، ومن ثم تتصل بالخرطوم. سيكون لدى هذه البواخر مؤن تكفيها لمدة شهر. لن أحاول نقل معظم القوة البريطانية، فقط طابور مقاتل للتعاون مع البواخر الثلاثة. لا تحتاج أي من هاتين القوتين إلى مدافع على أية حال لايحتاج إليها في هذا البلد. عندما يتم الإستيلاء على بربر ساترك معظم القوات هناك وأرسل الطابور المقاتل إلى الخرطوم، وذلك بعد ترتيب مؤونتها لأنني لا أستطيع أطعامهم هنا. ومن ثم بالتعاون معنا لطرد المتمردين من (أ) إلى (ب)، يستغرق هذا العمل أسبوعاً وبعدها نقرر سياستك للمستقبل. من الضروري جداً الفهم بإننا لا نستطيع التسرع في هذا الأمر[١] لأننا إن فعلنا سنجلب كارثة على أنفسنا، لقد تحدثت عن تقسيم القوات البريطانية إلى مجموعتين، أحداهما طابور صغير مقاتل يتعاون في الجانب الآخر من البلد مع الآخر التي ستقابلهم، حيثما ترسي في الضفة الغربية للنيل الأبيض، والآخر وهو القسم الأيسر. خريطة صفحة ٨٥ يأتي من جهة الضفة الشرقية للنيل وبدون

مدافع. إذا كنت سأفعل هذا عليّ أن أنشئ بواسطة الباخرة عباس سلسلة من المحطات الصغيرة بها حاميات صغيرة في مروي[٢] وأبو حمد وحتى بربر. على أن أحضر فوراً من القاهرة زوراق بخارية نقالة واضعها في المساحات الصالحة للملاحة كما تم شرحها سابقاً في يومياتي (المجلد\)[٣] وبذا يكون الطريق سالكاً لدنقلا حيث توجد القوات الرئيسية.

لنقُل أن المحطات العسكرية قد تم إنشاؤها وفي هذه الأثناء كان العرب منتشرين في(أ) و (ب) حينها ستقول قوموا بالإخلاء.



حسناً وبدون تحريك القوة الرئيسية وبمساعدة الطابور المقاتل يمكنك إحضار مجموعة سنار، بينما تستطيع البواخر إحضار حاميات الإستوائية وبحر الغزال. ستستغرق هذه العملية ستة أشهر على الأقل بدءً من اليوم الحالي (لأنك لن تأتي قبل شهر)، بعدها تبدأ في السير نحو أسفل النيل وسيتم

إزعاجك بغارات متكررة طوال الطريق[٤] وسيقول المهدي إنه طردكم. أنت ترى أنك ستبقى لمدة ستة أشهر وإذا قمت بالإخلاء فإن هيبتك ستتلاشى نهائياً. لذا أقول: حالما تصل الخرطوم، إما أن تسلم البلد للأتراك أوتعين الزبير.(بدلاً من قضاء الوقت في الذهاب إلى سنار والإستوائية) اشترك معنا وابدأ الهجوم على كردفان. يجب أن تبقى هنا لستة أشهر، كيف ستقضي الوقت؟ هل تسمح عند انقضاء الستة أشهر بأن يقال بأنك طردت؟ أم ستقوم بإقامة نوع من الحكومة وتنسحب بكرامة؟ المبلغ مالياً هو نفسه في كلا الحالتين، ولكن بالنسبة للشرف فإن الحالة تكلف مقداراً كبيراً من المال. إذا سقط الزبير بعد وقت ما فما شأنك بذلك؟ لقد فعلت الأفضل وصنت شرفك، وتجنبت قدراً كبيراً من المتاعب والمشاكل التي أفرزتها هذه الحملات إلى سنار والإستوائية. لا يتوجب عليك الذهاب إلى ما بعد الخرطوم.[٥]

أما بالنسبة للإستوائية فامنحني إياها (وإن شاء الله)سأبعدها من الزبير، إنه لأمر مؤسف كثيراً ترك الخرطوم للمهدي بينما هناك فرصة للاحتفاظ بها تحت إمرة الزبير.

يمكن للقوة المقاتلة إذا احتاجوا إلى مدفعية أخذ مدافع البواخر. إنها مدافع جيدة ولديها حاملات مدافع، لن أرسل مركبات محضة أو مدافع كروب، إذا كان عليك عبور الصحراء بأعداد كبيرة فعليك حماية شبكة طرقك باحتلال كافة الآبار في حدود نصر قطر كبير بسرية، لن يستطيع العرب الوصول إلى شبكة طرفك إذا لم يحصلوا على الماء، هذه هي الطريقة الوحيدة للتعامل مع البدو أو صائدي الرقيق.

جاءت الأفيال من الدبة إلى الخرطوم مباشرة عن طريق آبار جبرة[٦] يجب اتخاذ

الحذر عند الاقتراب من أمدرمان فهناك عدد كبير من الجبناء (فلاحون) يجب أن نفكر ملياً عند الوصول، إذا ما كنت لن ترسل إلى مصر هؤلاء الباشبرزق الشنيعين حثالة الإسكندرية، والجنود من الفلاحين لأنهم لا يرجى منهم.

من جانبي يجب عليّ عدم التردد في الذهاب مع ثلاثمئة رجل من الخرطوم إلى الدبة، (بعد الاحتياط بإجراء ترتيبات مع قبيلة الكبابيش) ليس هناك صعوبة في إقامة جسور طائرة عبر النيل، مهما كان عرضه، باستخدام سلك التلغراف بفتلة في ست أو ثماني جدائل.

قبض العرب على صغير عمره تسع سنوات، للسيد محمد عثمان وتصرف كبطل (لن يكون درويشاً إنه مهدي بقدر ما محمد أحمد هو المهدي ويمكنهم قتله إذا شاءوا إنه سيبقى مع الحكومة وغردون باشا) أخلوا سبيله، وصف السنجك المنظر بأنه رائع: الولد الصغير بعيون متوهجة يومئ بيديه ويضرب الأرض برجليه (U.S.C) [٧] الساعــ٣٠:٦ــة مساء هل أبدأ سمعت بمثل هذا الأمر؟[٨] .... تم تعينه .... إلى .... لم يرتكب أبداً فعلاً أكثر وقاحةِ ياللعجب الرجل لم يفعل شيئاً! لا شيء على الإطلاق (شيء شنيع) ولكن ماذا تتوقع؟ انصرفوا جميعاً - هروب خريفي منظم ماذا؟ ستراهم جميعاً في الكريسماس (يزيد من الغضب) أقر بأن لديّ ميل شديد للذهاب إلى المهدي (وصيف يقاطع، سيدتي .. تنتظر في العربة) ينهار ويخرج.

لا أستطيع أن أطبع في ذهنك أن هذه الحملة لن تواجه عدواً جديراً بهذا الاسم بالمعنى الأوروبي للكلمة، إن المعركة مع الطقس وفقر البلاد، إنها معركة وقت وصبر ومجموعات صغيرة من الرجال الشجعان مدعومين بحلفاء من الأهالي والتي تكسب بالسياسة والمال. لامكان في هذا البلد

لطابور يتحرك ببطء مهما كان قوياً. مجموعات من أربعين أو ستين رجلاً يتحركون بسرعة سيفعلون أكثر من أي طابور، ماذا إذا فقدت اثنين أو ثلاثة - إنها فرصة الحرب - الحلفاء من الأهالي فوق كل شيء. مهما كانت التكلفة ،إنها بلاد لغير النظاميين وليس النظاميين ،إذا تحركت في جموع كبيرة لن تجد نهاية للصعوبات، بينما إذا تحركت في مجموعات منفصلة تندفع هنا وهناك ستنشر الرعب في صفوف العرب، إن وقت الهجوم هو الفجر أو ربما قبل ذلك (هذه أخبار قديمة)، ولكن ستين من الرجال سيجبرون هؤلاء العرب على الفرار قبل الفجر وهذا لن يحرزه ألف رجل أثناء النهار ،كانت هذه تكتيكات الزبير دائماً. السبب أن قوة العرب تكمن في الخيالة والذين لا يجرؤن على الهجوم في الظلام ،أتمنى ألاّ تسحبوا المدافع!، إنها فقط تسبب التأخير ولا تفعل الكثير، يمكنني القول: بأن الهزائم في هذا البلد ترجع إلى وجود المدفعية معي والتي أخرتني كثيراً، والمدفعية التي كانت مع هكس هي التي الحقت به الهزيمة في رأيي[٩].

من الأفضل لنا عشرة ألف مرة أن نهلك بدلاً من أن تعرض نفسك للخطر، وبالإضافة إلى ذلك فأنا واثق من أننا (إن شاء الله)لن نهلك. سيستمر وابل القوة والعنف ولكنهم لن يهاجموا المكان، ونحن لن نهاجمهم، بينما أنتم ستزحفون بهدوء وأمان وتستطلعون الجو وتشنون الغارات على هؤلاء العرب. سأدع لبولر حرية التصرف في كل هذه الحملات الصغيرة والمؤلمة، أعتقد أنه ثرى (وأعتقد أنه ليس متزوجاً وهي ميزة هائلة)وأنه ومعاونيه سيتعلمون الاستكشاف .. وغيره في مدرسة جيدة، إنها نفس الحرب التي سنخوضها إذا كان علينا معارضة روسيا في تقدمها نحو أفغانستان، أي

الذهاب والنزول في الخليج الفارسي ونعزل جناح جيشهم سيكون هذا مدرسة جيدة له.

إن الفلاح البائس بملابسه القذرة التي تراها، محارب صنديد يمكنه تحمل العطش والحرمان ولا يأبه كثيرا للألم أو الموت كأنه حجر، إن لهؤلاء الأشخاص من الشباب لعبة كي يختبروا من سيتحمل الجلد بسياط من جلد فرس البحر، إنهم في أرضهم وآلام الحرب هي حياتهم العادية، ومسنودين بدين له نوع من التعصب، ومتأثرين بذكرى سنوات من العذاب على أيدي مجموعة من الباشبوزق. إنها ليست رغبتي في أن يأتي أولاد من اسم أو يوركشاير لمساعدتي إلا إذا كان ذلك بكثير من الحيطة، وشكراً لله لدينا القليل من الأوربيين هنا وأستطيع رعايتهم (إن شاء الله)ولا عليكم أن تخافوا من انسحابنا، وإذا متنا فنحن عندما التحقنا بالجيش بعنا أرواحنا بهذا الثمن يومياً، أعتقد يقيناً بأن لا تاجر سيمنحني ٢٠٠ جنيه هي القيمة الحالية للرجل في هذا العالم.

إنه لأمر غريب جداً وغير مفهوم أن لا رسول جاء إلى هذا المكان بمبادرة صحيحة من هؤلاء الذين في الخارج،هذا في ما عدا رجل الزبير الذي جاء من القاهرة (حاملاً رسالة أيفرتون الشهيرة حول العقود)لقد كان من الثابت أن رسلي الذين أرسلهم من الخرطوم هم الذين يمدونني بأي أخبار، يبدوا وكأن هؤلاء الذين في الخارج يعتقدون بأنه وأجبي أن ابعث إلى الخارج وأجلب الأخبار لشخصي وأن لا إلتزام لديهم لفعل ذلك. إما أن هؤلاء الضباط في الخارج لا يابهون بإنفاق بنس على الجواسيس لامدادي بالمعلومات، أو من جانب آخر يعتقدون بأنه أمر غير مهم للغاية سواء أن عرفت ماذا يحدث

أو لا، عليّ أن أذكر بأنه عندما يرجع رسلي فهم نادراً ما يحضرون لي أية معلومات مهمة هناك الكثير من أتمنى أن تكون بصحة جيدة، لم أتوقع أن يكون رجال مثل كتنشر وشيرمايد أكثر ذكاءً من هذا[١٠]، اعتقد حقاً بأنني لو لم أبذل الجهد شخصياً في أمر الجواسيس، لم نكن لنتلقى أبداً أي كلمة. لم أشاهد أبداً مجموعة جديرة بالأزدراء مثل هؤلاء الذين في الخارج حتى لو كان عليهم دفع ٢٠ جنيهاً من جيوبهم، فإن المرء كان يتوقع منهم فعل ذلك آخذين في الاعتبار الظروف التي نعيشها، كان يمكن أن يرد لهم مثلي هذا المبلغ، لكن لا وزراء حكومة جلالة الملكة ولا هؤلاء الرجال عبروا عن إهتمامهم بأخبارنا، كل ما وجدناه كان اسئلة غبية وسخيفه، لاتستغرب منهم. أنا ساخط على مثل هذا السلوك غير الوطني، ولا أميل لأن أكون مهذباً أكثر مما يمليه عليّ واجبي. لم أر في حياتي مثل هذه المجموعة غير الفعالة. على المرء فقط مقارنة التلغرافات .. وغيرها التي أرسلناها، مع الهراء الذي وصلنا بواسطة رسلنا الذين دفعت لهم.

وصل اليوم طفلان وثلاثة جنود هاربين من العرب، ولكن لم يكن لديهم أخبار. أقرأ تلغراف (فولير)وبه مذكرة على نفس الصفحة من كتنشر، إنه يغضب المرء تماماً يسأل كتنشنر سيتورات (ماذا يمكنه أن يفعل له)؟.. لا شيء حول ما تم بخصوص السودان منذ حملة جراهام. بالطبع الرجال ليسوا ملزمين بالكتابة.

أنا أرفض بشدة أن القول: بأن الحملة المقترحة جاءت لإنقاذ شرفنا الوطني، وإخراج الحاميات من موقف وضعها فيه تصرفنا في مصر. أنا كنت حملة إنقاذ رقم ١، وهم حملة إنقاذ رقم ٢، بالنسبة لي شخصياً فأنا أستطيع أن أنجز انسحاباً

في أي لحظة إذا رغبت. أفهم الآن ماذا كان سيحدث إذا فرت حملة الإنقاذ الأولى ووقعت البواخر في يدي المهدي، سيتم إلى حد ما إعاقة حملة الإنقاذ الثانية (من أجل شرف إنجلترا استخدمت لإخراج الحاميات) إنّ الحملتين الأولى والثانية تشارك بالتساوي من أجل شرف إنجلترا. هذا منطق عادل جئت لأخراج الحاميات وفشلت، لم ينجح ايرل لإخراج الحاميات أتمنى أن ينجح. افترض أن إخراج الحاميات يؤثر في (الشرف الوطني) إذا نجح ايريل سيذكره الشرف الوطني وأتمنى أن تكافئه، ولكنها مستقلة تماماً عني ولكن لفشلي سؤلام أنا لست بالحمل الذي أنقذ ولن أكون لو كان كوسي تجرأ واتصل بي كما فعل هؤلاء الرجال لكان قد سمع هذا ولكنه لم يفعل.

ذهبت الباخرة التوفيقية أعلى النهر ،ولكن لم تجد العرب اليوم في الجريف لاحظ هذا: أنا أرسل جاسوساً (أ)؛ويقوم كتشنر ورفاقه بإرجاعه بالجواب. إذا فكر كتشنر ورفاقه سيدركون بأن مشاهدته ذهاباً وإياباً سيثير الشكوك، ومع ذلك ولحسن الحظ يمر بالرغم من المخاطرة (بالمناسبة :ليس معه بنساً من كتشنر ورفاقه)وبعد ذلك ينقطع الإتصال إلى أن أرسل (ب) ماذا يفعل كتشنر في الدبة، حتى إنه لا يستطيع كتابة خطاب أفضل من إخباري بأسماء الجنرالات والكتائب، أمر لا أهمية له للخرطوم.

٢٥ سبتمبر

جاءت بعض قوات العرب متجهة إلى النيل الأزرق، ولكن الباخرة المنصورة تذهب إلى أعلى النيل، ورجالنا يندفعون بمحاذاة الشاطئ فيفر العرب. سأذهب إلى الحلفاية لأقابل الشايقية الذين هم مصدر إزعاج لي. وجدت سوقاً رائجة والشايقية أقل إزعاجاً عما كنت أتوقع أن أجدهم.

سؤال: تسعى لسحب الحاميات بطرق سرية؟

سؤال: ما هو الهدف من حملة الجنرال أيرل[١١]؟

جواب: نفس الشيء فقد فشل الجنرال غردون.

سؤال: إذا كانت حملة الجنرال أيرل هي لسحب الجنرال غردون وانتهت إلى ذلك ما هي النتيجة؟

جواب: توافق حكومة جلالتها على التخلي عن الحاميات.

لا مهرب ممكن من هذا الوضع.

وفقاً لمعلومات من بري فإن قوة من العرب جاءت ليلاً، واختبئت في قرى قرب بري قاصدين مهاجمة فرقنا التي تبحث عن العلف. لم يتوقعوا مجئ المنصورة بمدفعيها الاثنين فجابهوا الجميع عند ظهورهم لمهاجمة رجالنا، فرحلوا في ارتباك شديد وبعض الخسارة.

جاء جندي هارب من العرب ولكن لا أخبار، كان مصاباً بحكة جلدية بشكل مريع فلم استطع صبراً معه أو إبقاؤه في غرفتي. رأي شخصه في

المرآه، فسأل من هذا؟ وقال: إنه لا يعرفه وحقيقة يبدو أنه لم يعرف. من البديهي في البلدان التي ليس بها مرايا، أن كل شخص يكون غريباً على نفسه ويحتاج إلى تعريف.

كتبت إلى ود النجومي القائد الأعلى كما يلي: ذهبت إلى الحلفاية لأقابل الشايقية. وجدت خمسة رجال أرادني الشايقية أن أقتلهم لأنهم من أسرتك وكانوا قد عادوا إليك بعد التظاهر بأنهم معي، استجوبت هؤلاء الأشخاص فقالوا: إنهم لا يطيقون رائحتك وأن الشايقية لفقوا هذا الاتهام لكي يستولوا على حاجياتهم وليس لدى ميزان لأزن الحقيقة (ربما محمد أحمد لديه) وبما أنك أرسلت لي العديد من الجنود مؤخراً فسأرسل لك هؤلاء الرجال لقد أخذت جسم طاؤوسك (مشيراً إلى الرجل الذي جاء بزي الدراويش العجيب)، ولكن أرسل إليك ريش طائرك في جسم آخر(ألبست الزي لأحد الرجال الذين أرسلهم) لماذا هربت سريعاً اليوم؟ هل كان أبو قرجة هناك؟ لايمكن أن تكون أنت فقد أبديت كثيراً رغبتك في الموت عند التحصينات، أما بخصوص الحقيقة في السودان؛ فمن الصعب معرفتها، لأن شياطين الكذب والسرقة يمتطون؛ الخيل في كل أرجاء السودان.

منحت كل منهم دولاراً وسيغادرون غداً، منحتهم أيضاً راية أستولي عليها من العرب، وعمامة درويش لكل منهم لكي يذهبوا في موكب عظيم ،وبما إنه يوم (الجمعة)سيصلون في موعد العرضة.

تمر فوقنا كل يوم آلاف الغرانيق بأصواتها العجيبة، (غرانيق أميكس) قليلون هم من قرؤا أشعار شيلر، أنا أعرف فقط ترجمة بلوير وبها فقرات عظيمة (الأيقونة المنقبة للحقيقة في سايس) (خاتم بوليكريتس) من هو الذي يتحمل الحقيقة؟ من الذي يتحمل النجاح؟

كان الأهالي يتصرفون كالمعتاد، عند ذهابي إلى الحلفاية اليوم جاء وفد لمنعي ولكن بلا جدوى رمى المدير نفسه أرضاً وأمسك بقدمي متوسلاً أن لا أذهب، لم أهتم له كثيراً، لأني أظن بأن توسله كان لرغبته في منعي من الذهاب إلى حيث أعتقد بأنه كان يسرق النظر يميناً وشمالاً أكثر من اهتمامه بسلامتي،عليّ أن أفطر قلوب هؤلاء الذين في مكتب خارجيتنا بأن أقول بصراحة: (بما أن حكومتكم سيئة ولن تمنحكم شيئاً عندما تهزمون، فاسرقوا بسرور ولكن بحكمة، ولا تدعوني أسمع بمثل هذه الأشياء).

سيغضب العرب بشدة غداً عند رؤيتهم موكب الدراويش الخمسة بالرايات التي أستولي عليها منهم بصعوبة يمكنكم تخيل الحالة (يعرفها جيداً ستيورات وباور وهيربين) التي تنتاب الرجل عند سماعه دوي التفجيرات. ماذا عن المدافع والألغام والبنادق،إنها توتر أعصاب المرء، لا شيء يسقط إلا ويظن المرء إنه تفجير. إن ما عاناه الروس في (سيفشويل)يجب أن يكون فظيعاً، وكما قال القنصل النمساوي: (Abtrussat) لقد خفت الآن ولكن كل ضجة عالية في هذا الهواء الطلق تجعلني أقفز (أي خائف للحظة)،كما يعرف أي رجل حين يشيخ حصانه من تحته تماماً عند الوثوب فجأة.

إنني أنتظر وصول بعض رجال البحرية الملكية أكثر من أي شيء آخر، هناك الكثير من المفاجأت الرائعة التي يمكن أن تقدمها هذه البواخر، وهي بواخر من الدرجة الأولى في مثل هذه الأمور. كل باخرة سعتها الفيّ رجل إذا أحسن توجيهها وعلى ظهرها ما يكفي من الطعام والذخيرة ولا تحتاج إلى ضباط متخرجين من الكليات. إذا كنت أيرل سأترك كل كبار الضباط الطيبين في دنقلا واستخدم أدنى الرتب في مصلحة الجيش الطبية.

كبار الضباط الطيبين يتذمرون ومتذمرين يريدون كل أنواع الاهتمام.

الرجل حين يبلغ من العمرأربعين سنة إما أبله أو طيب. كل ما تحتاجه في هذا البلد هو أن تظل الإتصالات مفتوحة وكوكل سيفعل ذلك. لن تكون هناك جروح فالعرب ليست لديهم رحمه وكذلك نحن إذا كنا سنسير عبر مئة ميل من الصحراء.

عندما كنت أتجول اليوم حول الحصن في الحلفاية، اندفع مصري بوجه مدهون بالشحم ومنتحباً بشكل مخيف، حاولت بلا فائدة تهدئته، وتدخل الشايقي خشم الموس ولكن بلا فائدة أيضاً ،ألقى الرجل بنفسه على الأرض وغمر نفسه وشخصي بالتراب، لذا قام خشم الموس بضربه على رأسه بسوطه المصنوع من جلد فرس البحر،أمرت بأن يعفى من رتبة جندي ويحضر إلى الخرطوم اعترضه حراس في الطريق وقالوا: إنه يجب اعتقاله لأنه أشهر لص في الأسكندرية، وهكذا سواء أكان عدلاً أم لا وضعته في السجن.

إنه خطأ كبير الاعتقاد بأن القوات مكتئبة بالتأكيد فقدنا الكثيرين، ولكن الرجال عاقدون العزم على الصمود إذا قدمت لهم المساعدة. يتحدث سيتورات عن جبنهم ولكنه بجبن محسوب، ومن الخطأ إذا جاءت قوات الحملة لسحب الحاميات واعتقدت بأن الرجال سيقولون: أنهم في محنة (أنا استثني قوات القاهرة والباشرزق) لا يرى الجنود السود بأنهم هزموا، لايوجد العديد من الجيوش التي يمكن أن تتحمل برباطة جأش ما تتحمله هذه القوات مثل فقدان خمس إعدادهم قتلى، هذه هي الحالة في هزيمة واحدة (قيل عشرين يوماً)وهي هزيمة محمد علي باشا، اعتقد أن البواخر ستأتي غداً من سنار.

كان السؤال اليوم في الحلفاية هو هذا، ذهب رؤساء أسر معينة مع صالح باشا إلى العرب (لتنس هذا الأمر) و لم يذهب أتباعهم الذين كانوا في الخرطوم وهذه

ليست غلطتهم) رجع إلى هؤلاء الذين ذهبوا مع صالح باشا وطلبوا إرجاع أتباعهم) اعترض رؤساء العرب الذين ظلوا في الخرطوم وأخضعوا هؤلاء الأتباع لرئاستهم. وكان السؤال ما العمل؟ قررت أن أسال كل رجل عن رغبته «هل ستذهب مع (أ) أو (ب)يدخل الرجال من الباب ويخرجون بعد الاختيار من الشباك لأنه لا يوجد بابان،يختارون حسب رغبتهم ويخرجون من الشباك. البعض جاء معتقداً بأن كل المطلوب منهم هو الدخول من الباب والخروج من الشباك بسرعة دون أن يجاوبوا على السؤال، (أحب أن أقوم بدراسة الإنسان فهو أفضل بكثير من المناظر الطبيعية) هؤلاء الرجال عرفوا جيداً بأني سأنفذ قرارهم فحاولوا تجنب إبداء الرأي حول من يودون الذهاب معه. إن الخروج من الشباك كان نوع ما من الرياضة بالنسبة لهم أدى إلى فوضى، ولكن إذا كنت سمحت لهم بالخروج من الباب الذي دخلوا منه فإن ارتباكاً لا يمكن تجنبه كان سيحدث.

كان هناك إحياء عند الباب لهؤلاء الذين خرجوا من الشباك مما سبب إرتباكاً، كان رئيسين متنافسين حاضرين، وهدفنا منع الذي يختار من النظر إلى أي منهما عند الاختيار. كان من الضروري ضمان أن الوجه ذو الأنف الأفطس يتجه تماماً نحو الكاتب (ضابط الاختيار)الذي يسأل (أ) أو (ب).أنا أتجه نحو العين للمعرفة أكثر من أي عضو جارح آخر. الرجل الذي لا ينظر إلى وجهك عند الإجابة يكون كاذباً بنسبة ٩٩٪.

٢٦ سبتمبر

هناك سؤال مهم - إذا كنت تعرف أن شخصاً (لنقل ك)غير مخلص ويسعى لمصلحته، هل يجب على المرء تعنيفه؟ لدينا مثالاً في مسيحنا. عرف أن يهوذا سيخونه ومع ذلك لم يشهر به. استنتج من هذا، إن كنا نعرف أن (ك) سيقوم بالوشاية أو الخيانة فيجب علينا معاملته مثل يهوذا ، والذي ليس لدينا شك في خيانته. هذا إلا إذا قدم (ك)دليلاً ثابتاً على مثل هذه النية. أنا أميل (اقر شيطانياً)إلى الارتياب في كل شخص، أي أنا أثق في كل شخص أرى أن ظروفاً شخصية قد تنشأ فتجبر المصلحة الشخصية أقرب أقرباءك على خيانتك بقدر ما، الإنسان حيوان غدار بالضرورة. وبالرغم من أن ناظم المزامير قد قال في عجلة (كل الرجال كذابون)أرى أنه كان من الممكن قول نفس الشيء إذا وجد متسعاً من الوقت.

(سأبذل أفضل ما يمكنني من أجلك، يمكنك الاعتماد على ذلك) كتب إلى رئيس الكتيبة W.O (ياللعجب - إذا منحته إياها يجب علينا منحها لأكثر من أربعين! مستحيل)ما هي النتيجة؟ لماذا يذهب إلى النادي ويقول (لماذا وعدت بها و لم أحصل عليها؟ في حين إذا تدبر كلماته لوجد إنها وعد فقط)أفضل ما يمكنه فعله، أنه نقض للثقة ولكنه مثال. مات رجل منذ زمن بعيد طلبت منه سيدة التوصية بتعيين إبنها الذي كان أميناً جداً كتب قائلاً: إن (فلان)يريد كذا وكذا ولكنه لا يرى الشاب الذي يراد تعيينه يستحق الكثير، كتب إلى المرأة قائلاً: إنه فعل أفضل ما لديه. للأسف وضع الخطابين

في المظاريف الخطأ لم تنظر المرأة إليه مرة أخرى كان من الممكن ألا يكتب ولكنه فعل أكثر – لقد أضر بالشاب بقوله: إنه لا يستحق الكثير.

أحب معالجة الأشياء بطريقة مرحة. أحب العقد الواضح (إذا كنت مفيداً لي ساستخدمك)و باعتقاد كامل(إذا توقفت عن كوني مفيداً لك ستتركني) سأحاول أن أتصرف(أفعل للآخرين مثل ما يرغبون في أن تفعله لهم)لا أضع أبداً رجلاً في وضع لا أحب أن أضع نفسي فيه، بالرغم من أن الإنسان هو جوهر الخيانة، فأنا أرى أن كل إنسان يرغب في أن يكون أميناً إلاأن مصالحه تمنعه من ذلك.ذهب الرجال الخمسة براياتهم إلى خطوط قتال العرب، وكان وقت خرج فيه جموع المصلين إنها حقيقة غريبة بأن أي جهد يبذل في الخارج لإنقاذ الحاميات يكون معاصراً لانقضاء الفترة المذكورة في مارس للوقت الذي يمكن الصمود فيه أي ستة أشهر. هناك ظروف مريبة وشنيعة على الدوام وستكون النتيجة مكلفة أكثر. إذا كانت الجهود قد بذلت بهدوء في ما بين مارس وأغسطس لإنشاء مواصلات صحيحة بين وادي حلفا وحنك [١٢]، لكان من الممكن التغلب على الصعوبات الحالية في التقدم، والشعور باطمئنان في كل مكان بأن مجهودات قد بذلت حقيقة. هناك تواضع في تلغراف بارنج الذي يطلب فيه النصيحة حول الطرق المؤدية إلى دخول الخرطوم، بما أن السير أي بارنج قد ذهب إلى لندن فأنا مكلف من قبل حكومة جلالتها بأن أخبرك بأن تطلعهم ليس فقط على الوضع الحالي بل على أي خطر محتمل على الخرطوم، وأن تنصحهم لكي يكونوا مستعدين لأي خطر مثل هذا على القوة اللازمة لضمان، انسحابك – أي عددها وتكوينها والطريق للدخول إلى الخرطوم والوقت لرحيلها لا تفكر حكومة جلالتها في اقتراحك بإمدادك بقوات تركيبة أو أخرى بغرض القيام

حملات عسكرية، لأن هذا لا يدخل في نطاق تكليفك ويتعارض مع لسياسة التي هي فحوى مهمتك في السودان. إذا واصلت مع هذا الفهم لبقاء في الخرطوم فعليك ذكر السبب والغاية اللتين بهما تستمر، كذلك[١٣] ذا تم الرجوع إلى التلغرافات التي أرسلتها في مارس إلى بارنج، سيعرف بأنني سبق أن أخبرتهم[١٤] بكل ما يريد معرفته، وخاصة أني قلت بأن الحملة عن طريق وادي حلفا ستكون (كما هي في ذلك الحين) مجرد رحلة ترفيهية.

لرجل في التفكير والرب في ربما التدبير، كان سيسُخر من أي رجل كمجنون إذا كان قد قال قبل سنتين ونصف، إن وزارة جلادستون ليس فقط ستذهب إلى مصر مكتفية بحملة واحدة إلى السودان جراهام بل، ستذهب بحملتين من الغريب بالتأكيد أن المستر جلادستون في(... ديفيو) [١٥] عام ١٨٧٨م) كان معارضاً أفكار المستر ديس بضم مصر، كان واجباً عليه ذكر أن هذا الضم غير ممكن بسبب السودان.

هناك شيء واحد والذي يمكن عن طريقه في نظر العالم مسح كل السيئات عن المسألة برمتها، أي أن يتم إعلان الغاء الرقيق سيكون عملاً مضنياً، ولكن يمكن أن يكون ممكناً إذا تمهلنا، وسيكون برنامجاً على موائد عشاء اللورد العمدة والتي لا يرتفع أحد فيها إلى المستوى المطلوب.

شوهدت البواخر القادمة من سنار حوالي الساعة ٤ مساء. (شكراً لله) سنجتمع مرة أخرى. كان العرب والبعيدين في الجهة الجنوبية مضطرين على رؤية البواخر وهي قادمة. هؤلاء الذين على النيل الأزرق يطلقون النيران على البواخر. أرسلت المنصورة لمساعدتهم. العرب موجودون في المنازل. أعتقد أن الإنفاق على الذخيرة كان باهظاً. اجتازت البواخر الثلاث المكان

الذي يوجد فيه العرب. جاءت واحدة تلو الأخرى وهذا لم يكن حكيماً. يشرف المرء من أعلى السراية على منظر شامل لعدة أميال.

سيكون مرضياً لبحرية جلالتها أن تعرف بإن بحريتنا هي من أنقذنا، إنها بالفعل أسطول رائع وترسانة بحرية، كان العرب كثيرون ولديهم خمسة مدافع أطلقت سبعة من قذائفها على البواخر ولكنها وصلت وبها ٢٠٠ أردب ذرة (للعرب أيضاً انبوبين للصواريخ(أخبرت البواخر بأن الأحوال في سنار مرضية وليس هناك عرب مسلحون في كافة المركز. يقال: أن السيد محمد عثمان قد أحتل القضارف، وعد شيخ بالاستيلاء على الباخرة محمد علي وهي في نهر الدندر وتقديمها إلى حاكم سنار. لم تقم ود مدني بإطلاق النيران على البواخر ولكن لوحت بالحراب. .. غيرها. خسارتنا خلال المرور بين صفوف الأعداء كانت ثلاثة قتلى وثمانية جرحى.

لا يلتزم العرب بما يمليه الضمير، يجبرون جنودي المقبوض عليهم لخدمة المدافع، وإلا جعلوهم يعملون ضدنا تحت تهديد بالموت.

أعلن بإن رجالي يفعلون ما يراد منهم بطريقة ضعيفة ولا يستحقون بأن يوصفوا بأنهم جبناء - يتحملون الهزيمة بطريقة أفضل كثيراً من رجال آخرين، ويتمالكون أنفسهم عندها. نحن الإنجليز من الصفوة، والكل يعترف بذلك، ولكنا لن نعيش على حبتين من البلح في اليوم كما يفعل هؤلاء الرجال بلا تذمر.

أصيبت الباخرة بقذيفتين، أحداهما قرب خط الماء. استقبلت الباخرة الإسماعيلية ثلاث قذائف والباخرة بوردين، ولكن الحظ أوصل الجميع بسلام، يطلق العرب النيران من المدافع والبنادق بغضب - يمكننا رؤية ذلك

من السطح. حصلت كل البواخر على علامات كالجدري أحدثتها طلقات الرصاص، كان رئيس ترسانتنا ذكياً تماماً وكان لديه قطع من الخيام القديمة جاهزة لسد فتحات القذائف لو يكن يملك هذه الخيام لكنا فقدنا الباخرة بوردين.

للعرب ثلاثة حصون (متراس مرتجل) بمحاذاة ضفة النهر أعلى الجريف. ذكرت بأننا فقدنا ثلاثة قتلى وثمانية جرحى - تأمل هذا: قابلت البواخر في سيرها إلى الأسفل ثلاثة جنود هاربين من العرب فأخذوهم معهم، من الغريب بأن هؤلاء الثلاثة كانوا من بين القتلى والجرحى - اثنان قتلا والآخر جرح جرحاً خطيراً، هذا أمر جدير بالملاحظة إذا أمكنا تصديق هذا، فنحن آمنون خلال أشرس المعارك كما لو كنا في غرفة استقبال في لندن.

٢٧ سبتمبر

رتبت لارسال ثلاث بواخر إلى شندي للتعاون مع قوات دنقلا ولإثارة قبائل الشايقية،بعثت رجلاً لإنذار دنقلا بهذه الحقيقة، لم يكن يحمل رسائل فقط قصاصة صغيرة من الورق ذاكراً فيها أنه (رجل صادق).

لا فائدة من الإرسال مرة أخرى إلى سنار لجلب الذرة، فليس لدينا مالاً لندفعه مقابل ذلك، وهي أيضاً مخاطرة في وجود مدافع العرب. استقبلت الباخرة الإسماعيلية ثلاثة قذائف والباخرة بوردين قذيفتين، وكذلك الباخرة تل عوين أحدث بعضها فتوحات هائلة وفي بوردين كانت قريبة من خط الماء،إنها أعجوبة كيف نجوا؟ كان الجنود الهاربين نائمين في مخزن الباخرة عندما قذفت القذيفة وانفجرت، قتل اثنان وجرح واحد جرحاً خطيراً.

جاء رجلان من العرب أحدهما قال: إنه المهدي والآخر قال: بإن رسولاً جاء إلى العرب وقال: لهم بإن الإنجليز في بربر – لم يعرفوا بقتال الأمس.

بواخرنا تقريباً بنفس متانة القوارب التجارية في نهر التيمس، لذا يمكنك تخيل الخطر في وضعها تحت نيران المدفعية، ذهبت الباخرة التوفيقية أعلى النيل الأبيض وتبادلت نيران البنادق مع العرب. بواخري الجميلة التي كانت نسبياً حلوة الآن نتنة كحيوان الغرير، أما الإسماعيلية المتورمة فهي بالوعة. ضربت عدة قذائف الأجزاء العليا في البواخر. بوضوح كانوا تحت نيران ثقيلة أما علامات الرصاص فهي ترى في كل الأماكن،بين الثلاثة الذين قتلوا

(اثنان من الجنود الهاربين) وولد صغير جاء عبد آخر من أم درمان ولكن لم يكن لديه أخبار.

أصوات نسائية عالية تقترب من الصراخ تحت شباك السرايا. بالبحث وجدت أن الضجة لأنثى سوداء تتشاجر مع الحارس. عند الاستفسار وجدنا أن السيدة ذهبت للسوق لشراء ذرة بدولارين كانا في يدها، دفعها شخص غير شهم فسقط الدولاران في النهر. وبالرغم من أني لا أرى أن المسؤولية تقع على عاتقي منحتها دولارين وطيبت خاطر روحها السوداء،كانت ستكون متعة لو أن كل مشاكل الحياة يمكن التخلص منها بهذه البساطة.

عانينا قلقاً عظيماً نسبة لوجود قبيلة الشايقية في خطوطنا خلال الحصار، قمنا بالتخلص منهم بإرسالهم إلى الحلفاية بأسرع ما أمكننا[١٦]، ولكن عند وصولهم الحلفاية ومقابلتهم لأخوتهم الذين كانوا مع العرب وجاءوا إلينا ساور السابقين عدم الثقة في الآخرين، ولذا كان علينا إحضار هؤلاء الآخيرين إلى الخرطوم. لا أرى أي مخاطرة لأن الشايقية كذبوا كثيراً على العرب ولا شيء أبداً سيحدث سلاماً بينهم والعرب، ولذا فأنا لا أشعر بانزعاج منهم.

ليس أمراً مطمئناً أن ترى فتحة على بعد قدم واحد من خط الماء في بواخرك، وهذه الفتحة تستطيع من خلالها إدخال رأسك وكتفيك، هناك مثل هذه الفتحة في الباخرة بوردين جاءت القذيفة من جانب وانفجرت عند اختراقها الصفحة المعدنية في الجانب الآخر.

في رأيي أن المدافع الجبلية المصرية أفضل بكثير من مدافعنا الفولاذية ذات العيار الصغير، وأنا أفضل مدفع هاوزر أملس الماسورة على مدفع أرمسترونج في هذه الحروب.

منحت نصحي بك الباشوية لرحلته إلى سنار وأرسلته مع خشم الموس إلى المتمة لانتظار وصول قوات جلالتها. إبراهيم بك وموسى بك رفضا أو بالأحرى اعتذارا عن الذهاب إلا إذا منحا الباشوية، ولكنني رفضت ولهذا بقي هذان المحترمان هنا.

(ب)إلى (أ) حسناً أنت تعرف بأنه كان عليّ إرسال البرقية وأنا أضفت عبارة أتمنى أن يكون ستيورات بخير. اعترض (G) على هذا ويقول: عزيزي لم أكن أتمنى أن يكون ستيورات مريضاً. هذا أكثر ظلماً. إذا كنت قد أضفت أي شيء لهذه البرقية كان من الممكن أن تحدث ضجة – وهذا لن يحدث، ولكن ما الفائدة من إرخاء العنان لفضول مفرط.

(أ) إلى (ب) حسناً هاجمني لسؤالي ستيورات إن كنت أستطيع عمل أي شيء له (الاتصالات كانت في غاية السهولة، وإخباره بأسماء الجنرالات) (في رأيي أمر مهم للغاية لأنه سينشر الرعب بين العرب)يقول: إنه لا يهتم.بمن هم الجنرالات (مجرد بدعة ومقززة تماماً) لن أكتب له شيئاً أكثر غير المستندات الرسمية، من الواضح أنه مريض حيث يقوم.بمهاجمة ضابط من فرقته هكذا. إنه أمر شنيع.

٢٨ سبتمبر

جاء اليوم رجل وامرأتان ويقولان: بأن المهدي ليس في شات بل في الرهد. حسن أفندي وآخر وجها المدافع نحو البواخر تقول المرأة: إن لدى العرب ثلاثة مدافع وليس خمسة. بحسب روايات رجالهم فإن العرب لم يفقدوا كثيراً. هناك مدفع كروب من بين المدافع الثلاثة.

لنقل للحظة إن هدف حكومة جلالتها هو تمكيني من الانسحاب بصرف النظر عن انسحاب الحاميات، وبالتالي فإن كل الخسارة في الأرواح من الجانبين في المنطقة قد تم إهدارها. وكأنه إن لم أكن قد جئت إلى هنا لكان الإنهيار أسرع وبدون خسارة في الأرواح (على الأقل محتمل).قد تقول. الحكومة . بأنه كان لديها آمال معقولة بأنني سأنجح، لا أستطيع أن أقول بأنني قدمت لهم مثل هذا التأكيد أم لا. أعتقد أنني كنت محايداً في إعطاء مثل هذا التأكيد أو عدمه. عند وصول البواخر إلى شندي ستكون على بعد ١٥٠ ميلاً من أم بكول، والتي هي أبعد قليلاً أعلى النيل من الدبة ٣٥) ميل) جاء ثلاثة عبيد آخرين من الشمال، لقد فروا من سيدهم وسيلتحقون بالجيش،أتوقع أن نشهد الكثير مثل هذا الأمر.

لم يظهر العرب أي اتجاه لسد الطريق إلى شندي وأعتقد أن البلاد حتى ذلك الموقع تساند الخرطوم (لا استطيع أن أقول : الحكومة لأني لا أعرف من

هي الحكومة)أحد أكثر المذنبين في إيقاع مصر في مصائب مالية (ومن ثم كل هذه المشاكل)هو ... والذي اعتاد في بلاد القرم على بيع الجبن وأشياء أخرى بأسعار باهظة.

سيصاب السير صموئيل بيكر بالاشمئزاز عند ما يعرف بأن السفينة الممتازة التي حصل عليها من سامودا وهي الإسماعيلية، أكبر سفنه، هي أسوأ البواخر الكبيرة القتالية، إنها يخت جيد ولكن ليس أكثر من هذا. نحن مدينون للسير صاموئيل بيكر بكل هذه البواخر . أحضر فرنسي هو المستر بيزمونت البواخر من القاهرة عبر كل الشلالات وكان معه المستر بلانك . أحضر المستر سي أي هيكتر السفن في أجزاء عبر صحراء (كورسكو).

٢٩ سبتمر

غداً عيد الأضحى. جعلت فرج باشا مشرفاً على الاحتفالات. ستغادر (إن شاء الله) ليل غد إلى شندي كل من البواخر تلعوين والمنصورة والصافية، وعلى ظهر كل منها ١٠٠ رجل،سيذهب معهم خشم الموس. بعثت بقصاصة إلى اللورد ويسلي على أن ترسل مع جاسوس. يوميات الأحداث من ١٠ إلى ٣٠ سبتمبر وخريطة بربر سأرسلهم مع البواخر – مع الأمل في أن يجدوا طريقاً آمناً لإرسالهم إلى الدبة أو أي مكان آخر.

وجدت في المخزن ٧٠٠ كيس من الأرز الهندي وزعتها كراتب للقوات بواقع ٢ أقة [١٧] (للدولار) سيبيعونها ثلاث أقة للدولار هذا يسدد ديني لهم وسيربحون.

جاء جندي هارب ويقول: بأن ثلاثة رسل وصلوا من المتمة إلى المهدي وقالوا: بأن القوات البريطانية تصل في أفواج. رأى حلماً بأنه أمر بالرجوع إلى كردفان.

أتمنى أن يراعي ضباط وجنود جلالتها مشاعر الجنود والبحارة المصريين إنهم لا يفهمون اللغة الإنجليزية، ولكن بما أنهم قاموا بخدمة جيدة فأرجو أن يعاملوا برفق أعرف جيداً أنهم مضجرون، ولكن لولاهم لكان على جنودنا السير على الأقدام لعدة أميال على رمال متعبة. إن أحد أسباب سروري أن ليس عليّ أبدا مشاهدة بريطانيا العظمى مرة أخرى. أتمنى أن أنتهي من هذا

الأمر وأذهب إلى الكونغو إما عبر المديرية الإستوائية أو بروكسل. على أية حال لن أعاني من الهموم التي عانيتها خلال الأسبوع الذي مكثته في إنجلترا هذا العام. أقول هذا حتى يعرف الذين يمكن أن يتعاملوا معي كيف يجب أن تكون عزيمة الرجل المصمم جداً والذي لا يرغب (حقيقة لن يفعل أبداً)في الرجوع إلى إنجلترا مرة أخرى، وأن الاستمرار في خدمة جلالتها أمر عديم الأهمية ما عدا الشرف الذي تجلبه ،سأكون أنانياً الآن ولكن هذا سيوفر الكثير من المشاكل، وقد يتم العفو عنّي نظراً للظروف، كوني هكذا قد أنقذ نفسي من ما يجب أن أندم عليه، أي (الشجار).

فكرتي هي أن أحث حكومة جلالتها لإخراج كل الناس والحاميات الذين هم محاصرون أو أسرى الآن،إذا لم يكن هذا برنامجهم سأستقيل من مهمتي وأفعل ما أستطيع لتحقيق الهدف.

طالما أن الرجل في خدمة جلالتها فهو ملتزم بإطاعة أوامر رؤسائه، ولكن إذا استقال فلن يعتبر متمرداً إذا لم يطع الأوامر. بالطبع قد يثار السؤال عما إذا كان المرء بعد إنضمامه لخدمة جيش جلالتها حراً في ترك الخدمة باختياره؟. نحن الضباط لسنا مثل الجنود الذين يجندون لعدد من السنوات. ربما يخاطر المرء بالفعل إذا كان السبب يستحق ذلك، وأعتقد أن مسألة التخلي عن الحاميات تستحق ذلك.

أقول هذا لأنني سأكون آسفاً على تقدم لورد ويلسلي من دنقلا بدون معرفة كاملة لآرائي. إذا كانت حكومة جلالتها ستتخلى عن الحاميات فعليها الاّ تتقدم إذن. لا أقول شيئاً عن إخلاء البلاد، أنا فقط أؤكد إذا نحن فعلنا ذلك فكل واحد في السودان أسيراً كان أو محاصراً يجب أن يكون له الخيار وسلطة الانسحاب،إذا منحوا هذا الخيار والسلطة فليس لدي المزيد من القول ولا

أبالي إذا تم إخلاء البلاد أم لا. إنها بلاد بائسة ولكنها ضمت لمصر وفي رأيي من الصعوبة فصل الاثنين.

سأنهي هذه الملاحظات الشخصية بالقول: إنه ما من محاولة إقناع ستدعوني لتغيير وجهة نظري، أما بخصوص القوة فهذا غير وارد لأن الناس معي، على الأقل المدن صامدة، لذا إذا كانت قوات جلالتها غير مستعدة لإنقاذ كل الحاميات فعلى الجنرال أن ينظر بعين الاعتبار ما إذا كان الأمر يستحق المجئ في منصبه ،إذا لم يكن مستعداً [١٨] لذلك أنا لن أفعل ذلك. أنا لا أملي ولكن أقول ما يوافق عليه كل سيد نبيل [١٩] في جيش جلالتها سيكون أمراً خطيراً ترك الرجال (مع أنهم لا يرتقون لأفكارنا عن الأبطال)الذين أخلصوا لي خلال الصعوبات، مع أني في نظرهم كلب مسيحي. وهكذا تجبرهم على الاستسلام لمن لم يقهرهم، وأن تفعل ذلك بأمر سلطة أجنبية لينقذوا أنفسهم، لم لا ترحمني النساء السود القذرات إذا اعتقدت بأني فكرت في مثل هذا التصرف يعلم ستيورات كل هذا واعتاد إنكار الحماقات.

٣٠ سبتمر

أطلق العرب عند الساعة ٩ مساء الليلة الماضية سبع قذائف سقطت داخل خطوط القتال ولكنها لم تحدث ضرراً. أطلقوا اليوم خمس قذائف داخل معسكرهم افترض إنها تحية فاليوم هو عيد الأضحى.

يقول الجاسوس الذي جاء بالأمس: إن هناك رواية منتشرة بأن رجال السيد محمد عثمان احتلوا القضارف ستغادر عند الساعة ٤ مساء اليوم البواخر الثلاث إلى شندي، كلفت فرج باشا بالإشراف على احتفالات عيد الأضحى وإقامتها عند الخطوط. أنا لست بكفء لمثل هذه الأعمال واعتقد أنه يحبها.

بمجرد أن أسمع بوصول القوات إلى بربر سأجعل اليونانين والباشبوزق والجنود الفلاحين يغادرون مع مؤنة شهر.

بعد ذلك يستطيع أهالي بربر إرسالهم بأفضل الطرق، وأكون قد نفضت يدي عنهم ليس ليدنا أسلاك تلغراف لإصلاح خطوط التلغراف، لذا من الأفضل لفلوير النظر في ذلك كل ما لدينا من أسلاك تم استخدامه في التشبيكات.

القوات في البواخر هم جنود فلاحين إذا تم الاستيلاء على بربر فمن الأفضل إنزالهم (جزء منهم في طريقه إلى وطنهم) واستبدالهم بقوات من السود الذين قد يتم إطلاق سراحهم في بربر، ولكن يجب مراعاة مرتباتهم ومؤنهم وعدم إهمالهم.

لسنا بحاجة لإخبارنا بأن البواخر قذرة فنحن نعلم ذلك، إذا كنت قادماً

تيقن مسبقاً بأن ليس لدى العرب مدفع أو مدافع عند ممر السبلوقة، وإذا كان لابد من نهب الحطب فافعل ذلك من هؤلاء الأهالي الذين في الضفة الغربية للنيل وليس من الذين في الشرق. لا أهتم كثيراً بوجود رجال (وود) هنا، بالتأكيد سيحدث شجاراً بينهم وبين السود من رجالنا فهم ليسوا بمحبوبين في السودان، أيضاً لا أريد رؤية الباشبوزق ،أو القبائل التي كنا ندفع لها فهم سيسرقون يميناً وشمالاً.

لقد جهزت حبات الخرز وقضبان النحاس والبزات النظامية لإرسالها إلى خط الإستواء بأسرع ما يمكن، تقول التقارير: بأن حامية الإستوائية في فشودة(??? ستكتمل الباخرة أخت الباخرة عباس خلال اثني عشر يوماً. صنعنا أو بالأحرى صنع حسن كرنك من الدرجة الأولى.

نذكر بأن لدينا القليل جداً من الدولارات، وقد انخفضت قيمة الذهب، لدينا في الخزينة ١٠٠٠ جنيه فقط.

من الأحسن إخبار دائنينا من اليونانيين والذين قد يحضرون، بأن هناك احتمالاً ضئيلاً بأن الحكومة مهما كانت ستنظر في مطالباتهم قبل انقضاء سنة على الأقل.

لقد طلينا البواخر إنها أضرحة بيضاء.

أتمنى أن إبراهيم بك وموسى بك اللذان سيأتيان إلى هنا مع المجموعة الأولى وسيغادران بربر (بعد الأمل المعقود على الاستيلاء على بربر)، أن يرسلا إلى القاهرة فوراً ولا تقدم لهما وظائف لها اعتبار في بربر أو أي مكان آخر.

أود أن أحاول إيجاد حلول لمشكلة السودان، هذه هي المحاولة الأخيرة د ع توفيق باشا يرسل عبد القادر باشا كحاكم عام للسودان ويحل محلي فوراً،

بمجرد صدور الفرمان أكون خارج الحسابات، ويمكن لحكومة جلالتها فعل ما تريد لأن عبدالقادر سيتبع قولهم. لن يغيظني مثل هذا التصرف،يمكن للورد ويلسلي فعل ما يعتبره مناسباً بخصوص السودان؛الإخلاء وكل الأشياء الأخرى، وأكون حراً من أي مسؤولية تجاه الأهالي والقوات أو بالنسبة للشؤون المالية والذرة .. غيرها. ولكن في هذه الحالة يجب أن يتذكر بأنني لست (الحمل المنقذ) ببساطة كنت قد أرسلت لأداء مهمة معينة أي: أخراج الحاميات، لقد فشلت وحل في مكاني عبدالقادر باشا وقوة بريطانية، هم من عليهم تفسير أي تغيير في برنامجهم، نفس الملاحظات الملحقة في نهاية المجلد ١ يتم إضافتها لهذا في ما يتعلق بالسيد باور ووزارة الخارجية.

س. ج . غردون

الخرطوم ٣٠ سبتمبر الساعة ٢ مساء

أعتقد حقيقة.بما أن حكومة جلالتها وشخصي في معسكرين متعارضين (أنا على الأقل أعتقد هذا)في ما يتعلق بإخراج الحاميات – يمكن التخلص من الكثير من المشاكل إذا قام توفيق باشا باستبدالي بعبد القادر باشا الذي يمكن لحكومة جلالتها أن تفعل معه ما تريد. على أية حال يمكن تجنب فضيحة، وأعتقد أن عبدالقادر سيقابل بالترحيب من الجميع بالطبع يجب أن تكون لي فرصة الضحك سراً، إذا وجدت حكومة جلالتها برغم كل شيء أنهم لن يستطيعوا الخروج بدون وجود الأتراك أو الزبير أو الإبقاء على السودان خاضعاً لمصر، لذلك فأنا عند الوداع أوصى بهذا التوجه لأنه يتيح لي الخروج السريع بدون ضجة، ويعفيني من كل مسؤولية مهما كانت.

س . ج . غردون.

١/ أي مستقبل السودان – المحرر

٢/ أي الشلال الرابع – المحرر

٣/ أي صفحة ٥٢ – المحرر.

٤/ في رأي العقيد كونيل جون أن المتمردين سيتراجعون إلى الجنوب عند اقترب البريطانيين وينتظرون ما يجد من حوادث. بالتأكيد إن الجنرال غردون سيرفض الذهاب إلا إذا تم ضمان الرحيل الآمن للأهالي والحامية، ... إن عدد الأهالي والحاميات في الخرطوم وسنار يبلغ حوالي (٤٠٠٠٠) (إلى) (٥٠٠٠٠) وسيستغرق سنتين لترحيلهم. عندما يتم إخلاء الأماكن سيدخل المتمردون ويصبحوا معادين في الأمام والخلف. التايمز ١٣/٩/١٨٨٤م المحرر.

٥/ اقترح الجنرال غردون على الحكومة منح مديريات بحرالغزال والإستوائية إلى ملك البلجيك ومن البداية اقترح تعيين الزبير وقد صمم على حماية هاتين المديريتين من غارات صيد الرقيق – المحرر.

٦/ تقع آبار جبرة على بعد حوالي ٣٠ ميلاً شمال غرب الخرطوم – المحرر.

٧/ نادي الخدمى المتحد – المحرر

٨/ الفراغات بواسطة غردون – المحرر.

٩/ المقتطف الآلي من هيرودتس لصقت في الصفحة المقابلة في اليوميات الأصلية.

بعدما رأى الجواسيس كل شيء عادوا إلى الوطن وبعدما وصفوا

كل ما مروا به، زحف قمبيز ضد الأثيوبيين بدون أن يوفر أي مؤن لإعاشة جيشه أو النظر إلى أنه سيحمل أسلحته إلى أبعد الأجزاء في العالم، وحالما سمع التقارير عن أثيوبيا وكرجل مجنون فاقد لعقله بدأ في زحفه، ولكن قبل أن يجتاز الجيش خمس الطريق نفذت كل المؤن وبعد المؤن تم أكل حيوانات النقل، لأنه إذا كان قمبيز رجع بجيشه لكان قد برهن أنه رجل حكيم ولكنه استمر وبعد ذلك لا أحد سوى الممونين والذين سمعوا تقاريرهم استطاعوا وصف ما حدث، فهم لم يصلوا إلى الممونين أو رجعوا، ولكن التقرير قال: بأن أكواماً من الرمال غطتهم واختفوا «(كتب الجنرال غردون مقابل هذا المقتطف) اختفى جيش هكس. هذه الحملة تم التخطيط لها في هذه البلاد – المحرر.

حملة فرنسية ضئيلة – المترجم

١٠/ كان للجنرال غردون الانطباع بأن العقيد شيرمايد موجود في الدبة، وأنه في الحقيقة كان في سواكن – المحرر.

١١/ إن الهدف الرئيسي للحملة إلى أعالي وادي النيل هي لإحضار الجنرال غردون والعقيد ستيورات من الخرطوم . عندما يتم تأمين هذا الهدف لا تباشر المزيد من العمليات الهجومية من أي نوع – مصر رقم (٣٥/ ١٨٨٤م) رقم ١٥٧ المحرر.

١٢/ الجزر الأعلى من الصحراء النوبية – المحرر.

١٣/ من الوكيل البريطاني ونوبار باشا إلى الجنرال غردون أرسل في ٥ مايو من سواكن – المحرر.

١٤/ يقول التلغراف الذي أرسل من الجنرال غردون إلى السير بارنج بتاريخ ٢٧/فبراير ١٨٨٤م الآتي:(يجب أن تقول) عما إذا كان الإخلاء الجزئي للسودان يلبي أهدافك - إذا لم يكن كذلك يجب عليك أن تعمل بواسطة قوات هندية مسلحة من وادي حلفا، وتفعل ذلك حالاً بإرسال كتائب من القوات إلى وادي حلفا) مصر رقم (١٨٨٤/١٢) مرفق١ في رقم (٢٢٩) ومرة أخرى في ٢٩/فبراير، إذا كنت ترغب في التدخل أرسل ٢٠٠ من القوات البريطانية إلى وادي حلفا وضباطاً مساعدين للقائد لتفتيش دنقلا ومن ثم افتح طريق سواكن - بربر بقوات هندية مسلحة. سيحدث هذا إنهياراً فورياً للثورة. سواء أكنت ترى هذا جديراً بالاهتمام أو لا فأنت بالطبع الحاكم الأفضل. أنا فقط أخبرك بطريقة عمل لتدخل سريع إذا رأيت خلاف ذلك فربما يكون عليك أن تقرر بين الزبير والمهدي مع (١٠٠٠٠٠جنيه) مصر رقم ١٨٨٤/١م مرفق ٥ رقم ٢٢٩ - المحرر.

١٥/ القرن التاسع عشر أغسطس ١٨٧٧ - المحرر.

١٦/ يذكر خطاب من مدير دنقلا (قتل الأمير أبو عنجة وجيشه الذي جاء من كردفان يوم ٢٤ يوليو وقبل خروج الرسول من الخرطوم حدث قتال آخر ، قتل فيه الشيخ سيد وأتباعه في ٣٠ أغسطس) وتم رفع الحصار ثم تأكيد هذا بخطاب أرسل لي من خشم الموسى يبين أنه وجنوده في الحلفاية لأن قبيلة الشايقية أهلها جاءوا وأعلنوا خضوعهم. مصر ٣٥ - ١٨٨٤م رقم ١٣٣ - المحرر.

١٧/ الآقة ٣,٥ رطل - المحرر.

١٨/ إن وضع الحاميات في مديريات دارفور وبحر الغزال والإستوائية يجعل من المحال إتخاذ أي فعل يمكن أن يسهل انسحابها من غير أن تمدد عملياتك إلى ما وراء النطاق الذي تستعد حكومة جلالتها الموافقة عليه. أما في ما يتعلق بحامية سنار فإن حكومة جلالتها غير مستعدة للموافقة على إرسال حملة من القوات البريطانية إلى أعالي النيل الأزرق كي تؤمن انسحابها من التلغرافات المستلمة من الجنرال غردون، هناك سبب للأمل بأنه اتخذ مسبقاً خطوات لسحب الجزء المصري من حامية سنار.

ستبذل أفضل جهودك لضمان الانسحاب الآمن للقوات المصرية التي تكون حامية الخرطوم، وكذلك الموظفين المدنيين في الخرطوم مع أسرهم الذين قد يريدون العودة إلى مصر، أما فيما يتعلق بحكومة المستقبل في السودان خاصة الخرطوم، فإن حكومة جلالتها ستكون مسرورة بأن ترى حكومة في الخرطوم بشرط أن كل الأمور المرتبطة بالإدارة الداخلية للبلد مهمة وتكون مستقلة كلية عن مصر. تعليمات لورد ويلسلي – مصر رقم ٣٥/ ١٨٨٤م رقم ١٥٧ – المحرر.

١٩/ (أنا بقوة ضد الاحتفاظ الدائم بالسودان ولكن أعتقد بإنه يجب علينا أن نغادر بأدب وأن نعطي الأهالي المحترمين رجلاً يقودهم ويمكن أن يلتفوا حوله، ويجب علينا دعم ذلك الرجل وفتح الطريق إلى بربر. أرجو أن لا تعتبرني بأي طريقة أدافع عن الاحتفاظ بالسودان أنا كاره لذلك، ولكن عليك أن تعرف بأنه لا يمكنك استدعائي ولا يمكن لي أن أقبل غير أن يخرج كل موظفي القاهرة من كل الأماكن)لقد سميت رجالاً لأماكن مختلفة، وهكذا ورطهم مع المهدي كيف يمكنني مواجهة

العا لم إذا تخليت عنهم وهربت؟ كرجل نبيل هل يمكنك نصحي بهذا السلوك؟ يمكن أنها كانت غلطة أن يتم إرسالي، ولكن بما أنها تمت فلا خيار لي سوى رؤية اتمام الإخلاء لأنني حتى إذا كنت دنيئاً كفاية لأهرب فلا حق لي في فعل ذلك. يمكنك أن تفهم هذا بسهولة فهل تفعل ذلك؟ إذا كنت من أهالي الخرطوم ستود مثلما هم يودون أن أتفاهم مع المهدي بجعلي أمنح تفتيشاً للمهدي (الجنرال غردون إلى السير أي بارنج - الخرطوم ٣ مارس ١٨٨٤م مصر رقم ١٢/ ١٨٨٤م رقم ٢٣١ هذا التلغراف أرسل من السير أي بارنج إلى اللورد جرانفيل - استلم بواسطة وزراء حكومة جلالتها مارس ١٨٨٤م، ذكر السيد جلادستون أمام مجلس العموم في ٣ أبريل أن)الجنرال غردون ليس بمأمور ولا قيد عليه للبقاء في الخرطوم - المحرر.

الكتاب الثالث

على الغلاف الورقي

لا أسرار بقدر ما يخصني

س.ج . غردون

لفوينات كولونيل G.C.B

يوميات الأحداث الخرطوم، المجلد ١١١

من ١ أكتوبر إلى ١٢ أكتوبر ١٨٨٤م

على الغلاف من الخلف

يوميات الجنرال غردون

من ١ أكتوبر إلى ١٢ أكتوبر ١٨٨٤م

يحتاج إلى تهذيب إذا نشرت

س.ج. غردون

١/١/١٨٨٤م

في الصفحة الداخلية

يوميات الجنرال غردون، المجلد ١١١

من ١ أكتوبر إلى ١٢ أكتوبر ١٨٨٤م

يجب تهذيبها إذا نشرت

س.ج. غردون

الكتاب الثالث

١ أكتوبر

غادرت البواخر بالأمس عند الساعة ٣ مساء إلى شندي. هاجمت الباخرة التوفيقية العرب عند النيل الأبيض وقتلت ثلاثة رجال وحصاناً. صدت الباخرة بوردين الخيالة عند النيل الأزرق، هاجم العرب قرية أسفل النيل الأبيض وتم صدهم من قبل القرويين، مع حدوث خسائر، يمكنك أن تصدق هذا بقدر ما تود، ولكن المهم أن بواخرنا ذهبت. كل ما فكرنا في تعيين عبدالقادر ١ باشا في منصبي، ستكون الفكرة مقبولة بشدة لأنها تزيل كل الصعوبات وتجعل حكومة جلالتها حرة تماماً في أن تتخلى أم لا حسبما تراه مناسباً. لن يكون عبدالقادر ملزماً تجاه الجنود والأماكن المطوقة، ويمكن لحكومة جلالتها إلغاء تبعة كل شيء عليه. بالنسبة لي ستكون هناك الميزة المتسمة بالأنانية بأن أكون حراً فوراً من كل وضع كريه ومزعج - شخصياً وعاماً معاً.

أما بخصوص شعوري بالغيظ من هذه التدابير وهي إزاحتي - ما كان لي أن اغتاظ لأن الشيء الوحيد الذي يحركني هو: الاعتقاد بإنها تعني التخلي عن الحاميات، ولكن إذا قرر رؤسائي فعل ذلك سيتحملون المسؤولية - عندها من أنا؟ حتى أعارض قرارهم خاصة إنه لا يمكنني فعل ذلك بدون أموال وأنا لا أملك أموالاً. أنا لا أعارض بأن سحب الحاميات عملاً صعباً وليس مستحيلاً. فإذا لم يكن كذلك فإن شرفنا يلزمنا بإنجازه. في رأيي إنه أمر غير منصف ألا أتجاهله ولكن الحكومات تفعل أموراً غير منصفة- انظر مسألة

البوير. إذا كانوا يريدون الإخلاء فإن الطريقة التي أشرت إليها هي الأفضل، ليس هناك أي سبب يجعلني أشارك في تنفيذها ولن يكون عدلاً أن تحاول إجباري وأنا لن أجبر.

أعتقد أن حكومة جلالتها ستتبنى هذه الفكرة وإذا فعلوا، فإني أرى أفقاً للهروب بشرف وبدون عراك (وهو أمر يسر كثيراً)من وضع ليس من المحتمل أن يكون مريحاً ويمكن أن يقتضي مني الاستمرار في النضال لأكثر من عام، ليس فقط ضد العرب بل ضد الكراهية والعداء المقنع بسوء من حكومة جلالتها، لأنهم بالتأكيد لن يكونوا ودودين إذا أجبروا على تصرف يكرهونه.

أعتقد أننا ملزمون بسحب الحاميات مهما كانت التكلفة - هم لا يفعلون وليس هناك سبب لأي خلاف في الرأي، والذي لا يمكن وجوده بين حكومة وشخص - هم ببساطة يضعون الشخص الذي يفكر بتفكيرهم وينتهي الأمر - هذا الشخص هو عبدالقادر باشا. لا أرى ما يدعو للمجادلة وإجباري على فعل ما أرى إنه غير سليم، وبالتالي إذا توليته سأفعله فقط بفتور - وهذا لن أفعله.

أما بخصوص استبدالي بعبدالقادر باشا أولاً: لن يكون مفاجئاً فمن المعروف جداً بأني وتوفيق لسنا أصدقاء على الأطلاق. ثانياً: من المعروف جداً أن حكومة جلالتها ترغب في التخلص من كل مسؤولية تجاه السودان - بالنسبة للحاميات - لذا سيكون الاستغناء عني فقط بتنفيذ هذه السياسة. ثالثاً: عبدالقادر باشا هو أفضل رجل لديهم هنا ولذا إلى أن يتم إبلاغهم بالأمر سيكون مرحباً به. أنا لا أتبجح عندما أقول: بإن الرأي العام هنا هو أن حكومة جلالتها لم تكن لترسل حملة إلى هنا إذا لم نكن أنا وستيورات

موجودين وارسلنا من قبلهم[٢]، أعتقد أنهم يدركون جيداً ما يخص الحاميات ... وغيرها. لولانا لكان من الممكن فناؤها بالسرعة التي يريدون، هم يدركون أيضاً إنه لولا تصرف حكومة جلالتها في القاهرة لكانت المساعدة أرسلت منذ زمن طويل من القاهرة. لذا يجب ألا يتوقع امتنان الأهالي هم سعيدون بالخروج من الفوضى، ولكن نأمل أنهم أخرجوا تحت إكراه الظروف وليس عن حب.

إذا كان الوقت ضيقاً فأرسل برقية إلى توفيق لكي يعين مدير دنقلا حاكماً عاماً بدلاً عني ويصبح عملك سهلاً (هذا لا يعني من هو الدمية، ربما فقط لا يكون لين العريكة مثل عبدالقادر)

شخصياً يمكنني أن أؤكد بأني ساكون سعيداً جداً لأنني سأكون في بروكسل في شهر ديسمبر وحراً بشرف من كل المسألة. لا يمكنك أن تتوقع مني البقاء بعد استبعادي أنتبه للكلمات، فإذا كنت قد قررت فهذا هو أفضل حل ويبعد الفضيحة.

سيتبنى عبدالقادر فكرة أن حكومة المهدي ليست بهذا السوء حقيقة: إنه من غير الممكن ... الخ، أن تتجول في كل أرجاء أفريقيا والكتابة عن حالة الأمور ستلقى قبولاً حسناً من الجمهور وسيكون هناك أوسمة بشكل عام وتهاني متبادلة.

قبل الجمهور البريطاني بدون تردد محاكمة عرابي باشا بواسطة إسماعيل باشا أيوب ورؤف باشا بأنها محاكمة عادلة - كيف لا، إذا حاكموا ملاكاً ورغب توفيق في أن يكون الملاك مذنباً - فسيكون ذلك الملاك مذنباً حتى لو كان جبريل أو ميكائيل.

الآن وقد أخبرتك كيف تخفي هذه العيوب، سأنهي هذه الخطبة الطويلة. فقط أقول يجب على حكومة جلالتها ألا تقول بأنني استبدلت لأني رغبت في الاحتفاظ بالسودان – لأني لا أقول بهذا – أنه بلد بلا فائدة والذي أقوله إن من الخسة التخلي عن الحاميات ... الخ.

أعترف بأن الاقتراح الذي أقدمه هو لحد بعيد شرك – لأني أشعر بثقة بأنه لن تكون هناك نهاية للمشكلة حتى بوضع عبدالقادر في مكاني ومحاولة الإخلاء، ولكن إذا قبلته ستفعل ذلك (بعد هذا التحذير) بعيون مفتوحة.

جاءت امرأتان من الشيخ العبيد. لا أخبار سوى أن العرب الذين مع هذا الشيخ في حالة من السوء بسبب انعدام الماء.

إذا كنت في القيادة العليا عسكرياً أو سياسياً فسأفعل الآتي: أقسم القوات إلى ثلاثة أجزاء، جزء(أ) يبقى في دنقلا بنصف العدد ،وأعتنى بالمواصلات بين وادي حلفا وبربر عن طريق النهروعن طريق الخطوات أو المراحل التي أشرت إليها سابقاً.

جزء (ب): تحتل بربر بربع القوة.

جزء (ج): تكون قوة مقاتلة (ربع القوة) بدون مدافع لأن لدينا مدافع هنا وأجيء مع (ج) إلى الخرطوم. أناور العرب وأدمرهم في الجريف، وبعد ذلك أناور العرب وأدمرهم في العيلفون ومن ثم أندفع إلى ود مدني وأدمر العرب هناك، وبهذا أفتح الطريق إلى سنار وأسمح يجلب الحبوب. في هذا الوقت سنرى طريقك إلى المستقبل. سأعيد خط التلغراف خلال تقدمي وستكون نتيجة هذه العمليات تراجع عرب المهدي إلى كردفان واستسلام هؤلاء الذين في أو حول كسلا.

من المحتمل من الوجهة الإنسانية نشوب ثلاث معارك تكلف كل منها ثمانية قتلى وخمسة عشر جريحاً وفقاً للتجارب السابقة – ليس أكثر من هذا العدد. إذا كانت المعركة الأولى جيدة ،والمطاردة جيدة) من المحتمل جداً ألا يكون هناك ضحايا بعدها – كل ما تبقى سيكون سهلاً جداً[٣].

يجب أن تلحق بالعرب هزيمة كبرى لإزالة كوارث هكس وهزائمي. سيتم إخلاء بربر.

القوات في المعركة رقم ١ الجريف ستذهب في مراكب محصنة وهي قلاع حقيقية (خريطة). تغطيهم خمس بواخر في كل واحدة مدفعين ومركبين في كل مركب مدفع كروب (قذائف ١٦ رطل)، وبذا لن تكون هناك مخاطر. ليس هناك حصن من حصون العرب مقفل عند المدخل.

يجب الّا تزيد القوة عن (١٠٠٠) رجل ونحن يمكننا إرسال (٣٠٠٠) رجل إلى الأجنحة – وبما أنها ستقاتل على شواطئ النهر فلا خوف من هجوم على الجناح. يمكن فعل كل هذا خلال ثلاثين يوماً، وهو كل ما تتطلبه المعركة،هذا بالطبع لن يحسم مسألة كردفان،هذا قد يؤدي بالمهدي إلى تفاهم والتخلي عن سلطته الروحية ولكني أشك في هذا.

يحتمل أن تكون القوة (ج) تحت إمرة بولر أيرل في بربر، ودورمر في أبو حمد، وفريمانتل في دنقلا، والسردار في وادي حلفا ،ولورد ويلسلي جوردانق في قيادة المدفعية الملكية، وهاريسون (ذكرى الصين) قائداً للمهندسين الملكية. أتمنى أن لا يتكبر جوردانق على استخدام مدفعيتنا. سيرتعب من الثقوب الناتجة عن اطلاق النيران باستمرار.

لا أحد يمكنه أن يندهش من إحجامي عن الفرار بدون الحاميات، لأن الفرار

في آخر الأمر يجعل كل عملنا الشاق خلال الشهور السبعة الأخيرة عديم الجدوى تماماً. في واقع الأمر كان من الأفضل لنا الاستسلام قبل شهور مضت. يشعر المرء بأنه وحش دنيء بالاستمرار في حث الرجال على القتال ومن ثم ينتهي الأمر بالفرار.

٢ أكتوبر

هرب في الليلة الماضية رقيب أول وجندي قال: الرقيب بإن المهدي وصل شات من الأبيض ومعه أورطتين من الجنود السود المقبوض عليهم، ومعه مدفعين كروب وسبعة مدافع جبلية، ولكن ثارت القبائل العربية التي كانت خلفه فرجع آخذاً معه مدفعين وأرسل أحد أمرائه، عبدالله ود جبارة، ومعه ١٠٠ جندي أسود إلى الكلاكلة ،ذكر الرقيب بأن لدى العرب ١٤٠ قذيفة كروب، و ٢٠٠ صندوق ذخيرة رمنجتون، وأن العرب لم يتكبدوا خسارة، عندما أطلقوا النيران على البواخر القادمة من سنار. كل أفراد الإرسالية الكاثوليكية الرومانية مع المهدي وهؤلاء لم يرتدوا عن دينهم وتم تعريض راهبة للشمس لإجبارها على فعل ذلك.

قال الرجل: إن المدافع الأخرى دمرت في حاضناتها خلال قتال المهدي العرب، عندما يتحرك المهدي يأخذ معه سلاطين وكل الأوروبين، وبأن ودالنجومي أرجع قوات السود التي معه إلى الخلف لأن الكثيرين هربوا. أطلق العرب قذائف من أربعة مدافع تحية لوصول الأمير عبدالله ولد جبارة.

ذكر عبد جاء من الضفة الغربية: وجود الفكي مصطفى ومعه القليل من القوات، وأن إشاعة تقدم قوات الحملة منتشرة بكثرة، وأن مراكب العبور توجد في الكلاكلة وتعبر فقط في الليل. يقول الرقيب إنه متأكد بأن كل القبائل (عند ذهاب المهدي إلى شات) ثارت وقامت بأعمال نهب في كل

الطرق ومن ثم عاد المهدي تجاه الأبيض. مات الرجل الذي أجرى له الطبيب عملية حصوة كبيرة.

يبدو مما قاله الرقيب إنني لست محبوباً من قبل المهدي أكثر مما أنا محبوب في الأماكن الأخرى – مزعج وثقيل الظل. ذهبت الباخرة التوفيقية أعلى النيل الأبيض وأطلقت النيران على العرب، وذهبت الباخرة بوردين أعلى النيل الأزرق وأطلقت نيرانها على العرب، قام أهالي الحلفاية بالإمساك بجمل. كل هذه عدائيات لم توافق عليها حكومة جلالتها – هذا يحزنني – ذلك الجوكر أيفرتون. أرسلت جاسوساً آخر إلى الدبة قائلاً: بأن هناك ثلاث بواخر في المتمة تنتظر أوامرهم – ١٥٠ ميلاً من الدبة. أزعجتني قبائل الشايقية مرة أخرى، مع عائلاتهم البغيضة في أسفل النهر إنهم مثيرون للغيظ كثيراً.

هرب ربما يكون شخص من العرب وكان في السابق مع الحكومة. لم يدلي بمعلومات، ولكن من تصرفه يمكن أن يفترض بأنه لا يؤمن بالمهدي.

نتفق أنا وسيمون[٤] على موضوع واحد – مصر لا فائدة لنا منها إلا إذا كنا نسيطر على البحار، وإذا كانت لنا سيطرة على البحار فمصر لنا – لذا فهي لا تستحق أن ننزعج حولها. ،لن يحبنا أهلها أبداً ونحن لا نسلك الطريق الذي يجعلنا محبوبين ،في رأيي إذا اعتنينا لكاي وموريشس ... وغيره. سيكون أجدى وأقل تكلفة من إهدار أموالنا في مصر والسودان. ولكن لأن مصر اعتادت أن تكون مهمة، فنحن دائماً نعتقد أنها كذلك في حين أن دخول البخار غير تماماً من أهميتها، بينما وجود قوات بحرية أخرى في البحر الأبيض المتوسط يجعل هذا البحر ليس مسألة سيادة لفرنسا أو إنجلترا.

ذكرت تقارير تحرك قوات إلى كسلا، ومع ذلك لم يقل كتشنر كلمة واحدة بطريق أو بآخر. بالتأكيد إنه يعلم بوجوب إخباري إذا كان هذا هو الوضع. وإذا لم يكن هناك تحرك في هذا الاتجاه فيجب أن يتم إطلاعي عليه، بعد رحيل ستيورات أبلغني أحمد أفندي عون[٥]، كاتب عرابي (يعرفه ستيورات جيداً)بأنه في غاية البؤس لذا أرجعت له. ١٠ جنيهات شهرياً. سمعت الليلة أن صديقي هذا كان يعظ لصالح المهدي. لذا سجنته.

أكتشف في اليوم السابق لصباح أمس محاولة لإضرام النار في أحد المنازل بالقرب من مخزن الذخيرة عند الإرسالية الكاثولكية الرومانية – إنها بوضوح حريق متعمد ،أمرت بأن تهدم كل المنازل في الجوار. هذا أمر غير مريح لأنه يظهر وجود أناسٍ يضمرون شراً هنا[٦] .

٣ أكتوبر

عرضة صغيرة اليوم في الجبهة الجنوبية. جاء حوالي ٢٥ من الخيالة العرب قرب خطوط القتال وتم إطلاق خمس قذائف تجاههم. يجري تحقيق حول الحريق قرب مخزن الذخيرة. هناك بعض الشكوك بأن عون مشترك فيه لأن منزله قريب وبالفعل يجاور مكان حدوث الحريق. تم حرق أربع خيام. إذا وجد مذنباً سيكون الأمر سيئاً بالنسبة له. بالتأكيد إن مواعظه لصالح المهدي ستستخدم ضده.

زرت مكان الحريق ومنزل عون وانطباعي أن عون ليس المتهم بالجريمة، ولكن لاشك بأن لجنة التحقيق ستجده مذنباً. سيتذمر ويلفرد بلنت حول هذا الشهيد الذي اسيئت معاملته. لاشك بأن الحريق تم بفعل فاعل. اليوم ينتهي عيد الأضحى.

لن يصدق ستيورات كل هذا عن عون، والذي بدفاعه عن المهدي خلع شبشبه[٧] وضرب معارضه. كان متشدداً في رأيه لم يرى أحداً مثل هذا الشخص المتملق الدنئ يجب عليّ إرساله إلى المهدي، ولكنه يعرف اللغة الإنجليزية ومتآمر بالفطرة.

أفكر بخصوص إهمال مكتب المخابرات بعدم إرسال جواسيس. كما ذكر في اليومية يأتي في المتوسط أربعة أو خمسة رجال من العرب يومياً وهذا يعني أنهم لايشددون الرقابة. أيضاً هناك الآن ثغرات كبيرة في خطوطهم حول المكان ويمكن للمرء القول: بأن الطريق من هنا إلى شندي سالك. الخروج

أكثر صعوبة من الدخول لأنه يمكن للمرء أن يتعثر عند بعض المواقع الجديدة لمدافع العرب، بينما عند الدخول فالمرء يمكنه التحقق من مثل هذه المواقع مسبقاً. بما أن كل المعلومات حصلنا عليها من جواسيسي العائدين، فمن الواضح أن مكتب المخابرات لايبذل أي جهد. إذا بادرت تلك المصلحة ببذل أي جهد فمن غير المحتمل إيقاف رجالهم، مع ذلك قبض مراراً على جواسيس عند اجتيازهم خطوط العرب.

كلما فكر المرء في الأمر، كلما بدأ مستحيلاً أن حكومة جلالتها ستخرج من هذه البلاد بدون تخليص الحاميات وإقامة حكومة في الخرطوم. حالما يصلون دنقلا كما فعلوا لا يمكنهم التراجع وعليهم القدوم إلى بربر، وحالما يصلونها وبوجود النهر يجب عليهم القدوم إلى هنا، ومن ثم يجب عليهم الذهاب إلى سنار أو يرتبون لفتح الطريق إليها. إنها أحد أكثر الأشياء المحيرة ولا يرى المرء نهاية لها إلا بمنح البلاد إلى الأتراك. إذا وجد من الممكن الإخلاء فإن الأمر يتطلب من ستة إلى ثمانية أشهر ،وإنفاق باهظ كل هذا مع إرادة أكيدة وظروف مواتية، لا يستطيع المرء الإدعاء بأنها نهاية مرضية بعد تخليص الحاميات وإقناع أنفسنا بذلك، إذا سمحنا للمهدي بالمجئ والإدعاء بأنه طردنا.

إذا أعلنا إلغاء امتلاك العبيد فعلينا إلغاؤه أيضاً في مصر، ومن ثم سينقص الدخل. يبدو حقيقة إن المخرج بطريقة سريعة هم الأتراك. سيكون من الأرخص منحهم مليون جنيه بدلاً من أن نحتفظ برجالنا هنا. ليس هناك عار على جيشنا إذا أستولينا على بربر وفتحنا الطريق إلى سنار، ومن ثم تركنا البلد للأتراك ليتعاملوا مع المهدي كما يشاؤون. أعتقد أن هدية مليونين من الجنيهات للأتراك ستكون حلا رخيصاً وسريعاً للأمر.

أما فيما يتعلق باحتفاظ حكومة جلالتها بالسودان[8] فهو أمر مستحيل، لأنك لن تجد رجالاً يخدمون هنا إلا بمرتبات عالية ومدعومين بقوات كبيرة، أما إذا أرجعناها لمصر فيظهر بعد سنتين مهدي آخر، لذا خيارنا هو بين الزبير والأتراك. ولي الزمن الذي يكتفى فيه بالزبير وحده، فهو الآن يحتاج إلى مساعدة رجال بينما الآتراك لا يحتاجون منا إلى رجال، لذا أمنح البلد للآتراك حالما تصل الخرطوم مع مليون أو مليونين سترليني (التي ستنفقها خلال ثلاثة أشهر من الإحتلال إذا تأخرت) أجرى حالاً ترتيبات مع الجناب العالي لفصل السودان دع ٦٠٠٠ تركي ينزلون في سواكن ويسيرون إلى بربر، دع ٣٠٠٠ تركي ينزلون ومن ثم إلى الخرطوم ، وبعدها يمكنك الانسحاب فوراً قبل حلول الصيف في مصوع ويذهبون إلى كسلا وهذا يوفر عليك تلك الرحلة، وكذلك يوفر عليك الانتظار إلى أن تأتي القوات من الإستوائية وبحر الغزال.

٢٨ أكتوبر – احتلت بربر.

٥ نوفمبر – ١٠٠٠ جندي في الخرطوم ينزل ٦٠٠٠ تركي في سواكن ويسيرون إلى بربر – ٤٠٠٠ تركي ينزلون في مصوع ويسيرون إلى كسلا.

٨ نوفمبر – هزيمة العرب عند خطوط القتال الجنوبية – إلا إذا كانوا قد فروا.

١٢ نوفمبر – هزيمة العرب قرب العيلفون – إلا إذا كانوا قد استسلموا.

١٥ نوفمبر – إرسال قوة إلى سنار لتنظيف الأراضي حول مدني.

١ إلى ١٠ ديسمبر – وصول الأتراك إلى بربر والخرطوم وكسلا.

٢٠ ديسمبر – رجوع قوات جلالتها أعالي وادي حلفا تاركين ١٠٠٠ رجل في دنقلا إلى أن يستطيع الأتراك الوصول من بربر.

أجعل الحدود في وادي حلفا تسلم كل البواخر للأتراك وتدفع المليونين على أربعة أقساط، أجعل سواكن ومصوع مواني حرة تحت حكم الأتراك، وتكون مصر مسؤولة عن معاشات هؤلاء الذين يعودون لمصر. أجعل تركيا مسؤولة عن معاشات هؤلاء الذين يبقون في السودان. لا أرى ما يمنع حسم كل الأمور بنهاية يناير وأن تكون قوات الحملة في القاهرة في نهاية فبراير، أما بالنسبة لتجارة الرقيق فلا حيلة للمرء[9] فيها، لا أرى لماذا تعترض فرنسا إذا سمحنا بأن تكون لها (كلمة)[10] في مصر . ستهدد كل ما نفعله هناك إلا إذا سمحنا لها بأن تكون لها (كلمة)بهذا التصرف نكون قد تصالحنا مع تركيا، وستساعدنا في منع ضم مصر لأي قوة أخرى.

تذكر بأن ليس لدينا رفاهية الوقت، ويجب علينا أن نختار فوراً وهذا الاختيار يجب أن يكون حاسماً ،ولا أمل في التغيير بحدوث شيء غير متوقع. إن حملتنا حساسة جداً ومكلفة جداً وغير مربحة إطلاقاً إذا ما أنحرف صحة رجالنا هنا وبرنامجنا كان للهروب، فإن العاقبة ستكون وخيمة. سيهدي برنامج الهروب كل الأهالي الذين ضدنا ويقوي المهدي كثيراً، ومع ذلك ليس هناك طريقة لتجنب الضغوط إلا من خلال برنامج الهروب. لكن إذا اتفقت مع الأتراك ستتجنب الضغوط وبرنامج الهروب ويكون الأهالي معك.

أتمنى ألا أذكر في التاريخ كسبب لهذه الحملة، فأنا أرفض أن ينسب إليّ هذا، جاءت الحملة لتخليص الحاميات (وأعتقد أن هذا يمكن أن يقرأ جيداً في التاريخ) بما أن حكومة جلالتها قبلت مهاماً في مصر وبالتالي في السودان . فقد أرسلت قوة لاستعادة الهدوء وبما أن ذلك قد تم، فإن حكومة جلالتها سلمت حكومة السودان إلى السلطات.

يمكن لرجالنا أن يحاولوا كما يشاؤون، ولكن لن يحكموا مصر أبداً ويقومون بدفع الفائدة. أنضم إلى فرنسا وخفض الفائدة إلى ٣٪ وهذا لا يمكن فعله بدون الاتفاق مع فرنسا.

لا فائدة من أي من الرجال الذين يتظاهرون الآن في القاهرة بأنهم يحكمون هم لا يعرفون شيئاً، وليس لديهم تعاطف مع البلد. ماذا يمكن أن يعرفوا عن البلد وهم جالسون في القاهرة؟ ما يريده الناس هو نصف ضرائب ومراقبين يذهبون إلى المديريات لمعالجة الشرود، تخلص من جيش ورد فهو إنفاق بلا فائدة – تخلص من ثلاثة أرباع الموظفين الأوروبين – السكة الحديد ... وغيره. وكذلك قوة الدرك.

سأرسل غداً ثلاثة رجال في إتجاهات مختلفة إلى الدبة مع المزيد من الإخطارات بأن هناك ثلاث بواخر، في كل واحدة مدفعين ميدان في المتمة وشندي، وهي على بعد ١٥٠ ميلاً من أم بكول والتي تقع على بعد ٣٥ ميلاً على النهر من الدبة. هذه البواخر تنتظر الأوامر من قوة الحملة، وأيضاً أطالب بتفتيش أمتعة كوسي. الآن فعلت كل ما أقدر عليه.

سأرسل بعد عشرة أيام باخرة إلى المتمة بالمزيد من المعلومات. محاولة إحراق مخزن الذخيرة جعلتني أكون شريراً مع الأهالي. لم يجئ أحداً اليوم من العرب – تساؤل – شؤم

٤ أكتوبر

سيتم اليوم وضع المرجل في الباخرة الجديدة (أخت عباس)وستكون جاهزة للإبحار خلال ستة أيام، مؤخراً تقرير من خشم الموس في الليلة الماضية. يقول العرب: إن شيخ العبيد يفكر في الهجوم على الحلفاية. القلق الذي سببه لنا الشايقية فوق الوصف.

إبراهيم بك رشدي: (جاءني (الساعة ٩ مساء) في الليل - أجبرني على العمل. هل يمكنك تخيل مثل هذا الشئ؟ إنه شئ ينافي العقل. قفز نحوي مثل نمر لاقاني أظهرت بأن هذا غير معقول - إنه عيدالأضحى أيضاً - هل يمكنك تخيل مثل هذه الأشياء؟)

كان عون، كاتب عرابي يتحدث عن الخطابات التي استلمتها وجاء فيها (قوات جلالتها تتقدم) بإنه هو من كتبها وأرسلها وبعد ذلك عادت، هناك رغبة واضحة في قطع رأسه، ولكني أعتقد أنه أبله أكثر منه محتال وسيحاول مقاومة رغبة المدينة. أرسل لي ابن صالح باشا برقية يريد مقابلتي. أجبته بأنه يمكنه المجئ إلى والدك المقيد بالسلاسل مع المهدي، ولكني قاومت الإغراء وقلت: (أذهب خارج مكتب التلغراف)كان عليّ إرسال عشرة مراكب لهذه المخلوقات عند الساعـ١٠ـة مساء الليلة الماضية.

لم يحضر جواسيس هذا الصباح - سيبدأ الناس في تصديق مقولة عون بأنه هو من كتب الخطابات التي تظاهرت بإستلامها من الإنجليز. تقول امرأة

جاءت اليوم: إن لدى العرب تقريراً بأن الإنجليز في دنقلا وأن باخرة وأربعة مراكب تحمل إنجليزاً في بربر؟ (أتوقع أن تكون قد خلطت باخرة ومراكب سيتورات مع قضتها)، وأن زعيم العرب في بربر طلب المساعدة ولكن لم ترسل له بعد أن انفجرت إحدى القذائف الضخمة. بعد أن وطأها صبي - يبدو أنها لم تسبب له ضرراً ،كانت القذيفة بين مجموعة أشجار النخيل مقابل القصر. يبدو إن القذائف غير مدمرة، ربما لأنها دفنت عميقاً في الأرض. ومع ذلك فقد أخافت الناس. جاء إلينا خمسة رجال وصبي هاربين من العرب. المهدي ومعه الأوربيون في شات ويقصد المجئ إلى أم درمان. أكدوا أن بعض القوات رجعت إلى الأبيض لإخماد ثورة القبائل.

تم تحريك وضع المرجل في الباخرة الصغيرة. من الغريب أن السود سريعون بالغريزة في معرفة كيف يتجنبون آثار القذائف، وذلك بإلقاء أنفسهم أرضاً عندما يسمعون أزيز فتيل إطلاق السلاح الناري. كلهم يفعلون ذلك وينجون. بالطبع هذا لايحدث عند الهجوم. لا يجري الشاب الأسود الصغير بسرعة كما يفعل وهو يقف بعد الانفجار ولا ينظر خلفه أبداً. يذهب إلى امرأتين قذرتين من السود تملكهما الذعر من الضجة، وشرح بكثير من الإشارات ما حدث ،عقدوا مجلساً[١١] من نوع ما حول الأمر، إذا لم يحن الوقت للذهاب إلى المنزل وألا يلتقطوا المزيد من العشب بعدما حدث. انتهى المجلس بذلك الفعل وتجنبوا بعناية مشهد الحادث. أتوقع أن هؤلاء الفقراء ذبحوا أكثر من ١٠٠٠ خروف وماعز في عيد الأضحى ويقول التقرير: أن العدد يفوق ذلك.

لاشك أن مجاعة مخيفة ستحدث في البلد العام القادم فهناك مساحات شاسعة كانت تزرع من قبل أصبحت صحراء. رجعت الجماعة التي ذهبت إلى

الجيلي، وهي قرية شمال الحلفاية كان العرب قد هاجموها. عادوا ومعهم الأسر التي أنقذوها وعشرين بقرة استولوا عليها من هؤلاء الذين نسميهم متمردين (تساؤل من هم المتمردين؟ نحن أم العرب؟(اليوم ينقضي ٢٠٦ يوماً ونحن تقريباً مسجونون. حياة ممتعة!)أتعجب بماذا شعرت ازوتس (أشدود) مع حصارها لمدة تسعة وعشرين عاماً؟).

٥ أكتوبر

جاء رجلان وصبي من العرب وذكروا بأن المهدي تقدم قليلاً نحو أمدرمان - لا شيء آخر ذو أهمية قالوا: إن حسين باشا خليفة وصالح باشا وسلاطين وكل الأوروبيين مع المهدي وإن كردفان مضطربة، وإن العرب يقولون: بأنهم سينتظرون حتى يجمعوا الكثير من الرجال ومن ثم يهاجمون خطوط القتال.

إذا لم تنسق مع الأتراك فلن تخرج من البلاد قبل سنة، وسيكلفك هذا ١٢ مليون جنيه، ومحتمل بعد ذلك أن ترجع إلى الأتراك[١٢]. في حين إذا تم التنسيق مع الأتراك يمكنك الخروج في شهر يناير وسيكلفك هذا سبعة ملايين.بما في ذلك مليونين تمنحهما للأتراك حقيقة إن هذه الأخت السوداء (السودان) قد أنتقمت من شقيقتها البيضاء (مصر).

وجدت هذا الصباح عقرباً في سفنجة الحمام. لدغتني في الأصبع وقتلتها، أتعجب إذا كان قد تم تحليل سم العقرب وسم الكوبرا هذه هي المرة السادسة التي الدغ فيها.

جاء شيخ من الجوار وقال: إن فرنسياً ومعه اثنين من العرب جاءوا قبل فترة قصيرة إلى المهدي من دنقلا. لم يفهم المهدي الأمر وسأله لماذا جاء قال: الرجل إنه جاء لتحية المهدي. ارتاب المهدي فسجنه لمدة سبعة أيام وبعد ذلك أطلق سراحه. كان يرتدي زي الدراويش قيل إنه تحدث سراً إلى صالح باشا وسلاطين، وعند ذلك فصل المهدي الرجلين ووضعهما في اعتقال

مفتوح (هل هذه رونفورت؟) يقول مخبري: إنه نفى للمهدي وجود الإنجليز في دنقلا، ولكنه أخبر سلاطين وصالح بأنهم هناك. هذا الرجل مع المهدي الآن وهو طليق، هذا الرجل قد يكون رينات[١٣] مؤلف كتاب (حياة المسيح)، والذي في منشوره الأخير يودع العالم ويقال بإنه ذهب إلى أفريقيا و لم يظهر مرة أخرى. كان قسيساً كاثوليكياً رومانياً في الأصل، وعالما كبيرا في اللغة العربية، ومن الواضح أنه كان غير سعيد ورجل قلق.

قابلته مرة عند الظهر في مقر الجمعية الجغرافية الملكية، وأذكر أن سكرتير الجمعية اقترح عليه الصعود إلى سطح ذلك المبنى العالي ليرى المرصد. رفض رينان. كان يبدوا عليه الإرهاق والضجر من النظر إليه كبطل، عندما قدمني له السير أر اكلوك افترض أنه رأى نظرتي المواسية له في محنته، وكان مهذباً معي. كثيراً ما اعتقدت بأننا سنتقابل مرة أخرى. يالها من مصيبة مخيفة عبادة الضحية للبطل. أعتقد أنها وقاحة كبرى أن تمدح رجلاً في وجهه. إنها تدل ضمناً أنك أرفع مقاماً لأن الكبير يمدح الصغير، ومع أن الأمر قد يكون كذلك فليس من الضروري إعلانها للصغير، لنفترض أن امرءاً متجعد الجبين وأشيب الشعر سيكون سخرية أن تقول إنه أملس البشرة وجميل. إذا كان ذلك الرجل هو رينان فلن يوافق على نظام الفلفل. يقول الرجل: إن المهدي كان مندهشاً لظهور هذا الفرنسي و لم يفعل شيئاً سوى سؤاله (لماذا جئت إلى هنا؟) إذا جاء إلى خطوط القتال وكان هو رينان سأذهب لأقابله. مهما فكر المرء في عدم إيمانه بمسيحنا فهو بالتأكيد تجرأ ليقول ما يراه و لم يغير اعتقاده لينقذ نفسه.

جاءت امرأة سوداء وابناها وقالت: إن المهدي في (جره حدرا) على بعد ٢٥ ميلاً من الدويم يقول الجواسيس: إن المهدي أرسل النور بك عنقرة إلى

الأبيض لإخماد ثورة القبائل. إذا أمكنه فقط أن يثور، فهو صديق لي، فإن المهدي سيعزله من الأبيض ويكون في وضع سيء. عادت الباخرة بوردين من الحلفاية.

اخترنا أن نعتبر اليونان وأسبانيا وتركيا والمكسيك وبلداناً أخرى مدينين ومفلسين – لم نحاول أن نحمل الحكام شخصياً ديون هذه البلاد – ما عدا في حالتي مصر وإسماعيل باشا، (يعني لم نعزل حكام هذه البلاد بينما عزلنا إسماعيل) بالطبع من السهل إلقاء التبعة على سوء إيمانه، أعتقد أن حكام هذه الدول الأخرى مذنبين بسوء إيمان أكثر. إنها العادة بأن نقول: بأننا تصرفنا لمصلحة الفلاحين المضطهدين، ولكن ماذا كسب الفلاحون حتى الوقت الحالي؟ من أين جاءت هذه الملايين التي تحدثت عنها.

دعونا نفكر بدون عاطفة في الأمور، هل تعتبر حكومة جلالتها أنها مسؤولة عن تخليص الحاميات في السودان وسكان القاهرة؟ يمكننا فقط أن نجزم بأن حكومة جلالتها تعترف بهذه المسؤولية، وإلا لماذا أرسلتني؟ ولماذا أنقذت طوكر؟ بمجرد أن نعترف بهذه المسؤولية فأنا لا أرى مخرجاً لها سوى إنقاذ الحاميات مهما كلف الأمر، قد يقال: بأن الهدف من هذه الحملة هو إنقاذي شخصياً. ولكن كيف لي الذهاب وترك الرجال الذين كنت دوماً أحثهم على القتال خلال الستة أشهر الماضية؟ كيف يمكنني المغادرة بعد تشجيع سنار على الصمود؟ لا أحد من الممكن أن يرغب في أن أفعل هذا لا حكومة يمكنها تحمل مسؤولية إصدار مثل هذا الأمر لي. هناك صعوبة. ربما يكون من الوطنية أن أهرب ولكن حتى لو ذهب تفكيري لفعل ذلك، أشك في أنه يمكن إخراج جسدي من هذا المكان. إذا كان بارنج قد قال في مارس(تدبر أمر نفسك بأفضل ما يمكنك) ، وكان من الممكن له فعل ذلك – وكان من

الممكن تدبير الأمر والفرار إلى الإستوائية، ولكن إذا نظرت إلى برقياتي[١٤] فسترى أني أساله ماذا سيفعل و لم يجاوب أبداً [١٥] لم يكن الأهالي يعانون حينذاك من الحرمان، وكنت في ذلك الوقت لم أرتبط كثيراً معهم. الأمر يختلف الآن خاصة بعد إتصالنا بسنار.

لا يمكن لشخص أن يقدر المال المهدر والإنفاق على المعيشة على الحملة الحالية. أنه إهدار كامل للاثنين – ولكن ببساطة إنها بسبب عدم القرارات من الحكومة، لو كانوا قد قالوا منذ البداية إننا لانبالي – لن نفعل شيئاً للحاميات في السودان – من الممكن أن يهلكوا لو لم ينقذوا طوكر، لو لم يرسلوا لي برقيات حول الحملة لإنقاذي (بموجب برقيات في ٥ مايو من سواكن و ٢٩ أبريل من مصوع) لو أرسلوا برقية عندما أرسل بارنج برقية في ٢٩ مارس إلى كوسي والتي وصلت هنا وبها (لا قوات بريطانية قادمة إلى بربر – مفاوضات مستمرة لفتح الطريق – يوشك جراهام على مهاجمة عثمان دقنة) تدبر أمر نفسك– لماذا لم يكن ممكنا قول شيء، ولكن حكومة جلالتها لن تقول بأنهم سيتخلون عن الحاميات ولذا – تدبر أمر نفسك – ذلك هو ما أعاقنا كثيراً. من ناحية إذا هربت أكون قد هجرتهم (حكومة جلالتها) ومن ناحية أخرى بالبقاء أحضرت هذه الحملة.

أمرني بارنج بوضوح بأن لا أذهب إلى الإستوائية بدون أذن حكومة جلالتها (بموجب برقيات مع يوميات ستيورات)[١٦] أنا لا أناقش سياسة حكومة جلالتها بأن لا تحتفظ بالسودان، إنه بلد بائس ولايستحق الاحتفاظ به. أنا لا أتظاهر حتى بالحكم على سياسة السماح للحاميات بأن تهلك.. الخ. ولكني أقول: كان على حكومة جلالتها اتخاذ الخطوة الشجاعة بالتحدث والقول في شهر مارس – تدبر أمر نفسك– عندما كنت قادراً على فعل

هذا وليس الآن عندما يربطني الشرف بالناس بعد ستة أشهر من الحرب المزعجة. ليس فقط أن بارنج لم يقل – تدبر أمر نفسك– بل وضع فيتو على ذهابي إلى الإستوائية –بموجب برقيته في يوميات ستيورات. أقول هذا لأن لا أحد يتأسف أكثر منا على هدر المال والحياة في هذه الحملة، ولا أحد يدرك صعابها أفضل من شخصي، ولكن نسبة لما مضى والتردد في اتخاذ القرار نحن في هذا الوضع الآن، الشيء الوحيد الذي علينا فعله الآن هو معرفة كيفية الخروج بشرف وأقل أنفاق ممكن، وأنا لا أرى سبيلاً آخر سوى تسليم البلد للأتراك. أنا لا أثير الصعوبات أو محباً للخصام، أرغب بإخلاص لو كنت خارج هذا المكان الذي لم أجد فيه سلاماً منذ فبراير. السؤال هو كيف تفعل هذا؟ قد أكون مخطئاً ولكن لدي شكوك قوية بأن أكثر البهجة (ربما بهجة قليلة لسلامتي شخصياً وبهجة أكثر لسلامتي الرسمية)ستكون في الدوائر الرسمية إذا ظهرت في الباخرة عباس مع ستيورات، ولكن هذا لا يمكن بدنياً وكنت أكون رجلاً ملتحقاً بالعار إلى الأبد لو كنت قادراً على فعل هذا وفعلته. بالإضافة إلى ذلك كنا في شك تام بالنسبة لنوايا حكومة جلالتها بخصوص السماح للحاميات بأن تتلاشى أم لا. كان يمكن أن أحاكم لفراري من موقعي ولسماحي للبواخر والمخازن بالسقوط في أيدي المهدي لأن هذا كان مؤكداً في خلال خمسة أيام من تركي لموقعي، لن يبرر تصرفي ما إذا كنت أشك أو لا أشك إذا ثبت أن شكوكي كانت خاطئة، لأنه بعد أن غادر ستيورات سمعت أن حملة بريطانيا في طريقها إلينا بالطبع إنه تساؤل – لماذا هي قادمة؟ إذا كانت قادمة للحاميات فقد نفذت ما رغبت فيه الحكومة لأني أحتفظت بالمدينة – وإذا كانت قادمة لشخصي فقد أخطأت، لأنه كان يجب عليّ أن أذهب مهما كلف الأمر. ولكن في حالة واحدة

كان من الممكن أن يحدث إرباكُ كبير بينما في الحالة الأخرى - إنها حياتي فقط - وإذا كانت الحملة جاءت لأجلي ربما كان من الأفضل إخباري(تدبر أمر نفسك نحن لا نقصد إخراج الحاميات)وفي هذه الحالة ربما نجد مخرجاً - على أية حال سيعرف الناس بالضبط مجرى الأمور، وحكومتنا لن تتعرض لأخطار ومصروفات غير ضرورية بإرسالها قوات من أجلي ،يجب أن أعتبر حكومة جلالتها بريئة تماماً من كل المسؤولية في ما يتعلق بشخصي إذا كانوا قد أرسلوا لي ذلك الأمر– تدبر أمر نفسك– نحن لا نبقى إخراج الحاميات(كان علي أن أدبر أمري و) أخبر الناس بحقيقة وضعي وأن لا أمل في أنقاذهم وأجرى ترتيباتي للهروب إلى الإستوائية خلال ستة أسابيع. لن يكون هناك عار في ذلك لأنه لا إنقاذ قادم والنتيجة الوحيدة لبقائي معهم أن أكون سجيناً معهم، وفي الحقيقة كان وجودي سيغضب العرب بدلاً من أن يكون ذا فائدة.

قد يسأل: لماذا لا تنسحب إلى بربر؟ بالأحرى لن أفعل ذلك لأني أرغب في أن أظهر بطريقة إيجابية بأن ليس لي القليل أو الكثير في التخلي عن الحاميات...الخ وكذلك يجب عليّ إنقاذ حاميتي الإستوائية وبحر الغزال إذا نجحت في الوصول إليهما.

٦ أكتوبر

الباخرة بوردين في أعلى النيل الأزرق تبدد الذخيرة. لا توجد ترسانة حربية تستطيع مقابلة هذا الاستنزاف لمواردها. أتوقع أن الباخرة بوردين أطلقت خمسين قذيفة اليوم. جاء ثلاثة رجال هاربين من العرب ويقولون بأن العرب أرسلوا مدفع كروب ومدفع جبلي إلى الجريف، هذا قد يفسر إطلاق النار الكثيف المذكور أعلاه، يقول أحد الرجال أن العرب وضعوا مركبين قرب المدفعين لكي يغروا الباخرة. بالاقترب للاستيلاء عليها وبذا يأملون في إغراقها، أنا سعيد بأن الباخرة في طريق عودتها . القلق المستمر الذي ينتاب المرء حول كل الأشياء الصغيرة مزعج جداً. لا يعرف المرء أبداً إن كان سيفقد باخرة أو سيتم عزل رجال نتيجة لبعض التصرفات الطائشة، ليس مع المرء رجل مثل جسي[١٧] يمكن أن يعتمد عليه في مثل هذه الحملات الصغيرة. ذهبت الباخرة التوفيقية إلى أعلى النيل الأبيض وأطلقت نيرانها على العرب - وكانت كما فكرت- عادت الباخرة بوردين بعد أن أصيبت بقذيفة أعلى خط الماء بقدم قريباً من مقدمة الباخرة لم يصب أحد. كل العرب ذاهبون من النيل الأبيض نحو الجريف. أتوقع أن نلاقي نفس اللعبة في بري مرة أخرى في هذه الظروف يمكنك تخيل شعور المرء بالغضب الشديد تجاه مكتب استخبارات جلالتها لعدم تزويدنا بالأخبار ،إنه ليس بالأمر الكبير بالنسبة لشخصي ولكن لسكان المدينة.[١٨]

ذكرت الباخرة أن لدى العرب خمسة مدافع. من الواضح أن العرب ينوون السيطرة على النيل الأزرق بواسطة قوتهم في الجريف. لا أتجرأ على طردهم لأنهم حينها سيتصلون بقوات الشيخ العبيد وفي آخر الأمر يذهبون إلى السبلوقة أو قريباً منها، في حين يأتي المهدي إلى أم درمان، رشدي إلى المالية كباشكاتب وعينت جوقليز بك من المالية باشكاتباً لديّ. لا شيء مثل التغيير لهؤلاء، الرجال سأذكر المؤامرة كشيء مثير لاهتمام ستيورات،إنه يتذكر الخطابات التي وردت متهمة إبراهيم رشدي بالفساد. حسناً عقد مجلس تحقيق ووجد محمد بك العقاد مذنباً بإرسال هذه الخطابات. لم أهتم بتكبير المسألة وفي رأيي أن العقاد مصيب في أتهامه ولكن لا يحق له الكتابة من غير اسم، بالطبع وجده المجلس مذنباً كما يفعل كل مجلس مصري يرسل له أحداً متهماً. لذا سايرت الظروف وألمحت إلى شخص آخر بأنه من الأحسن أن يطلب إبراهيم السماح من العقاد، كان هذا التلميح بالنسبة لهذا الشخص نوعاً من الأمر. ولكن لاحظت أنه يعمل ضد العقاد،جاء بالأمس بورقة ضد السنجك حسن العقاد وقدمها كأنها فكرة من فرج باشا بطرد العقاد. فكرت في الأمر وأقلقتني شرور هذا الرجل، ولكن لم أتخذ قراراً أخبرته اليوم بكتابة أمر آخر بأن تحييني القوات بالوقوف في الطريق وقلت إنه مسؤول عن هذا الأمر. قال بطريقة وقحة وهو ينصرف: (هل أنا قائد القوات؟(أرجع وأعيده للمالية وأعيد قوقلز بك لرئاسة الكتيبة.

أقر بأني ميال للشك، أعني أني أحكم بالمراقبة وباشارات صغيرة ...الخ. لأنني لا أعرف اللغة. إنني لا أستطيع منع نفسي من التفكير بأنني في أكثر الأحيان على صواب أكثر مني على خطأ في شكوكي بأنني امرء على مجموعة

من الكتيبة يتشاورون في ما بينهم في مكتب الباشكاتب، فيرى المرء انزعاجاً على وجوههم. لا أستطيع إلا أن أفكر (أنكم تريدون شراً)وأبحث عن بعض (الحيل)

هرب جندي أخر من العرب ويقول: بأن المهدي في (جو حضره) وينوي القدوم إلى أم درمان. يبدو أنه لا يعتقد بأن العرب يهتمون بتقدم الإنجليز، بالرغم من معرفتهم بأنهم في دنقلا ويقولون إنها مسافة بعيده من الخرطوم. إنهم يعتبرون هزيمة هكس نهاية الأمر بالنسبة للقوات الإنجليزية. هناك أمر جيد وهو أن العرب جاءوا إلى الجريف لأنهم إذا بقوا هناك عندما يأتي البريطانيون سيكونون ضحايا سهلة دون الإضطرار إلى مسيرة طويلة إلى الداخل. بالتأكيد يبدو أمراً مذهلاً أن العرب يبدون واثقين، بينما القوة البريطانية على بعد ١٥٠ ميلاً فقط منهم، مسافة مائة وخمسين ميلاً فقط تفصل البواخر الثلاث من الدبة، والتي لديها مجرى مائياً إلى دنقلا وأن المكان الموجودة به البواخر به مجرى ملاحي إلى الخرطوم. في الحقيقة إن الدبة لا تبعد عن الخرطوم بأكثر من ثمانية أيام إذا كانت القوة مجهزة جيداً، وإذا قلنا إن المئة والخمسين ميلاً قطعت في ستة أيام ونصف، وهي بالنسبة للجمال ٢٥ ميلاً في اليوم بسير سهل، بينما من المتمة إلى هنا ١٠٠ ميل يوم ونصف للبواخر (عندما أقول الدبة أعني أمبكول والذي منها إلى المكان من الدبة هناك نهر صالح للملاحة)إن ظهور جندي واحد أو ضابط بريطاني واحد هنا سيحسم مسألة الإنقاذ، وفي المقابل فإن سكان المدينة سيعرفون عندها بأني لم أقل لهم أكاذيب، أطلق العرب أربع عشرة قذيفة على الباخرة بوردين القذيفة التي اخترقتها كانت قذيفة كروب – تم إصلاح الفتحة.

كانت ملاحظة مؤسفة من إبراهيم رشدي (هل أنا قائد للجنود) نبذت فكرة

تغييره وواسيت نفسي بأن فترة ولايتي بطريقة أو أخرى لن تكون طويلة هنا. عندما قال ذلك: إنها شبيهة بوضع كبريت على بارود، تم إرجاعه وإجباره فوراً وفي نفس المكان على التوقيع على فصله. لا أعتقد أنه أدرك ذلك حتى بعد أن وقع على الاستقالة بالنسبة لي كانت مفاجأة لأني في الواقع كنت قد نبذت كل فكرة عن إبعاده. أُأمل أن تكتمل الباخرة (اخت الباخرة عباس) خلال أربعة أيام ستسمى الحسين على اسم رئيس حوض بناء السفن. آمل أن يتكمل بناء باخرة أخرى خلال ستة أسابيع، إذا كنا موجودين في ذلك الوقت. هناك باخرتان موجودتان مع العرب في بربر هما:) الفاشر ولمهانيا (وذكر أن هذه الأخيرة تم إعطائها. أمرت أن تذهب الباخرة بوردين إلى النيل الأبيض وتقوم بأعمال الدورية من الكلاكلة إلى السبلوقة و الإسماعيلية في الحلفاية والتوفيقية في أم درمان. رجع اليوم عند الغروب العرب إلى دعمهم وكانوا قد جاؤوا بأعداد كبيرة إلى الجريف. لدينا باخرة أخرى كبيرة في الحوض الجاف و آمل أن تكون جاهزة للمعركة قريباً، جاء رجل من العرب ويقول: بأن السيد محمد عثمان أرسل ٣٠٠ رجل لإحضار عائلته من شندي إلى كسلا (هذه علامة سيئة)ويقول هذا الرجل: بأن الإنجليز تقدموا نحو بربر.

٧ أكتوبر

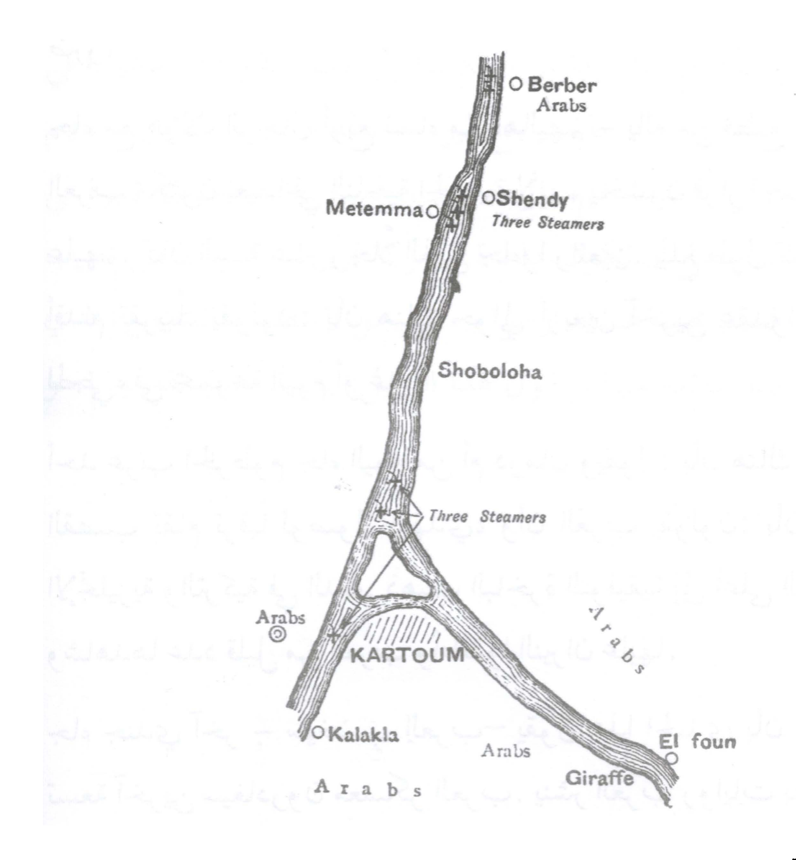
انخفض راتب إبراهيم رشدي من ٦٠ جنيهاً إلى ٣٠ جنيهاً شهرياً. جاء اليوم من العرب ستة عشر جندياً بسلاحهم وكذلك عبد واحد. لم يكن لديهم الكثير ليقولونه. وجه العرب ثلاثة مدافع تجاه الباخرة. احتفظ العرب بمدفع في الجريف حيث لديهم ثلاث مجموعات صغيرة تنتشر طوال الليل. طارد العرب الرجال الهاربين وأطلقوا عليهم عدة طلقات ولكن لم يحدث ضرر.

جاء مع هؤلاء الرجال أربع نساء من أهاليهم - ياله من قطيع - أعتقد أن العرب يمكثون بعيداً في الناحية الجنوبية لأنهم يخشون فرار الجنود المقبوض عليهم. كان الستة عشر رجلاً الذين جاءوا رائعين. يبلغ طول كل منهم ستة أقدام تقريباً. يقولون: بأن هناك حوالي أربعين آخرين عقدوا العزم على المجيء في مجموعة اليوم أو غداً.

أحد عرب الخرطوم جاء اليوم من أم درمان ويقول: بأن هناك قطاطي من القصب تقام ترقباً لوصول المهدي، وأن العرب يقولون: بأن (القوات) الإنجليزية والتركية في الدبة. ذهبت الباخرة التوفيقية إلى أعلى النيل الأبيض وشاهدها عدد قليل من العرب وأطلقوا النيران عليها.

جاء جندي آخر - سيغضب العرب- يقول هذا الجندي بأن مجموعة من تسعة آخرين سيغادرون معسكر العرب. ينشر العرب روايات بأني أقتل كل

من يأتي إلينا، ولكن كل الجنود السود يعرفونني منذ زمن طويل ولن يصدقوا هذه الروايات كان هذا الجندي في بربر حيث رأيته آخر مرة. كنت قد قمت بنقل كل الجنود السود من هناك إلى سنهيت لأن الطقس لم يناسبهم. من الغريب أن بربره وزيلع وهدر تناسب الوجوه المصرية والسمراء وليس السود الذين يعانون من أمراض الرئة في هذه الأماكن، ذكرتني فرقعة البنادق في خطوط القتال هذا الصباح بالأيام الماضية أطلق العرب نيراناً كثيفة على الفارين. بعض الضباط يتلهفون للهجوم على العرب. ولكني ضد ذلك. نحن لسنا في أمان بعيداً في شواطئ النهر وليس من الصواب المخاطرة في مثل هذه الأمور.



بالإضافة إلى ذلك فإن قواتنا لن تستطيع أبداً إلحاق هزيمة بهم وهذا وحده هو الذي سيحسم المسألة، نحن يمكننا طردهم إلى داخل الصحراء بالحاق هزيمة صغيرة بهم، ولكن هذا لن يمكننا من الوصول إليهم حين تصل قوات أخرى. هذا هو وضعنا الآن (انظر الخريطة)سيكون لدي أربعة بواخر في غضون أربعة أيام بين الكلاكلة والسبلوقة. آمل في خلال شهر تجهيز باخرتين فتصير المجموعة تسعة. للعرب باخرتان في بربر وواحدة في ود مدني – واحدة فقط في بربر صالحة للعمل وهي الفاشر.

ساذكر سراً: في كل الإدارات المصرية إذا أصدرت أمراً يكون غير فعال خلال ثلاثة أيام، إذا لم يكرر مرة بعد أخرى على فترات زمنية. يبدو أن الأمر يتبخر نسبة لحرارة هذه البلاد. سيضحك عليك الضباط إلى حد الإزدراء إذا قلت (لقد أصدرت أمراً مستديماً بخصوص هذا الشأن أو ذاك)، بالنسبة لهم سيكون أمراً مضحكاً وسخيفاً أن تتوقع إطاعة (أمر دائم)إلا إذا تم تكراره في فترات زمنية متعددة في معظم المرافق العامة يمتثل للأوامر الدائمة، ولكن بالتأكيد ليس في مصر. هذا هو السبب في أن كل البلاغات والقوانين الجميلة التي أصدرتها القيادة وحلفاؤها لم تعد نافذة المفعول بعد عشرة أيام، إنها موجهة للصحافة الأوربية. ما نحتاج إليه هو العمل بجد لكي نرى الأوامر تطاع.

أرسل صالح باشا رسالة مع رجل اليّ (المهدي قادم ومعه ٤٠٠٠٠ رجل ..الخ)كل هذا هراء لا تستطيع كل كردفان إخراج ٤٠٠٠٠ رجل ... وإذا كانت تستطيع فإن البلد لن يقدر على دعمهم بالطعام لمدة خمسة أيام.

لغط هائل الليلة لأنه بعد يوم ونصف من التنبيه ستبدأ الباخرة بوردين في الذهاب إلى الحلفاية - لم يوجد رجال على ظهرها - هذا بعد أوامر متكررة إلى فرج الله باشا. قد يقول الرجال مايريدون إلا أن المرء ينفذ صبره في مثل هذه الحالات. هذه هي القصة التي يقولها الرجل الذي جاء من صالح باشا :المهدي قادم ومعه ٤٠٠٠٠ رجل إلى أم درمان ومن ثم يستولي عليها، ومن ثم يخوض النهر ويستولي على الخرطوم قبل وصول الإنجليز(أجبت) إن المهدي ليس غبياً ليعتقد بأنه بخوضه النهر سيستولى على الخرطوم ولا يمكن أن يكون معه ٤٠٠٠٠ رجل. ضعوا رسول صالح باشا في السجن كجاسوس للعدو) معنا جواسيس من معسكر المهدي مباشرة ويقولون (ليس معه ٣٠٠٠)هذه الأمور كانت دائرة في نفس الوقت الذي كان فيه اللغط مع فرج باشا قائماً - بالتأكيد إن سرير المرء ليس مفروشاً بالورود في هذا البلد.

٨ أكتوبر

ذكر جندي هرب هذا الصباح بأن العرب غاضبون من الفرار الذي حدث بالأمس. أقر رسول صالح باشا (تحدثنا عنه بالأمس) بعد أن كُبل بالقيود بأن حديثه عن ٤٠٠٠٠ رجل مع المهدي ... الخ كان كله مجرد هراء. هرب رقيب من العرب ويقول بإنهم أرسلوا ٢٠٠ جندي أسود إلى المسلمية لجلب الحبوب ولكنهم هربوا إلى سنار، وأن ولد النجومي يفكر في المجئ ومعه مدفعين إلى الديم القديم والذي كان محتلاً سابقاً بابن الشيخ العبيد في الجانب الشمالي قرب الحلفاية. سيكون هذا مقلقاً كثيراً لنا إذا حدث، (جاء رجل من جوار بربر وقال: إن الحملة تتقدم نحو ذلك المكان، سمع المرء كثيراً هذا النوع من الروايات وإذا أخذناه مع الرواية القائلة بأن ودالنجومي سيجئ إلى الحلفاية يميل المرء إلى الشك فيه – لأنه ليس محتملاً أن يفعل ذلك إذا كان وجود الحملة في بربر صحيحاً.

أرسل جاسوس من الحلفاية نحو شندي مهما يحدث، أرجو أن يكون في صالحنا أننا أرسلنا لكم الباخرة (عباس) ووضعنا ثلاث بواخر تحت تصرفكم في المتمة – في حين إذا كانت هذه البواخر معنا كان من الممكن قطع الطريق بين جورا في الضفة الغربية للنيل والفقير إبراهيم في الضفة الشمالية للنيل. بالإضافة إلى ذلك نستخدم ٣٥٠ جندياً من حاميتنا الهزيلة لتجهيز هذه البواخر، كان مقلقاً لنا من وجهة النظر الحربية تردد حكومتنا لأننا لا يمكن أن نعمل كمستقلين. كانت هناك دائماً الفرصة للشروع في عمل ما – وهذا

أعاقنا خذ مثلاً طوكر: إذا كان قد تم دعم بيكر بخمسمائة رجل لم يكن ليهزم – ومع ذلك بعد أن هزم نقوم بإرسال قوة لإنقاذ المدينة، إذا كان قد تم دعمه بهؤلاء بخمسمئة رجل ففي كل الاحتمالات كان سينتصر ويتقدم إلى بربر، وحالما يكون هناك لم تكن بربر لتسقط ما كان صحيحاً عمله في مارس، كان صحيحاً عمله في فبراير. أرسلنا حملة في مارس وكان علينا إرسالها في فبراير، والأسوأ وبعد هزيمة بيكر قمنا بإرسال حملة إلى طوكر – لم تكن هناك قوات لبيكر ومدافعه تقاومان في بربر.

من المحزن إهدار المال والرجال نتيجة لترددنا. لم يكن أبداً يجب الدفع بحملة بيكر إلى الأمام إلا بمراحل ومدعومة بحصون، لم يكن أمامها أكثر من خمسة عشر أو عشرين ميلاً لتقطعها، وهذه المسافة يجب أن تكون بها خنادق، أنظر إلى حملتك الحالية. أنا لا أعرف التفاصيل (شكراً لمكتب المخابرات)ولكن يبدوا أنه في أو حوالي ٢٠ أغسطس أفترض أنه تم التخلص منا ولكن في حوالي ذلك التاريخ حدث ابتعاث لنا ومن ثم (ليكن لدينا حملة فوراً ونرسل إلى ويلسلي)إذا كان قد تم إبلاغ الرجال في وادي حلفا (دنكن) في مارس (عندما جاء إلى أسوان) للقيام بإستكشاف حتى دنقلا لكانوا جاهزين للحالة الآن. شخصياً لا أبالي ولكني أقول يالها من فوضى هائلة سنعيشها إذا كانت هناك حرب أوروبية. أعتقد أن وود والسردار وآخرون كثر تنبأوا بما قد يحدث، ولكن لم يروا أنهم مدعويين لإحداث ضجة حول ذلك (شخصيات بلوتراخ) نفذت طبعتها في جيلنا ،لانود أن نكون ما يسميه رجال النادي عصاة، بالرغم من أن من بين كل العصاة رجال النادي هم الأسوأ ما هي العاقبة؟ ياله من إنفاق لا متناهي ومشاق عظيمة

لاحظ الطريقة التي عامل بها المهدي كوسي، هل يحتمل أنه فعل ذلك حباً فيه؟ ليس لأن كوسي أخبره ببرقية بارنج (لن ترسل قوات إلى بربر)، تذكر بالرغم من أنني أثرت هذه الأسئلة - لست أنا من أثرتها - إنه التاريخ. لماذا ذهب بيكر إلى سواكن وبقى وود والسردار في القاهرة؟ أحدهم رئيس الدرك والآخر القائد الأعلى، إنها ليست مسألة شرطة ولكن مسألة حرب. إذا كان صحيحاً ترك سنكات لتهلك - يكون صحيحاً ترك طوكر، إذا كان صحيحاً إنقاذ طوكر فصحيح مراعاة بربر، ومن ثم الخرطوم وسنار وكسلا وبحر الغزال والإستوائية، وعلى أية حال كن ثابتاً على المبدأ لا أحد يجادل في حق الحكومة أن تقرر، ولكن عندما تقرر أجعله قراراً حقاً(سنتخلى عن الكل ولن نأبه بما يحدث)هذا قرار يمكن للمرء أن يتفهمه سواء أن وافق عليه أم لا نحن لسنا الحكام - ولكن ما فعلناه هو هذا، أنا أعلن أنني أشك كثيراً في سياسة حكومتنا حتى وإن كانت الحملة الآن في دنقلا.

ماذا كانت أفكاري حتى أروي هذا؟ هي كانت موافقة حول إخلاء السودان ولكن مع أخراج الحاميات، وكانت هذه هي تعليمات الحكومة. أرغب فقط في أن ينظر الجمهور إلى برقيات بارنج وبرقياتي، والتي تبودلت من ٢٨فبراير إلى ١٦ مارس ويعرفوا كيف أجابني؟ [١٩].

كانت وكأنني أسلي نفسي هنا وبعد ذلك يقوم أيفرتون الخالي البال من الهموم بإضافة (ما هو قصدك من البقاء في الخرطوم؟ [٢٠] أود أن أرى تفسيراً لماذا لم تبذل جهود لإنقاذ الحاميات قبل أغسطس (ليس إنقاذي)لقد عرف في مارس أن بربر قد سقطت، قد يقال إن الفترة لم تكن مناسبة، فلماذا يخبرني ايفرتون في يونيو بإبرام عقودات. أتمنى أن يزيل ستيورات كل هذه الصفراوية.

الساعة ٩:٠٠ مساء – تم قطع خط التلغراف مع الحلفاية – هذا يعزز ما قاله الرجل الذي جاء اليوم بإن العرب يفكرون في المجئ مرة أخرى إلى الديم شمال هذه المدينة مما سيخلق مشكلة ... ستكون بداية لحصار ثاني وأتمنى أن يكون الأخير لأنني لن أتحمل حصاراً ثالثاً.

٩ أكتوبر

تم إصلاح خط التلغراف مع الحلفاية. جاء العرب إلى خطوط القتال ومعهم مدفعين وتبادلوا أطلاق النيران مع رجالنا – إنه إهدار للذخيرة. هرب رجل اليوم من العرب وجاء من شيخ العبيد وقال: إن لديهم المدفع الذي استولوا عليه في القضارف.

أطلق العرب هذا الصباح سبع عشرة قذيفة ولكن بدون أضرار.

هؤلاء الشايقية – سأراهن بأنهم سيضجرون أي إنسان أكثر من أي رجال آخرين في كل العالم بل في الكون. لا فائدة من الكتابة بالتفصيل عن محاولاتهم. أرسلت الآن موسى بك إلى الحلفاية. بحسب ما أسمع إنهم اضجروا العرب والذين فكروا كثيرا في قتلهم. يمكنني تخيل تفكير العرب في قتلهم عندما أنظر إلى المعاناة والإذلال الذي سببوه لي. بالطبع ذكر الضابط عند خطوط القتال بأن الكثير من العرب قتلوا اليوم.

قتل شيخ العبيد كل السجناء (كانوا سكانا من الخرطوم) الذين قبض عليهم بعد هزيمة محمد علي قرب العيلفون. أمرت ببيع ٢٠٠ أردب من الحبوب علي ألا يأخذ أحد أكثر من ربع أردب.

سينزعج ستيوارت عندما يسمع أن (إبراهيم رشدي مريض !! . بدأ تاريخ مرضه من ساعة طرده من منصب الباشكاتب. لم يرسل للطبيب) .

سيكون مرضياً للبعض العلم بأنه نسبة لعدم إرسالهم إليّ أي أخبار، فأنا

معرض للاستماع لكل أنواع الإشاعات المزعجة في المدينة التي وإن لم أكن آبه بها، فهي لايراد منها أن تجعل حياة المرء أسهل. كان العلماء ولمدة يومين يجيئون طالبين مقابلتي لأنهم يريدون المزيد من الحبوب.

أجلت مقابلتهم ولكني منحت كل فرد منهم أردباً، ومع ذلك طلبوا اليوم مقابلتي ولكني قلت عليهم إخبار وكيلي بما يريدون، بعد حوار طويل دخل الوكيل ليقول: (إن كل المدينة تطالب بإرجاعي إبراهيم رشدي. يالها من فكرة لكن من الأفضل للمدينة أن تعتني بشئونها وتركي للعناية بأموري)

أعتقد أنه أمر ممتع، وكان لابد لرشدي من حبكها خلال مرضه الخطير. قام رشدي برشوة خدمي. أخبرني إدريس كبير الخدم وبنظرة مليئة بالأسى، كيف أن رشدي مريض وعندها ضحكت!. خمنت أنه في قائمة المرضى وقد طلب ذلك. نعم، (بزفرة عميقة) رشدي مريض جداً (سألت متى بدأ المرض؟)-(قبل فترة طويلة ولكن الواجب وإخلاصه لي مكنته من الزحف للعمل).عندها ضحكت مرة أخرى. بعدها جاء العلماء بعريضة المدينة، يمكنني أن أتخيل متى قام الرجال برشوة الباشكاتب ليحابيهم، وإنه من المزعج أنْ تقوم بأداء نفس العملية مع الباشكاتب عندما يتم طرده. إنها تربك كل الحسابات. سيرجع رشدي مع توبيخي إلى القاهرة.

تأرجح - تأرجح[٢١] لماذا هي كافية لقتل رفيق؟ لا أستطيع أنْ أبقي عينيي مفتوحتين سأذهب شلناً لأجد ساعة من النوم. نعم بالطبع تقول إنه قريب في متناول اليد أيها الشيطان الأسود، أنا أعرف أن قريب لديك تعني على الأقل ثلاث ساعات فأكثر هل أعطيك زمزمية الماء؟ لا أستطيع لا أجروء على لمس هذا الحيوان ذو العنق الطويل هناك شخص سقط سقطة عنيفة بندقية (انكسرت)بالطبع لايمكنك السقوط من الجرف بدون أن تتهشم هاهو

فوق رأسك هذا الحيوان. السرج كما تسميه ينزلق. ألا يمكنك إيقاف هذا الحيوان (صوت جسم يسقط) حسناً. هذه هي النهاية. سأسير الآن مسرعاً بدلاً من الركوب مرة أخرى على ظهر سفينة الصحراء هل أصبت؟ بالطبع لا ربما تمتعت بالإحساس – أسير بنصف ميل –الحزاء ملئ بالرمل أحاول مرة أخرى (مشهد في الصحراء).استكشافات في أفريقيا الوسطى بواسطة جيش جلالتها.

ستنزلق السروج إلى الأمام والجمال ستعترض على ركوب الرجال فوق أعناقها الطويلة. سيلقون بأعواد الكبريت على الجمال والتي لاتحب هذا، يتقرحون وليس لديهم جلسرين. يسقطون غليوناتهم ولايتجرأون على النزول إليها. يجتازون جمال العفش المحملة بصناديق أطرافها مدببة حادة تخدش سيقانهم. عندما يمتطوه ويذهبون إلى الناحية الأخرى ويسبون، ياله من سباب. قبعاتهم الهندية تسحق – وآلآم في كل جزء من الجسم (يجب أن أميل لوضعهم على سروج إسعاف واحد في كل جانب –خطر إذا قابلوا قافلة عفش– متعب ومريض! بالطبع أنا متعب ومريض بعد انحناء وتأرجح جسدي إلى الأمام والخلف طوال الليل وعيناي وخذتني كأن بها عدة إبر من الرغبة في النوم، يمكنك أن تقول ما تشاء، أنا أقسم أني رأيت أكثر من واحد من هذه الهياكل العظيمة للجمال تقف ورأيت منازل بوضوح كما أراك[٢٢] كنت بين ستيلا وشاربيدو أردت أن أنام ولكني خائف من السقوط لن أنساها ابداً)

(شير سابيد إلى كتشنر: أي أخبار عنه؟).

كتشنر إلى شيرسابيد: لا شيء محدد. سقط رجلان أو ثلاثة. البواخر في المتمة، الأنباء كالمعتاد من مكتب الاستخبارات: المهدي يفعل أفضل بكثير.

يجدها أكثر صعوبة في إيصال خطاباته وسيكون لديه الوقت للتغلب على اعتلال الكبد والظلم، يقول ستيورات: إنه جحيم لا يطاق أن تكون معه في مقصورة عندما يكون في ثورة غضبه، أتمنى أن تكون بصحة جيدة. أخبرني إذا كنت أستطيع عمل أي شئ لك.

أعتقد لفائدة مصلحة التلغراف يجب على فويلر جعل الضباط يدفعون قيمة مثل هذه البرقيات التي تم اعتراضها.

جاء رجل من العرب من الجبهة الجنوبية يقول: بأن العرب سحبوا القوات النظامية التي معهم، وأن النظاميين يريدون الاندفاع نحو خطوطنا والهروب إلينا، جاء صبي كان غائباً لمدة أربعة أيام من معسكر المهدي الذي يقع في مكان مقابل القطينة، قال بأن المهدي يتحرك في الضفة الغربية متجهاً نحو أم درمان ومعه كل الأوروبيين وإلياس وسلاطين، وأن المهدي سيحاول الإستيلاء على المكان قبل تقدم الإنجليز،والذين يقال إنهم في بربر. كردفان هادئة. مع المهدي حوالي ثلاثة إلى أربعة آلاف رجل ويقول المهدي: إنه سيعبر النهر ماشياً بمعجزة. أرسلت لقدوم الإسماعيلية من الحلفاية مستبدلاً إياها بالتوفيقية. الباخرة بوردين ستذهب إلى نفس المكان عند رجوعها. بطريقة ما رفع هذا التقدم من آمالي، ليس هناك شيء يشبه الموت أكثر من أن تكون سجيناً كما نحن الآن. على أية حال خلال شهر سيكون إما منتصراً أو مهزوماً كما يشاء الرب. أعتقد أنه سيحاول التفاوض. بالطبع حسين باشا خليفة قد أخبره بأن معي فرماناً يخولني تسليم البلد إذا وجدت من يستلمها.

كتنشر لشيرمايد – عظيم أخبار رئيسه. وصفه المهدي بأنه في وضع غير مناسب. لقد ذهب إلى أمدرمان. لن تكون لدينا ملاحظات سيئة حول

مكتب المخابرات أُضيئت دنقلا أتمنى لو كنت هنا رفيقي القديم – أتمنى أن تكون بصحة جيدة! يمكنني ... الخ.

أقول بأن على فويلر جعلهم يدفعون تكاليف هذه البرقيات التي تم اعتراضها وأحضرت هنا، حسناً بعد ليل طويل يبرج الفجر هذه أخبار أفضل نوعاً ما. اعترف بأني لم أنبهرْ أبداً باكتشافات لفنجتون و لم أكن لأصدق إذا أخبرني أحد بأنه يجب عليّ القيام بهذه الاكتشافات مع جيش بريطاني. يجب على المرء أن يكون ممتناً، قد يسمح للمرء بإبداء هذه الملاحظة: لماذا لم يتحرك ذلك المهدي قبل أن يفسد تماماً عطلتي؟ إندهش لماذا بعد ثلاثة أشهر أعود إلى تلك الفوضى مرة أخرى وأتوجه بالإسئلة؟ يالها من حياة! ماذا تقول؟ أنا أضحي بنفسي من أجل وطني حسناً – أنت على صواب في هذا. أبدو شهيدا فأنا بلاشك شهيد. الجموع التي جاءت من العرب انتشرت في إرجاء المدينة – ماذا يتوقع أن يفعل المهدي وحكومته – لا أنا لا أخاف على المدينة والتي افترض أن بها ٤٠٠٠٠ ساكن.

يمنع العرب الجميع من المجئ إليّ– أنا لا أمنع أحد من الذهاب إليهم، حتى أنني أمنحهم اذونات مكتوبة للذهاب، وبذا أحكم على هولاء الناس. الباخرة الصغيرة بدأت اليوم في التحرك و آمل أن تنتهي في ثلاثة أيام وتسلح وتصبح فعالة، أشعر بثقة أن المهدي سيجئ بفكرة التفاوض إذا حدث هذا ولدى المرء أمل معقول في النجاح بإخراج الحاميات فسأفاوض – لأنه حتى الآن لم يتم إلغاء تعليماتي الأصلية، وأشعر باطمئنان بأن حكومة جلالتها لن ترغب في حملة طويلة أكثر من اللازم في هذه الأنحاء. يجب أن لا أُلام إذا تم إخراج الحاميات على حساب البواخر من خلال التفاوض، وإذا تم في المستقبل معاقبة مصر بالتخلي عن البواخر والمواد الحربية. أصدرت

حكومة جلالتها أوامر واضحة أي (إخرج الحاميات واخلي)هذه الأوامر لم يتم إلغاؤها ولا زالت سارية. لم أخطر رسمياً بتقدم القوات أو تغيير في السياسة وعليه فأنا محق في التصرف وفق تعليماتي الأصلية. مذكرة كتشنر ليست كافية لتبرير عصيان تعليماتي القانونية. برقية أيفرتون لم تكن قابلة لفك شفرتها.

١٠ أكتوبر

تبدأ السنة ١٣٠٢هـ للعرب في ٢١ أكتوبر. هزيمة هكس كانت في الأول والثاني والثالث من أكتوبر، إحضار المهدي لكل الأوروبين معه يجعل تحركه وكأنه واثق من النجاح في النهاية. كل المعلومات تشير إلى أن هدفه هو تجويعنا. إذا تخلى الرجل عن رسالته النبوية قد نصل إلى تفاهم، ولكني أخشى أنه لن يفعل ذلك. هنالك أمر جيد من مجئ المهدي إلى هنا - سيكون الاتصال به سهلاً وأيضاً إذا هزم فهي نهايته بدون الذهاب إلى كردفان، ومع ذلك أعتقد أن رجالنا في الدبة يجب أن يكونوا على علم بأماكن تواجد المهدي، صدفة غريبة أن تحرك الحملة وتحرك المهدي يحدثان في نفس الوقت ولنفس المكان (ارماجون).

لدي ٢٤٠ رجلاً في أمدرمان وهي قوة قوية ليس من المحتمل مهاجتمها، وإذا كسبها المهدي لا يعني ذلك كسبه للخرطوم ولكنها تثبط همة الأهالي. هناك مصدر إزعاج واحد في أي مفاوضات (لا اعتقد أنه ممكن)وهو إلى أي مدى يمكن للمرء أن يفاوض بالنسبة للبواخر ومخزن المعدات الحربية، إذا كان الزبير هنا كان يمكن حسم الأمر، أما الآن والحملة في دنقلا يبقى السؤال ماذا يجب أن نفعل؟.

فقدت سبعة مدافع اثنان على ظهر كل باخرة في المتمة وواحد على ظهر الباخرة عباس، أطلق العرب اليوم ست قذائف كروب على خطوط القتال، لم تنفجر إحداهما >لا عرضة في الكلاكلة في الجبهة الجنوبية أو في الفكي

مصطفى قرب أم درمان، جاء رجلان أحدهما من الجبهة الجنوبية ومعه بندقية والثاني من أمدرمان. يقول الأخير: إن المهدي سيأتي إلى أم درمان اليوم أو غداً وسيكتفي بتطويق المكان. كل الأوروبيين معه بما فيهم الراهبات. يفكر العرب في المجئ إلى الديم القديم قرب الحلفاية ويقال: بأنهم عرب ود النجومي وليسوا عرب شيخ العبيد. هذا أمر غريب يبدو! وكانت هاتان الجماعتان ليستا على وفاق. نعلم بأن شيخ العبيد لا يتفق مع أبي قرجة.

يبدو أن الناس غير منزعجين البتة من اقتراب المهدي. في الحقيقة يعتبرونه أمر جيد فهم يقولون: إن الأمر سينتهي هنا ولن تكون هناك ضرورة للذهاب إلى كردفان، جاء صبي عربي صغير جداً وله عيون كبيرة سوداء من العرب وكان قد قبض عليه قبل شهور مضت. لا زالت الباخرة بوردين أسفل النهر وأتوقع أنها تقوم بالنهب شمالاً ويميناً. أخبرني سنجك من الشايقية قضى شهوراً سجيناً لدى شيخ إبراهيم (أبن شيخ العبيد) بأن الأخير اعتاد أن يتشاجر مع أبي قرجه وكيف أن الأخير أخذ البندقية التي استولوا عليها منا، وكيف أن شيخ إبراهيم كان مسروراً عندما هزمنا أبوقرجة في الجريف. في وقت ما سجن أبو قرجة شيخ إبراهيم .سقطت أربع قذائف كروب في وسط المدينة ولم تحدث ضرراً (قصف منتظم على باريس) الأثر الأخلاقي – لا يوجد – غداً الرحلة التجريبية للباخرة الصغيرة الحسينية سيظن العرب إن إحدى البواخر الكبيرة قد أُنزلت إلى القاع.

لا يستطيع المرء إلا الضحك على المهدي وهو يصطحب كل الأوروبيين معه – راهبات – قساوسه– يونانين – ضباط نمساويين – يالها من خلطة – ستكون صيحة إبتهاج للورد ويلسلي إذا استطاع اخماد المهدي. فقد قمبيز ابن سايروس جيشه في هذه الصحاري عام ٥٢٥ ق.م – قبل ٢٤٠٩ عاماً

تبدأ سنة المسلمين ١٣٠٢هـ في ذكرى الطرف الأعز (تتوقع مصر -حتى لا تقول شكراً- إنك ستقوم بواجبك) سيذكر الذين كانوا في وقت مضى يتمركزون في جبل طارق رسالتين مهمتين فوق رف المدفأة. كولينجود في الطرف الأغر وولنجتون في ووترلو. يالها من نغمة مختلفة فيهما.

لا أستطيع أن أمنع التفكير في أن البحرية أكثر فرنسية من الجيش في كل الأمم. إنهم يميلون إلى الجدية أكثر لأنهم خاضوا غمار أخطار جمة. لاحظت رايات حول خيمة الفكي مصطفى. جاءت ثلاث نساء هذا المساء من معسكر ولد النجومي وقلن أن المهدي جاء إلى أمدرمان اليوم. ولكن جندياً هرب ببندقية جاء بعد ذلك وقال بأن المهدي لم يحضر بعد إلى أمدرمان ويتوقع وصوله غداً.

سأرسل خلال خمسة أيام التوفيقية إلى المتمة وآمر بعودة تل عوين، سأرسل مع التوفيقية هذه اليوميات حتى تاريخه وستبقى التوفيقية هناك. عادت الباخرة بوردين من السبلوقة وقبضت ١٥ بقرة وأربعة عبيد. أطلقت عليها النيران من الضفة الغربية وضعت صندلين محصنين في نهاية خطوط القتال على النيل الأبيض والاثنان الآخران في بري، سلحت رجال الفرقة وجعلتهم حراساً لفرج باشا. يجب بناء حصون قوية في السبلوقة على جانبي الممر.

بعثت الباخرة بوردين برقية من الحلفاية. (قبض على جاسوس مهم) سألت ماذا قال هذا الجاسوس المهم؟ (ردوا قائلين):قال الجاسوس المهم: بأن الإنجليز أرسلوا ثلاثة رجال ليعرفوا الطرق إلى الخرطوم (استغرق هذا ساعتين ونصف للحصول على هذه المعلومة إنه وقت كاف ليصاب المرء بالجنون، تمخض الجبل فولد فاراً) تم إرسال جواسيس على ظهور الخيل ذهاباً وإياباً لهذه المعلومة. سأنظر غداً في أمر كابتن الباخرة بوردين. إذا كان لدى هؤلاء

الناس ذرة معلومات (لست أنا) يعتقدون بأنها مهمة يخلقون منها جبلاً لكي ينالوا ترقية. ماذا يهمنا إذا أرسل جنرال بريطاني ١٥٠ جاسوساً ليعتني بالطرق؟! بعث ربان الباخرة بوردين بأسماء الجواسيس الذين أرسلهم الجنرال البريطاني وحصل على الأسماء من(الجاسوس المهم) معتقداً بالطبع بأني سأكون مسروراً. هذه الأمور تجعل المرء يغضب غضباً شديداً. تم تكليف عشرين رجلاً على الأقل بالعمل على لا شيء بكل ما تحمله الكلمة من معنى، وأنا كالأبله انتظر بتلهف المعلومات عن(الجاسوس المهم) وينتهي الأمر(ثلاثة رجال أرسلهم الجنرال البريطاني) كان سيكون أمراً آخر إذا كان الجاسوس المهم قد قال بأن الجنرال البريطاني قد بدأ التقدم. أنا لا ألوم الجنرال البريطاني على عدم إسراعه بطيش للدخول إلى هذه الصحراء.

١١ أكتوبر

جاء رقيب اليوم إلى أم درمان وكان قد غادر معسكر المهدي قبل ثلاثة أيام. كان المهدي على بُعد مسيرة يوم من أم درمان في المكان الذي قابل فيه ستيورات الزعماء عندما ذهب أعلى النيل في شهر مارس. سيصل المهدي معسكر الفكي مصطفى اليوم أو غداً كان معه ٢٠٠٠ أو ٣٠٠٠ نظامي قبض عليهم هنا أو هناك، وكان معه ثلاثة مدافع كروب وأربعة مدافع جبلية، ولكنه حصل على المزيد من المدافع الجبلية في طريقه من كردفان. كان مع المهدي حسين باشا خليفة وسلاطين وكل اليونانيين والقساوسة والراهبات الذين أسلموا. ترك في الأبيض قسيساً وراهبةً رفضا أن يسلم،ا كان معه خليط من الجماهير غير المتحمسين لأنه كسب سخط الناس بإبتزازه لهم. كان لديهم الكثير من اللحوم، ولكن القليل من الحبوب فارق الفرنسي الذي تحدثنا عنه (وحسبته رينا) المهدي. القتال مستمر في كردفان في جبل نوار. الروايات منتشرة حول وجود الإنجليز في الدبة. ينوي المهدي قصف الخرطوم من الجهة الأخرى وإزالة أم درمان. المال المستولى عليه في بربر لايزال هناك.

جاء جندي آخر من معسكر ود النجومي وقال: إن النظاميين مقيدون بالسلاسل. يقوم العرب ببناء حصن على بعد ٢٠٠٠ ياردة من الجبهة الجنوبية، سقطت ثماني قذائف كروب في المدينة ولكن لم تحدث ضرراً. سقطت بالأمس أربع قذائف في المدينة – إحداهن جرحت خمس نساء

سود جرحاً خفيفاً وواحدة أصابت منزلاً تملكه أسرة المهدي. تمت اليوم الرحلة التجريبية للباخرة الصغيرة بنجاح كبير - أطلقت اصواتاً كالشخير.

جاء جنديان هذا الصباح من معسكر شيخ العبيد. قالا: بأنه ينوي القدوم إلى الديم القديم على مبعده من الجهة الشمالية حيث كانوا من قبل. قالا بأنهما ليسا على وفاق مع ود النجومي أتمنى بإخلاص ألا يعسكر مقابلنا.

أرسلت رجلين كلاً على حده إلى الدبة مبلغاً وصول قوات المهدي إلى أم درمان، تم توصيل التلغراف بين حصن الحلفاية وضفة النهر - ١٥٠٠ ياردة - أصبح موسى بك مسؤولاً عن الباخرة بوردين والباخرة الإسماعيلية وأم درمان والمقرن. أصبح فرج باشا جنرال فرقة. أنا أكثر كرماً من حكومة جلالتها (عندما كنت كولونيلاً اعتدت على تعين جنرالات فرق وكان الخديوي ينتف شعره عند ذلك) قد يباع فرج باشا بما يعادل ٢,٢٥ دولار خلال إسبوعين إذا سقطت المدينة، ويحمل الماء لأحد أمراء المهدي. يجب علي القول: بأني ضد الأطباء إذا عانى رجل من ألم شديد وفي حالة ميؤوس منها سأعطيه الكثير من المورفين لتخفيف معاناته. من عادة القدماء إعطاء الذين سيصلبون جرعة مخدرة وهي ما ذكر في ماثيو ٢٧ - ٣٤ ومارك ١٥ - ٢٣ مسيحنا لم يضع حداً بوسائل بشرية لوخزات آلامة ولايتذوقها. ولكن في حالة مسيحنا كان يعرف الهدف منه إعطائه الجرعة في حين أن المريض لايحتاج لأن يعرف. يعطي أطباؤنا جرعة مركبة لجلب النوم، وأنا لا أرى لماذا يتوقفون عند هذا ولا يعطون جرعة لعدم الإحساس بالألم. أعتقد أن لديهم قوانين لا نعرفها نحن. سأل نابليون في يافا الطبيب الرئيسي، بخصوص مرضى الطاعون وما إذا كان مبرراً إعطاؤهم جرعة مركبة ألا يستطيع أخذ هؤلاء المرضى معه عند انسحابه إلى مصر، وستقطع رقابهم إذا

خلفهم ورائه، أجابه الضابط الطبي (عمله هو الشفاء وليس القتل) لم يقل نابليون (إفعل ذلك) ولكنه فقط سأل نظراً لأنه كان من المؤكد أن رقاب هؤلاء المرضى سيقطعها الأتراك إذا تركوا في المؤخرة. يجادل التاريخ إن كان نابليون قد أحضر طبيباً آخر ليعطي الجرعة المركبة، ولكن من المؤكد أن مرضى الطاعون هؤلاء قتلهم الأتراك (سواء أكان تحت تأثير الجرعة المركبة أم لا فهذا لا يعني شيئاً) في اعتقادي أن الضابط الطبي الرئيسي كان متملقاً واستغل سؤال نابليون ليجعل من نفسه بطلاً. أشار نابليون لهذه الواقعة بعد ذلك في سانت هيلانة، وأنا أميل إلى تصديق روايته أي أنه فقط وجه السؤال البديل للضابط الطبي و لم يأمر بإعطاء الجرعة المركبة.

الآن أنهى الكتاب الثالث، أرسلت ٢٠٠ رجل إلى أم درمان ومستعد لإخلاء الحلفاية ووضع حاميتها في القبة إذا تحرك شيخ العبيد إلى الشمال من هذا المكان.

س ج غردون

٨٤/١٠/١٢

١/ كان عبدالقادر في ذلك الحين وزيراً للحرب، عين في مارس ١٨٨٢ ليخلف رؤوف باشا كحاكم عام للسودان ووصل الخرطوم في ١١ مارس ومارس مهامه، قام بتنفيذ حملة نشطة ضد المهدي حتى ٢٦ مارس ١٨٨٣م.عندما أعلن في الخرطوم عن تعيين علاء الدين باشا حاكماً عاماً على السودان في مكانه، اختارت الحكومة المصرية في يناير ١٨٨٤م عبدالقادر كمبعوث لها إلى الخرطوم، قبل أولاً وبعدها رفض. عند ذاك طلبت الحكومة المصرية من حكومة جلالتها اختيار ضابط بريطاني مؤهل جداً للذهاب إلى الخرطوم بدلاً من عبدالقادر، كان الجنرال غردون هو الضابط الذي تم اختياره ،وهكذا فإن ترشيح غردون لعبدالقادر ليخلفه كان ترشيحاً للرجل الذي خلفه هو. المحرر.

٢/ كانت التعليمات التي أرسلت للورد ويلسلي من حكومة جلالتها تعني أن الهدف الرئيس للحملة هو إحضار الجنرال غردون والعقيد سيتورات من الخرطوم، بالإضافة إلى ذلك أمر بأن لا يتقدم جنوباً إلى أبعد من مماهو ضروري فعلاً لتنفيذ الهدف الرئيس من الحملة – المحرر.

٣/ يجب تذكر أن غردون عندما كتب هذا كان قد توقع بأن تصل الحملة إلى الخرطوم قبل منتصف نوفمبر وليس حوالي نهاية يناير. لقد ازدادت قوة المتمردين مادياً خلال شهري ديسمبر ويناير – المحرر.

٤/ هو السير جنرال لنثون سيمونس G.C.B– المحرر.

٥/ تأكدت خلال الأسابيع القليلة الماضية أن العميل الرئيس في استسلام المدينة لم يكن فرج الله باشا كما قيل أولاً، ولكن مدني معين منفى

من مصر وعمل في وقت ما تحت عرابي كسكرتير لوزارة الحربية، أنا أعرف تاريخ هذا الرجل جيداً ويمكنني أن أشهد بدقة على هذا التاريخ لأنني سمعته كثيراً في القاهرة عندما كنت هناك. كان عون قبل أربع سنوات تقريباً موظفاً أميناً ومتحمساً في مسح التسجيل العقاري تحت السير أوكلاند كولفن - وهي خدمة كانت توصف بعدم الكفاية، وقد أقر الآن بأنها كانت كذلك. مستفزاً من سوء الإدارة والهزر قام عون بتهور بكتابة مذكرة بما عرفه وأرسلها إلى رئيسه وكانت الإجابة فصله،بعدها لجأ إلى الصحافة المحلية - كانت هناك بعض الحرية في تلك الأيام - وجعلته مظلمته بطلاً عندما جاء عرابي إلى السلطة عينه سكرتيراً، وظل كذلك في الأسكندرية حتى قصف المدينة لم أسمع أبداً أنه قام بدور بارز في السياسة في ذلك الوقت المليء بالأحداث، ولكن عند نزول السير أوكلاند كولفين إلى اليابسة كان عون من بين أوائل الأشخاص الذين اعتقلوا. حاكمه لورد شارلس برستفورد في إحدى محاكمه العسكرية ووجده مذنباً بإثارة التمرد أو نحو ذلك من التهم. ترك لرحمة الشراكة، وبعد أربعة وسبعين يوماً مكبلاً بالحديد في سجن بورغو نفى إلى الخرطوم، من الواضح أنه سجين سياسي إذا كان هناك أحد. عندما وعد لورد دفين بالعفو عنا في تسوية لمحاكمة عرابي كتبت إليه موصياً قضية عون لعنايته ولدى جوابه مع مذكرة من الغريب إنها من السير شارلس نفسه الذي حصد بعد ذلك خيبة أمله المريرة على يديه، ولكن لورد دفين رفض التدخل وترك عون في الخرطوم لثأره. كان هو والإنجليز على أبوابه مرة أخرى من تفاوض تسليمها إلى منقذها العربي.

التايمز ٤ مايو ١٨٨٤- المحرر.

٦/ أحد أكثر الأجزاء إيلاماً في هذا العمل هو التقارير الدائمة والمستمرة، التي يسمعها المرء عن الخيانة المقدمة من هذا الرجل ذى النقود أو ذلك، بالرغم من أثرها الشديد في نفسي كنت محتفظاً بإيماني بكل الرجال ورفضت أي من هذه الإجراءات التي لا تنفع أبداً، والتي تبث ذعراً واسع الانتشار في كل أنحاء المدينة. هرب إلى هنا بدون سلاح الرجال الذين ينتمون إلى الشايقية المحاصرين وكانوا مسجونين وقالوا: بإن الشايقية ذهبوا إلى العدو وآخرون منهم سيأتون متوسلين المساعدة إنني مسرور بأن أقول: بأن سكان المدينة والقوات بلا استثناء سلكوا سلوكاً حسناً بطريقة ودية وصحيحة.هذا وألزمت بأن لا أتركهم إلى أن أستطيع فعل ذلك تحت ظل حكومة تمنحهم بعض الأمل والسلام، تلغراف جنرال غردون إلى السير أي بارنج. واستلم في القاهرة نهاية مارس ١٨٨٤م. مصر رقم K رقم ٢٨٧ – المحرر.

٧/ أن تُضرب بـ (الشبشب) خلال نزاع يعتبره المسلمون أكبر إهانة يمكن أن يوجهها رجل لآخر – المحرر.

٨/ أرسل الجنرال غردون تلغرافاً إلى السير أيفلين بارنج من بربر في ١١ فبراير ١٨٨٤ (إذا كانت لي سلطة لن أحاول مرة أخرى وضع قوات مصرية في سواكن بل سألحق ٣٠٠ جندي تركي برواتب بريطانية. إنهم سيحسمون الأمر. يكفي أن تظهر قوات الملكة ليحدث انهياراً لكل الشعور بالغضب)المحرر.

٩/ أرسلت الصحف عدة تلغرافات تسأل عن ما قلته بخصوص الرقيق. السؤال الذي سئلت عنه كان، هل أنا مصمم على تحرير الرقيق في

١٨٨٩م بموجب إتفاقية ١٨٧٧؟. أجبت بأن تلك الإتفاقية لن يتم تطبيقها من قبلي في عام ١٨٨٩م آخذين في الاعتبار قرار حكومة جلالتها بخصوص السودان وهي حقيقة بديهية. (أن المسألة هي حول اقتناء العبيد، وليس صيد العبيد وفي رأيي أن أتفاقية ١٨٧٧ لن تطبق في القاهرة بالنسبة لاقتناء العبيد) .تلغراف من الجنرال غردون إلى السير بارنج تم استلامه في القاهرة بتاريخ ٢١ فبراير ١٨٨٤م – مصر ١٢ رقم ١٣٢ – المحرر.

(ليكن معلوماً لدى الجميع بأنني قد تم تعييني باتفاق بين حكومة الخديوي وحكومة بريطانيا العظمى حاكماً عاماًعلى السودان، وقد صار السودان الآن دولة مستقلة تحكم نفسها بدون تدخل من الحكومة المصرية بأي طريقة كانت إعلان الجنرال غردون لكافة وجهاء وأهالي السودان) في ١٣ فبراير ١٨٨٤م – المحرر.

١٠/ يحتمل أن الجنرال غردون هنا يقتبس أراء هيربن القنصل الفرنسي – المحرر.

١١/ مجلس تحقيق – المحرر.

١٢/ هذا التنبؤ في طريقه لأن يتحقق.

١٣/ يبدو من الواضح أن هذا هو اوليفربين.

١٤/ لم يستلم من الحكومة مع هذه اليوميات.

١٥/ جاءني من القناصل الأوروبيين اليوم مع السؤال عما إذا كانت الخرطوم مهددة؟ أجبت: بأنها ليست كذلك مباشرة ولكن الطريق إلى بربر مهدد، سألوني إذا كان من الممكن مساعدتهم للذهاب إلى بربر

وقلت:(نعم) ليس هناك من شك في أن مغادرة الأوربيين ستكون علامة هامة للناس في هذه المدينة وفي المديريات بأن ليس هناك مساعدة من المحتمل أن تأتي إلى الخرطوم. في هذه الظروف ماذا تنصحني بأن أقول كي أبطل الآثار السيئة لمغادرتهم، الجنرال غردون إلى السير ايفلين بارنج. الخرطوم مارس ٩/ ١٨٨٤م الساعة ٤٥ : ١١ مساء مصر د ح. ١٢ (١٨٨٤) مرفق في رقم ٢٤٢.

أنت تعرف بالضبط وضع الحاميات المختلفة بقدر ما أستطيع شرحه، وليس هناك احتمال بأن يلتف الناس حولي أو ينتبهون إلى تصريحاتي، إذا كنت تقصد أن تعمل باقتراح التحويل إلى بربر (القوات البريطانية) وقبول اقتراحي حول الزبير وتنصيبه في السودان والإخلاء فهذا جدير من التمسك بالخرطوم. من ناحية أخرى إذا قررت بأن لا تتخذ أي من هذه الخطوات فأرى أن لا فائدة من التمسك بالخرطوم لأنه سيكون مستحيلاً عليّ مساعدة الحاميات الأخرى. فقط سأكون مضحياً بكل القوات والموظفين هنا.

في الحالة الأخيرة من الأفضل أنْ تكون تعليماتك لي: يجب أن تكون إخلاء الخرطوم من كل القوات والموظفين ونقل مقر الحكومة إلى بربر. ستعلم أن مثل هذه الخطوة ستعني التضحية بكل الأماكن الخارجية ما عدا بربر ودنقلا. يجب أن تجيب سريعاً لأنه حتى الانسحاب إلى بربر قد لا يكون في استطاعتي خلال أيام قليلة وحتى إذا نفذ الانسحاب فوراً فسيكون في غاية الصعوبة.

يجب عليّ ترك مخازن كبيرة وتسعة بواخر لا يمكنها الذهاب إلى

الأسفل. وفي آخر الأمر ستثار بعض الأسئلة في بربر ودنقلا، وقد أفشل تماماً في إحضار موظفي القاهرة إلى بربر. إذا حاولت سأكون مسؤولاً فقط عن مثل هذه المحاولة لفعل هذا. حالما يعمل المهدي الخرطوم ستكون العمليات ضده شاقة ولن تخدم سنار وكسلا.

الخرطوم ٩ مارس. ١٨٨٤ - ١١:٤٠ مساء.

إذا قررت الإخلاء الفوري للخرطوم بصرف النظر عن المدن الخارجية أقترح أن يُرسل كل موظفي القاهرة والقوات من البيض مع العقيد ستيورات إلى بربر حيث سينتظر أوامرك. أطلب أيضاً من حكومة جلالتها قبول الاستقالة من مهمتي وسآخذ كل البواخر والمخازن إلى مديريتي الإستوائية وبحر الغزال وأعتبر أن هاتين المديريتين تحت حكم ملك البلجيكيين.

سيكون في مقدورك سحب كل موظفي القاهرة والقوات البيض مع ستيورات من بربر إلى دنقلا ومن ثم إلى وادي حلفا. لذا إذا قررت الإخلاء الفوري للخرطوم فهذه هي فكرتي - إذا كنت تعترض فأخبرني.

هذا هو الحل الوحيد الذي أراه إذا قررت الإخلاء الفوري للخرطوم بصرف النظر عن المدن الخارجية - نفس التلغراف - المحرر.

١٦/ لقد استلمت تلغرافك بتاريخ التاسع من الشهر الجاري تعلمني فيه بإستلامك خطاباً من الجنرال غردون، ومنه يبدو أن ذلك الضابط يفكر في الذهاب إلى مديرتي الإستوائية وبحر الغزال. عليّ أن أبيّن بأن رأي حكومة جلالتها بأنه يجب على الجنرال غردون ألا يذهب

إلى أبعد من الخرطوم. أيرل جرانفيل إلى السير أي بارنج. - ١١ فبراير ١٨٨٤م - مصر رقم ١٢ - رقم ٤ - المحرر.

١٧/ هو روميلوس جي وكان قد عين سابقاً مترجماً في رئاسة الجيش قبل سباستول وقام بعمل عظيم ضد صائدي الرقيق في السودان كمساعد للجنرال غردون عام ١٨٧٨م عين بالتالي حاكماً لبحر الغزال، ولكن اضطر للتقاعد نتيجة لمؤامرات رؤوف باشا، مات في مستشفى بالسويس عام ١٨٨١ - المحرر.

١٨/ كانت الشكوى الرئيسة للجنرال غردون ضد مكتب المخابرات أنهم لم يعرضوا أموالاً لرشوة الأهالي لمحاولة إيصال رسائل إلى الخرطوم. إذا كانوا فعلوا ذلك فهو يعتقد بأن كثيرين سيتطوعون وبعضهم كان قد نجح - المحرر.

١٩/ الجنرال غردون إلى السير أي بارنج في أول مارس الموضوع - السياسة. أتمسك بشدة بسياسة الإخلاء في النهاية، ولكن أخبرك بصراحة أنه من المستحيل إخراج موظفي القاهرة من الخرطوم إلا إذا ساعدت الحكومة بالطريقة التي أطلعتك عليها. مرفق ١ في رقم ٢٢٩ رقم ١٢ في الكتاب الأزرق رقم ١٢.

أجاب السير ايفلينج بارنج بتلغراف بتاريخ ٢ مارس - ١٨٨٤ - استلمت تلغرافاتك الأحد عشر خلال الأربعة أيام الماضية حول أمور السياسة العامة. أنا حريص جداً على مساعدتك ودعمك بكل الطرق، ولكني أجد صعوبة في فهم ما تريده بالضبط، أعتقد أن أفضل خطة أن تدرس كل المسألة بعناية ومن ثم بيّن لي في تلغراف واحد ماذا توصي به أنت .. الخ.

٢٠/ الأيرلي جرانفيل إلى السيد أيفرتون - ٢٣ ابريل ١٨٨٤م (يجب إبلاغ غردون فوراً بواسطة عدة رسل - أننا لا نقترح إمداده بأي قوة تركية أو أخرى بغرض القيام بحملات عسكرية، فهذا خارج نطاق التفويض الذي يملكه ،ومخالف للسياسة الهادئة والتي كانت الغرض من مهمته إلى السودان - إذا استمر مع هذا الفهم في الخرطوم يجب أن يعلن لنا السبب والغرض اللذين بسببهما يستمر) مصر رقم ١٢/١٨٨٤م رقم ٦ - المحرر.

٢١/ ملاحظات مفترضه للجنود البريطانيين وهم يعبرون الصحراء على ظهور الجمال - المحرر .

٢٢/ إشارة إلى الصور التي تنعكس في شبكية العين من الإثارة أو العقل المتعب - المحرر.

الكتاب الثالث

على الغلاف الورقي

لا أسرار بقدر ما يخصني

س.ج . غردون

لفوينات كولونيل G.C.B

رئيس الأركان أو لورد ويلسلي، G.C.B

الحملة العسكرية السودان

يوميات الأحداث الخرطوم، المجلد ١١١

من ١ أكتوبر إلى ١٢ أكتوبر ١٨٨٤م

على الغلاف من الخلف

يوميات الجنرال غردون

من ١ أكتوبر إلى ١٢ أكتوبر ١٨٨٤م

يحتاج إلى تهذيب إذا نشرت

س.ج. غردون

١٨٨٤/١/١م

في الصفحة الداخلية

يوميات الجنرال غردون، المجلد ١١١

من ١ أكتوبر إلى ١٢ أكتوبر ١٨٨٤م

يجب تهذيبها إذا نشرت

س.ج. غردون

١٢ أكتوبر

غادرت الباخرة التوفيقية اليوم إلى المتمة وبها البريد، قررت تقريباً إخلاء الحلفاية و ترحيل الشايقية منها إلى القبة[١]. استخرجت لغماً بالأمس كانت أسفل دمية في الناحية الشمالية و وجدت أنّ الألغام لم تكن مميتة لأنها دفنت عميقاً جداً، وقوتها تتبدد جانبياً ولكي يصاب المرء يجب عليه يكون فوقها. بالطبع سيتم معالجة هذا الأمر في الحروب النظامية. إذا كان عليّ وضعها مرة أخرى فسأضعها فوق سطح الأرض وأخفي الفيوزات أو فتيل الاستقبال مجازفاً بأن تتم رؤيتها. عندما يهاجم الرجال مكاناً لايسيرون بحذر وكأنهم يقطعون طريقاً. أمرت بتركيز المدافع في جزء من خطوط القتال مقابل الأماكن التي يقصفنا منها العدو، وأن لا يرد علي العرب عند إطلاقهم النيران مرتين أو ثلاث، وبعدها أطلق القذائف دفعة واحدة. ماذا عن صلوات هؤلاء الناس وأكلهم ونومهم يضجرون المرء. لا أعرف رجالاً في العالم يستطيعون استغلال الإدعاءات أفضل منهم - الإدعاء يكون (أنا مريض) وبالرغم من إنك تعلم أنه مرض الكسل - لا تستطيع قول شيء - إذا أبديت شكا فانت عموما غليظ القلب.

عندما تسأل جنديا هاربا (لماذا تأتي إلى هنا؟) يجيبك لأنّ العرب لا يعطونا شيئا، ومعك أستطيع أن أحصل على هذا أو ذاك. إنها فقط مسألة ما الذي يستطيع الحصول عليه المعدة تحكم العالم. أمرتُ الباخرة بوردين بالتسلل عند بزوغ الفجر و تهاجم معدية العرب في الكلاكله. ذهبت إلى القبة و

أخترت الأماكن لقبيلة الشايقية. إذا اخلينا الحلفايه علينا التخلي عن ثلاثة حصون خارجية وحصن في الوسط (منزل السيد محمد عثمان) .

من الخطورة المرور عبر ساحة القصر بالنسبة للديك الرومي (مع أن لديه خمس حريم) قتل اثنين من فراخه بالأمس. لا أعرف إنْ كنت قد لاحظت أنّه عندما لا يكون غاضباً أو بكامل زينته فإنّ الشحمات حول رقبته تكون رماديه، ولكن لا يحتاج إلى نصف دقيقة لجعلها قرمزيه وأكثر تألقاً. أعتقد أنّ الديك الرومي يستحق الدراسة يتميز وحده بالريش في المقدمة. لا أعرف طائراً آخر لديه مثل ذلك. سامدد له الكف خلافاً لغيره من الطيور لينقرها.

قررت إحضار هؤلاء الشايقية إلى القبة وقد بعثت بمراكب لهم. أقر بجدية لو لم يكن إكراماً لأمتنا لكنت أَهملت هؤلاء الناس. إنّ شخصيتهم ضعيفة جداً والعرب أفضل منهم بعشرات المرات. هناك الكثير من الأسباب لمساعدتهم نسبة لضعفهم. أعتقد أن المسيح جاء لخلاصنا لأننا مخلوقات ضعيفة. لا يعرف الشايقية العار. إنها شيمة لا يعرفونها يالها من حياة يعيشها المرء. أنحني لو كنت قائدا للعرب (أتحدث تهذيب) أري أنه عار كبير عدم إرسال الزبير، فهو يعرف كيف يتعامل مع هؤلاء الناس الذين هم مصدر قلق دائم لي منذ فبراير وحتي الآن وأتوقع إنهم اقلقوا العرب بنفس الدرجة.

قررت اسكان الشايقية في الحصن الشمالي وأنْ لايبقوا في القبة. جاء عبد من الكرو ولم يكن معه أخبار. لم يطلق العرب نيراناً اليوم على خطوط القتال. لذا لم تنجح خطة تركيز المدفعية لإطلاق النار عليهم. جاءت امرأة من ود النجومي ومعها خطاب. كان من المفترض أنْ تغادر الباخرة التوفيقية هذا الصباح - ولكن في وقت متأخر من الليلة الماضية ذهبت إلى مكتب

التلغراف وسألت عن جاهزية الباخرة للمغادرة. أجاب الرّبان بأنّ ليس لديه حطبا – وهكذا لن تغادر اليوم. أرغب بشكل خاص في أنْ أتحقق من عدد الإتصالات التي أُرسلت لي من القاهرة أو أي مكان أخر في مصر بين الثاني عشر من شهر مارس، عندما تم قطع خط التلغراف و التاريخ الحالي[٢]. أتمنى أنْ يحصل ستيورات على هذه المعلومات وأنْ لا يخدع حولها، كما أود أيضاً الحصول على محتوى هذه الاتصالات.

أرسل أبو قرجة خطاباً مع امرأة عملت جاسوسة من قبل. هو يتوسل إليّ أنْ أصبح مسلما و .. الخ. تقول المرأة: بإن المهدي سيحضر الى أمدرمان الليلة وتقول.بمجرد وصوله سوف أطالب الإستسلام. يقول المهدي: بأنه سيكتب ثلاثة خطابات إليَّ وبعد ذلك ينتظر خمسة أَيام ومن ثم سيتقدم عبر النهر الذي سينفلق له. أتوقع هجوم المهدي في ٢١ أكتوبر وهو أول أيام السنة الهجرية ١٣٠٢. أتوقع هذا بالنظر إلى التاريخ الذي سيصل فيه والخطابات التي ستكتب وإنقضاء أيام السماح الخمسة والأخذ في الاعتبار ما يقصده بانفلاق النهر.

نسمع بأن العرب محتارين لعدم ردنا على نيرانهم في ذلك اليوم الذي تم فيه قصفنا. عدم الرد من جانبي كان لتوفير الذخيرة. سأل العرب النظاميين الذين معهم (لماذا لا يرد؟) وقالو: بأنهم متأكدين من أنّ النظاميين على إتصال معنا. نحن الآن نتمعن في مزايا ومساوئ عدم الرد على نيران مدفعية العرب، والتي لا تحدث ضررا لنا و تستهلك ذخيرتهم. بعدم ردنا نحن لا نفقد تعاطف النظاميين، بينما إذا فعلنا نغضب النظاميين ونجعلهم يائسين. لنا مثال لذلك في بري حيث كان النظاميون يميلون إلينا و جاؤا بأعداد

كبيرة. ولكن بعد أنْ قتلنا الكثير منهم امتنعوا عن المجيء وصاروا يقاتلون بضراوة. تقول المرأة: ليس لدى العرب قوة مقاتلة سوي النظاميين المقبوض عليهم ومعظمهم سود.

مؤامرة أخري؟ اكتشف رجل في المدينة وهو يستلم من أحد الكتبة في مكتب حكومي مذكرة مكتوبة بلغة غامضة ومعها ٣٤ جنيهاً يفترض أنها هدية للمهدي من شيخ الإسلام (الرجل الأعمى) مجهودات مستحيلة وغير عادية. أَعتقد أنّ كل الناس هنا احتفظوا بخط رجعة لأنفسهم. سأقوم اليوم بتنفيذ نوع من الاعتقالات العامة (تشبة تلك التي قام بها نابليون الثالث في ليلة الأول من شهر ديسمبر) تشمل الذين يفترض أنهم على اتصال مع المهدي. لن أؤذيهم بل سأرسلهم للمهدي. سؤال: (هل اعتقل نابليون أعداءه في ليلة الأول والثاني من ديسمبر أم في ليلة الثاني و الثالث من ديسمبر)؟أعتقد أنها كانت ليلة الأول والثاني من ديسمبر و أنّ ما يسمى بالمذبحة حدثت في اليوم الثاني من ديسمبر (بموجب كنجليك في كتابه الإنقلاب).لن أرسل شيخ الإسلام بالرغم من أنه جالب للعار. طلبت من خادمي محمد إدريس (بأن يصبح مسيحيا) قال: (إنه لا يستطيع)عندها قلت: (لماذا تطلب مني أنْ أصبح مسلماً في حين أنّ شيخ الإسلام مستعد للاعتراف بمحمد أحمد كمهدي) الساعة ٥ مساء تمت الاعتقالات. سيحتجز شيخ الإسلام والقاضي وأعيان في منازلهم - إنقضاض جيد. المجموع ستة عشر بينهم المدير أحمد بك شلبي. عينت موسى بك مديراً. هنالك ذعر حول الأمر. لم أرسل أحداً إلى المهدي. كل صبيان الفرقة الموسيقية مسلحون وشرسون جداً. إنّه خطأً كبير أنْ تَجِئ إلى هنا وتعتقد بأنك ستجد جنوداً على عتبة الموت. إنهم مغرورون بقدر المستطاع،إنهم يتبخترون وكأن لا مثيل لهم. السود عنصر عنيد و إذا

أخلص المرء لهم سيخلصون له. أخيراً غادرت التوفيقية إلى المتمة. أتخذ فأرة مكان ستيورات على المائدة مكانا له. وهي (بحكم مظهره المنتفخ)تجي وتأكل من طبقي بلا خوف. أصبح الديك الرومي مزعجاً، فكان عليّ وضع رأسه تحت جناحه مأرجحاً مآدبها إياه و تحريكه حتى ينام.ظن الحارس أنه مات. ولكنه قام وفوراً اندفع نحوي ينجح وضع الرأس تحت الجناح مع كل الطيور. ولكن الديك وحده هو الذي ينام مغنطيسيا عند رسم خط الطباشير أمام منقاره. كيف تعلل هذا؟.

أعتقُد أن التجنيد الجيد للسود والصينين مع مزجهم بسدس من الإنجليز سيعطي إنجلترا كل القوات التي تريدها للحملات الحربية. أمّا هؤلاء الهنود البائسون فلا فائدة منهم. يحتقر الصينيون بشدة في شنغهاي؛الجنود القادمين من بومباي ،واعتادوا على ضربهم بعنف لو أقمت حامية في الهند من الصينين والسود مع سدس من الإنجليز. لما استطاع أي جيش الوقوف ضدنا. أنا أحتقر أشد الاحتقار الجنود الهنود الذين دربهم الإنجليز من قبل. إنّ الصينين أَو السود أَو الجوراك أَو البلوت أفضل بكثير. يقوم (الجندي الهندي الذي دربه الإنجليزمن قبل) لحظة خروجه من الطابور بنزع البدلة النظامية التي تربطه بحكومة جلالتها ويلف نفسه بمنشفة. إني أكره هذه المخلوقات التي تشبة الحيات. كل رجل معتاد على الحكم بالنظر إلى الوجوه سيجد إنهم يكرهوننا.

إنني أساند مَسلمى الهند ضد جموع هذه الحيات. الهند ليست مميزة بالنسبة لي. إنها وقود رجالنا على نمط من الحياة لا يستطيعون مجاراته في إنجلترا – إنها تحط من قدر نسائنا كل ما نريده هو الاحتفاظ بساحل البحر. إن الهند

هي مركز كل المكائد الحقيرة، بينما إذا كرسنا طاقتنا ناحية أخرى سننتج عشرة أضعاف. إن الهند تحرك كل سياساتنا في إتجاه مضر لنا. أجاب لورد كاردويبا (عندما سألته عن الفائدة التي نجنيها من الهند) (إننا لا نستطيع الخروج منها) وافترض إنّ هذه هي الإجابة التي يجب أَنْ تقدم.

١٣ أكتوبر

قبضت غارة قام بها الفرسان صباح اليوم من بري على ١٥ مجند وقاوم ١٣ تم قتلهم. كانت الغارة بقيادة سنجك الشايقية عبد الحميد و لم نفقد أحداً. نشر العرب في ناحية أم درمان خيامهم في شكل نصف دائري (ولكن علي مسافة بعيده) حول أم درمان علي الضفة الغربية. سيكون الشايقية في الحصن الشمالي اليوم. أطلق العرب في الجهة الجنوبية بالقرب من النيل الأبيض نيران بنادقهم على خطوط القتال، ولكن لم يحدث ضرراً. قبض فرسان الشايقية في الليلة الماضية على ثلاثة رجال ومعهم أسلحتهم كانوا يريدون الذهاب إلى الشيخ العبيد. جعلتهم يذهبون مرة أخري.

لا أخبار مؤكدة بعد من وصول المهدي إلى أم درمان. سيغضب المهدي من غارات الفرسان، فهي أخبار سيئة له عند وصوله. جاء رجل من العرب إلى أم درمان معه خطابين. إنه وقت متأخر لرؤيتهما. سمعت بواسطة التلغراف أنّ الرجل أحضر خطابين إلى القائد بأم درمان من الفكي مصطفى ويقول: بأن المهدي سيأتي بعد غد و دعاه إلى الاستسلام. أخبرتهم بإرجاع الرجل.

نحن قوم رائعون. لم تكن حكومتنا هي من جعلت منا أمة عظيمة. حكومتنا دائما المبطئة لتقدمنا. بالطبع من الممكن الاستيلاء على الخرطوم على مرأى من قوات الحملة، وسيكون هذا متاخراً جدًا[٣]. ربما تفكر الحملة في ضرورة إعادة الاستيلاء عليها، ولكن هذا لن يكون مفيداً وسيسبب خسارة في الأرواح في الجانبين. من الأفضل للحملة الرجوع ذليلة وبهدوء، لأنه إذا

تم الاستيلاء على الخرطوم فلا يعني كثيرًا قول المعارضة: « لقد تخليت عن الخرطوم» أو « لقد تخليت عن الخرطوم و سنار ... الخ». ستكون الشمس قد غربت ولن يأبه الناس كثيراً للأقمار . إنجلترا صنعها المغامرون وليس حكومتها وأعتقُد أنها ستتمسك بمكانها بواسطة المغامرين . إذا سقطت الخرطوم فعليك الرجوع بهدوء إلى القاهرة حتى لا تفقد رجالا وتصرف أموالًا بلا فائدة . باستمرارك في الحملة[٤].

كنت ملزماً بإجراء المزيد من الاعتقالات. ذكرت رواية أنَّ العديد من الأهالي و الزعماء في شندي جاءوا إلى البواخر الثلاثة الموجودة الآن في المتمة، وأنّ البواخر كانت تطلق النيران على عرب المتمة. ذكرت الرواية أن الحرس المتقدم للحملة في أبو حمد و الباقي في مروي، وأنّ بعض الإنجليز قادمون من كسلا مع االسيد محمد عثمان إلى قوز رجب، وأن عرب الشكرية يفكرون في الإغارة على قبائل السبلوقة الموالية للحكومة. رقيت فرج الله والذي إعتاد أنْ يكون في القصر إلى رتبة أمرالاي.[٥]

يقول الفكي مصطفي في خطابه: أنّ الإنجليز سجناء في أسوان وأن العرب استولو على الباخرة عباس واستيورات في دار قمر أسفل أبو حمد. هذا الأمر قابض للصدر! إنَّ العرب يمكثون بعيدًا عن خطوط القتال منذ غارات الفرسان. لا علامة لوصول المهدي إلى أم درمان. يشاهد القليل من الخيالة عند الجهة الجنوبية. سؤال: هل ذهبوا في اتجاه بربر؟ سيتم وضع الاثني عشر شخصاً الذين اعتقلوا وسمح لهم بالبقاء في منازلهم في الثكنات. إنني أكره هذه الاعتقالات، ولكن لا يشك المرء في المخبرين والذين يعلنون أنَّ هنالك خيانة تدبر – ليس رغبة في الانضمام إلى المهدي، ولكن من الخوف بأني لست قوياً جداً و لاأستطيع الحفاظ على المدينة، وبسبب تصريح عون بأنه

قد كتب تلك الخطابات والتي استلمتها من الدبة معلنة قدوم قوات الحملة. الناحية الشمالية تشبه السوق بالجمال والخيول والماعز وحمير الشايقية الذين جاءوا من الحلفاية.

أعترفُ بأني محتار حول هذه الاعتقالات أكثر مما يجب - هل هو أمر جيد أم لا؟ سآخذ قراراً فوراً حول ماذا سأفعل إن كنت واثقاً من أنّ الأَغلبية ترغب في الذهاب إلى المهدي. سيكون مريحاً لي، ولكن هل الجماهير ترغب في ذلك؟ ومن ثم يأتي السؤال. هل بهذه الاعتقالات لم أكن أداة لعناصر الأتراك والقاهرة؟ قال بولي» لقد تعلمت أنْ أكون قنوعا (كما في المدرسة) .بما فعلت في كل حالة «يمكنني فقط لأقول(:إنني أتعلمُ ولكنني لم أتعلمْ) لا علامة لوصول المهدي في معسكر الفكي مصطفى. عواصف هوجاء وأمطار غزيرة هذا المساء وسيعدها المؤمنون.بمحمد أحمد برهانًا على ادعاءاته السماوية[٦]. هي بالأحرى سيئة لألغامنا.

١٥ أكتوبر

لا مجيء لجواسيس. كل شيء هادئ. بدأ البعض في الشك عما إذا كان المهدي قريباً بهذه الدرجة. يقول البعض: بأن لدي أخبار حول حملة الإنقاذ وإلاّ لما كنت اعتقلت المدير والقاضي وشيخ الإسلام ... الخ. كان هناك خسوف كلي للقمر في ٤ أكتوبر، وأرى أنّ هنالك كسوف جزئي للشمس في ١٨–١٩ أكتوبر. تبريري للاعتقالات هو هكذا. إذا أراد الناس الذهاب إلى المهدي فلا خلاف سوى الإسراع بالأمر، وإذا لم يريدوا فلن يكون هنالك خلاف. إذا أرادت أقلية الذهاب وأحبطت الاعتقالات خططهم إلى حيث أرى أنَّ هؤلاء الناس يحتاجون فقط لأنْ يستعدوا لكل الاحتمالات. وافق محمد باشا حسن على هذه الخطوة. وهو مقياس للخوف، هكذا أسمعُ بطريقة غير مباشرة. بالطبع كل شخص سيوافق إذا سألته أنا. خوفاً من الاعتقال.

عليّ بتنفيذ ثلاثة اعتقالات أخري.حالما يبدأ المرء هذه الحالة الكريهة لا يستطيع أبداً أن يتوقف. بقدر ما أخفت فأن عدداً كبيراً من الناس يوافقون على الاعتقالات. أنا أؤيد مبدأ « بعد القهر لا مجال للتردد» سيثير ويلفرد بلنت ضجة حول هذا الأمر. من الغريب جداً ألاّ يجيءُ أحداً من خلال يومين. أنا مسرور لأني وجدت أحد المعتقلين بريئاً فاطلقت سراحه. اعتقل جيرميا الملك زيتوليا صيرميا مرة أخري وأطلق سراحه. أتعجب كيف يمكن

لرجل التمتع بسلطة مستبدة! . لن يكون أبداً مرتاحاً أو سعيداً إذا كان لديه ضمير.

الساعة ٢ مساء – ظهرت ست رايات في معسكر الفكي مصطفى. هنالك إشاعة متداولة بالمدينة بأن المهدي في جزيرته أبا. ١٦٠ ميلا أعلي النيل الأبيض. سيحضر ختان ابنه (ياله من صبي صغير مسكين).أتمنى أنْ يكون هذا صحيحاً لأنه سيوفر لنا عشرة أيام من الراحة. قد يرى أيضاً حلما آخر هنالك يخبره بعدم المجيءَ إلى الخرطوم. أو قد يقنع أتباعه برؤية حلم بنفس المعنى– يالها من راحة. قد يتخذ المهدي لجيشه من كردفان إلى الجزيرة أبا (حيث تلقي الوحي لأول مرة بأنه المهدي) عذراً إذا رأى أنّ الأمور لا تشير كما يريد.

الساعة ٣ مساء – ارتفع عدد الرايات في معسكر الفكي مصطفى إلى عشر. أكملنا تركيز قواتنا وعادت البواخر من رحلتها الأخيرة إلى الحلفاية. الآن يمكن أنْ يقال: بأننا على أهبة الاستعداد للقتال – نحن باتجاه مهب الريح بقدر الإمكان قبل الإقلاع. أتمنى اكتمال الباخرة الجديدة الصغيرة الحديدية غداً.

الساعة ٦:٣٠ – رجال على ظهور الخيول ذهاباً وإياباً في معسكر الفكي مصطفى – جاء رجلان ومعهم خطاب من سلاطين. استلمت الخطاب و أرجعتُ الرجلين فوراً. تقول إنجلترا(:يجب أنْ تتذكر بأنك عندما التحقت بخدمتي . إاشتريتك بجسدك ومنحتك أولا ٥ شلن و ٣ بنس في اليوم عندما لم يكن هنالك من يمنحك شلناً واحداً – كما منحتك ريشاً جميلا و الإذن بالدخول إلى الأماكن، لقد ارتقيت الآن إلى راتب أعلى، ولكن

بنفس الشروط (حياتك كلها وبذلك) لا يمكنك القول: بإنك أديت أكثر من واجبك- إذا لم تفعل تكون قد نكثت بكلمتك، وإذا فعلت فقد نفذت العقد وليس لك مطالبة عندي)

الرجلان اللذان أحضرا خطاب سلاطين كان أحدهما عربي و الآخر عبد. سؤالي الأخير (على حده) فقال: إنّ الشايقية تقول إن المهدي سيحضر إلى أم درمان خلال يومين وأنه لم يشاهد و أنَّ الجنود النظاميين عادوا إلى كردفان، وأن الفكي مصطفى أخبره (العبد) بإخافة الخرطوميين . أتمنى أن يتبين إنّ المهدي كاذب.

ذهبت الباخرتان بوردين والإسماعيلية إلى كرري اليوم و لم تشاهدا العرب في الضفة الغربية للنيل. غريب هذا الهدوء بين قوات الشيخ العبيد. هم هزمونا مرتين والحقوا بنا خسائر فادحة، بينما هزمناهم في أوقات أخرى ولكن في معارك صغيرة.

بدأتُ اتغلب على إنزعاجي بخصوص الاعتقالات. أعتقد مما أَسمعه بأنّ الجمهور راضٍ، ولكن حقيقة كان إجراء صعب اعتقال شيخ الإسلام والقاضي و المُدير وسته عشر آخرين وعدم طرد الاثنين السابقين من الخدمة.

كثير من الناس يضغطون مطالبين بتدابير أشد، ولكن الباشكاتب الجديد قال: (إننا نترك الأمر لك لتفعل أو لا تفعل) وهذا الأمر بالغ الوضوح إذ أنني برئ مما يجري أو من هو الخائن ومن هو غير الخائن - إذا كانت هنالك حكومة لا تهتم فهي هذه التي في الخرطوم. أنا أقر بأنه أحياناً أصدر قراراً وليس لدي أدنى فكرة حول هذا الأمر. ومع ذلك هذه حالات استثنائية. كانت لي ستة أخطاء سيئة وليس أكثر خلال عشر سنوات - ولكن استطعت معالجتها مع

تضاؤل في الهيبة. يقول العميد سلاطين: (ليس مع الفكي مصطفى. يالهم من كذابين هؤلاء الجواسيس)!

إذا عرفت خلال يومين أن الأخبار بأن المهدي لايزال في كردفان صحيحة، سأطلق سراح السجناء السياسين (مما سيصيب سكان المدينة بصدمة)،ولكنه سيكون مبعث سرور و بهجة لي لأنه كان حملا بغيضاً بالنسبة لي. أحبُّ حرية الإرادة (تركنا الرب بإرادتنا الحرة ويجب أن نعود بإرادتنا الحرة)أكره الخضوع القسري وأشعر باطمئنان بأنّ إخراج هؤلاء الناس، مع حرية في الإرادة ليذهبوا للعرب أولاً، سيكون سياسة جيدة. يجب القول: بأني أشعر بثناء عظيم عندما يقول لي مستشاري: (أفعل ما تري إنّه صحيح بغض النظر عن تضيحتنا) وهم يعلمون بأني جاهل بكل ما يجري. جاهل باللغة العربية ما عدا في أسلوبي، و جاهل بعادات العرب ... الخ .(ستفعل أفضل مما نفعل) هذا ما يقولونه، وأنا الشيطان المسكين لا أعرف إلى أين أتجه– اهـ – حكومتنا! ماذا لديها كي لا تجيب؟ ليس لي ولكن لهؤلاء الناس المساكين. أعلنُ أني إذا رأيت أنَّ المدينة تريد المهدي – سأسلمها – بهذا القدر أحترم حرية الإرادة.

١٦ أكتوبر

وصلت خطابات سلاطين[٧]. ليس لدي ملاحظات حولها ولا أفهم لماذا كتبها. أمطار غزيرة الليلة الماضية. أتوقع أنّها تضع حداً لحيوية ألغامنا، والآن ليس لدينا المزيد من الكبريت لتجديدها. لا جواسيس. لا عرب يشاهدون خارج معسكراتهم. من المؤكد أن المهدي لم يصل أم درمان. طلب مني القنصل النمساوى أن أسمح له بالكتابة إلى سلاطين وأن أسمح له بمقابلته (سلاطين) عند خطوط القتال. وافقت على ذلك كان خطاب سلاطين إلى هنانسل[٨] مختلف جداً في أسلوبه عن ذلك الخطاب الذي كتبه لي. يالها من أكاذيب مدهشة تلك التي قالها: هؤلاء الجواسيس عن المهدي ومجموعة معاونيه غير المتجانسين ومع أنهم بالقرب من هنا.

الظهر. جاء جاسوسان أحدهما من الشيخ العبيد و الآخر من كردفان. يقول الأخير: أن المهدي ليس قادماً للخرطوم وقد تم استدعاؤه إلى كردفان نسبة لتقدم الحملة وسحب كل النظامين الذين قبض عليهم هنا وهنالك في جوارنا إلى كردفان، وأن الكثيرين من العرب الذين أجبرهم على القدوم معه قد هجروه. يشعر المرء بعدم الميل للكتابة عن هذه التواريخ، والتي يتم نفيها بعد ذلك خلال أيام قليلة. العرب بالتأكيد هادئون جداً ولا يشاهد المرء الكثير منهم. أتمنى أن أستطيع إطلاق سراح المسجونين في راس السنة الجديدة للعرب عام ١٣٠٢ والذي يوافق ٢١ أكتوبر. سأجعل فرج باشا. يتولى أمر الاحتفالات بهذا اليوم، فأنا لا أطيق هذه الاحتفالات. جاءت

امرأة من الديم جنوب خطوط القتال وقالت: إن هنالك ذُعراً سببه إن هناك شائعة بأن القوات استولت على القضارف– ذهب نصف العرب جنوباً وبعد ذلك رجعوا بعد أن تم نفي الشائعة.

يحتوي خطاب سلاطين إلى القنصل الملحوظة (إذا جاء إليّ يجب أنْ أعد بأن لا أُسلم المدينة أبداً لأنه سيعاني حينذاك تعذيباً رهيباً وموتاً)من الواضح أّنه ليس إسبارتبا. ويقول أيضاً: (إنه غيّر دينه لأنه لم يجد إهتماماً كثيرا تجاه اعتقاده الديني عندما كان صغيراً) إذا هرب سآخذه معي إلى الكنغو – إنه يحتاج إلى عزل صحي –يشعر المرء بالأسي تجاهه. يقول سلاطين: باكٍ هنالك إشاعة بأن مركباً لحملة ستيوارت استولي عليها العرب عند شلال دار قمر أسفل أبو حمد ولكنه يشك في ذلك كان هذا في خطابه إلى القنصل.

لم يحتل العرب الحلفاية. يقدم الشايقية بهدم القبة وقرية خوجلي التي تقع قبالة القصر . قرية أم درمان سويت بالأرض. تم اكتمال العمل في السفينة الصغيرة الحديثة، وتم تسليمها وستدشن صباح السبت (رحلتها الأولى) وضع تمثال صغير لأسد في مقدمة الباخرة.

تخيل أن موظفو مكتب البريد (من بين كل الناس) يطالبون بزيادة مرتباتهم وهم لم يمارسوا أي عمل خلال سبعة أشهر (غير قادرين علي فعل اي شيء) ليس لهؤلاء الناس ضمير. شوهد عدد قليل من العرب اليوم عند الجبهة الجنوبية، قلة منهم ذاهبون إلى الجريف، يبدو أنّ ليس هنالك أعداد منهم في معسكر الفكي مصطفى، رغم صفوف قطاطي القش الكثيرة التي أقيمت ترقبا لوصول المهدي. تقول الشائعة: بأن العرب في كردفان يقولون: بأن المهدي مجرد كلام فارغ وأنه تتم سرقتهم أكثر من أي وقت مضى عندما كانوا خاضعين للحكومة.

تقول رواية أنّ المهدي أرسل إلى الشيخ العبيد (الرجل وليس المدينة)يطالبه بالحضور إلى الأبيض (المدينة وليس الرجل) وتكريس نفسه لخدمة الله كدرويش. لا يرى الشيخ العبيد ذلك (الرجل وليس المدينة)[٩]. لأنه ثري جداً (أعرف أنّ هذه الأسماء تمثل خلطاً رهيباً ولكن لم أطلقْ هذه الأَسماء) سيكون من الأَفضل إعدام هذا الرجل بالنسبة لهؤلاء المتحيزين و تنتهي المشكلة لا يمكننا إعدام المدينة.

١٧ أكتوبر

قليلة هي طوابير العرضة - حوالي ٤٠٠ في ديم مصطفى وليس أكثر من ١٠٠ في الجهة الغربية. هنا منافس للمستر جلادستون في ياقات قميص هو محمد بك إبراهيم الذي ظهر اليوم ببدلة ممزقة الي حد ما وياقات تمتد حتي أذنيه (رسمه ص ٢٠٢) سأقوم بإرسال الباخرتين بوردين والحسينية إلى أعلي النيل الأبيض و الخيالة إلى الجريف والحلفاية للاستطلاع.

لن تكون لي علاقة بمجيء سلاطين للإقامة هنا، إلاّ إذا حصل على إذن صريح من المهدي وليس من المحتمل أَنْ يحصل عليه. مجيئه سيكون انتهاكاً لوعد الشرف الذي أعطي للمهدي والذي يجب أن يكون مقدساً مثل أي وعد شرف يعطى لسلطة أخري.

كما أنه يُعرض السجناء الأوروبين لدى المهدي للخطر وفقاً لكل الروايات فإن شلال دار قمر والذي يقع أسفل أبو حمد، صغير جداً. لذا أنا آمل بأنْ تكون إشاعة زائفة تلك التي تتحدث عن فقدنا للمركب. جاء عبد من الفكي مصطفى يقول :بأن المهدي في جور حضرة وأن أنصاره يعانون من المرض والكثيرون عادوا إلى كردفان (رجع كل النظاميين) لديهم القليل من الحبوب و الناس ساخطون. أحضر هذا الرجل بندقية معه. اليوم ينقضي ٢١٩ يوماً على حصارنا. سمح لأربعة من الرجال الرئيسيين بالبقاء في منازلهم كسجناء، أحدهم سمح لرجل بالمجيء إليه ورشوة الحارس بدولارين - أقتيد هذا الرجل فوراً إلى السجن. سمح شيخ الإسلام لامرأتين بالمجئ إليه

- لكنه أنذر فقط قبضنا اليوم على رجل كان ذاهباً إلى المهدي ويرتدي زي الدراويش تحت ملابسه العادية. أشعر بثقة بأن لو كان الزبير هنا لقطع رؤوسنا. إنني أرضي نفسي بتهديدات مخيفة يعرفون أنها جوفاء.

١٨ أكتوبر

ذهب الفرسان إلى الجريف وقبضوا على خمس من الإماء و قتلوا ثلاثة من العرب قاوموا بالقبض عليهم. لست راضياً عن قتل هؤلاء الرجال – ولكنها الحرب. لم نفقد أحداً لم يكن لدى الإماء ما يقلنه سوى أنّ للعرب مدفعين في الجريف.

ذهبت الباخرتان بوردين و الحسينية إلى أعلي النيل الأبيض، و لم تشاهدا عرباً عند الذهاب، ولكن عند عودتهم أطلق عليهم العرب النيران من مدفعين فقتلوا رجلاً وجرحوا آخر. لقد حذرت طاقم البواخر بوضوح بأن يظلوا في وسط النهر وألاّ يقتربوا من الشواطئ كانت الإصابات من البنادق. أطلق العرب خمس عشرة قذيفة مدفع و الحسينية عشر قذائف وبوردين عشر. منعت تلك البواخر من الذهاب إلى أعالي النيل الأبيض في المستقبل، لا شك بأن الضابط مسؤول عن موت هذا الرجل لأني أصدرت الأوامر بأنهم حتي لو شاهدوا ماشية أو مراكب أن لا يغريهم هذا بالذهاب إلى الشاطئ للإستيلاء عليها. لا اؤمن أبداً بمواجهة السفن للمدافع الأرضية إلاّ إذا نزلت القوات أرضاً لأنه إذا لم تكن الباخرة قريبة في محاذاة المدافع فإن المدافع ستصمد.

١٩ أكتوبر

بالرغم من أوامري بعدم مغادرة خطوط القتال إلاّ أنّ لبري احتياجات جعلتها ترسل رجالاً إلى الخارج، وكانت النتيجة جرح بمباشي وستة من الرجال. ومع ذلك أعتقدُ أني نجحت في إيقاف هذه الجولات. ذهب الفرسان من الجبهة الشمالية إلى الحلفاية و لم يشاهدوا أحداً ولكنهم أمسكوا بقرة.

بالنسبة للقوات البيضاء (الفلاحون) على ظهر البواخر الأربع في المتمة الآن أرجوا أنْ تتذكر أني أقدمهم هدية جميلة لكم (ضباط وجنود) وأطلب إذا استخدمتم البواخر أنْ تنزلوا هؤلاء الرجال و تلحقوهم بقواتكم، فنحن لا نرغب أبداً في مشاهدتهم مرة أخري (وأن نقوم بإطعامهم). ستقومون بتنفيذ سياسة الإخلاء!! إذا استخدمتهم البواخر الرجاء إرجاعها خالية من هؤلاء الجنود الفلاحين، ولكن أرسلوا بنادقهم. ستكون لديكم قريباً فرقة ممتازة؟ كل شيء جاهز لدي للتخلص من أنقاض القاهرة (باشبوزق... الخ)، بمجرد أنْ أسمع أنكم في بربر حقاً. لن أنتظر الإذن منكم لأنّ لدي ما يكفي من الأنقاض هنا وتستطيعون إطعامهم أفضل مني ،وفق ذلك سيكونون خارج سلطتي وتحت سلطتكم، أرجوا أنْ يكون مفهوماً بأنَّ كل جندي مصري تجدونه سيكون منتمياً ولن ترجعوه إليّ. أنا أهديهم بكل نبل لكم، وبالإضافة إلى ذلك سيكون لكم المجد بأن معكم ممثلين أحياء ولجهود حملتكم الإنقاذية. أنا أعترض وأحتج على إرجاعهم إلى الخرطوم (عندما يأتي جنود مصريون إلى خطوطكم) أما بالنسبة لرواتبهم ... الخ. فأنا بقدر

ما أستطيع أن آمر به سيكون واضحاً ما يدينون به. لقد أصدرت، كما يعلم ستيوارت، ما يكفي من الأوامر بخصوص هذا الموضوع. لا أريد أنْ ارآهم مرة أخرى. أتوسل إليكم أن تنظروا في هذا الأمر![١٠]

جاءت اليوم الباخرة تل عوين من شندي وذكر أن السيد محمد عثمان جاء إلى قوز رجب مع القوات الإنجليزية. القوات الإنجليزية قادمة من الدبة عبر النيل وقد اجتازت أبوحمد. استولى العرب على مركبين من حملة سيتوارت بواسطة الباخرة المقبوض عليها الفاشر أعلي أبو حمد وقد شاهدتها. بواخرنا جاهزة للعمل وبموجب يومياتي لدي شعور بأنه كان على البواخر عند مشاهدتها لباخرة العرب الفاشر، الوقوف ومحاولة منع المطاردة. لدى العرب مدفع في شندي أحضروه من بربر. تبعد القوات الإنجليزية مسافة يومين فقط من بربر. في البواخر خمسة وعشرين جريحاً، كما أنهم جمعوا أحد عشر سجيناً وأستولوا على أربعة مراكب قتل أحد رجالنا. لم تفقد الحسينية أحداً. سأرسل بعد غد الباخرتين بوردين وتل عوين إلى شندي مع أمر بترك باخرة في شندي. وتذهبا مع الأربع بواخر الأخرى إلى بربر وتبقيا في الجوار. ستبقى المنصورة في شندي أما تل عوين وبوردين والصافية و التوفيقية فليذهبن إلى بربر. سأبقي الإسماعيلية والحسينية هنا.

بيان بالقوات والسلاح والذخيرة و الحبوب ..الخ في الخرطوم بتاريخ ١٩ أكتوبر ١٨٨٤

عدد القوات السود النظاميون	٢٣١٦
أ/ البيض	١٤٢١
ب/ باشبوزق القاهرة	١٩٠٦

الشايقية	٢٣٣٠
المجندون من سكان المدينة	٦٩٢
المجموع	٨٦٦٥

سيرسل أويس إلى بربر بمجرد أنْ يكون ممكناً إيجاد النقل وحال وصولك إلى بربر

عدد المدافع عند الخطوط .	١٢
البواخر	١١
ذخيرة المدافع	٢٦١٤١
أسلحة رمنجتون صغيرة	
٢١٦٥٠٠٠	
إنتاج الترسانة إسبوعياً	٤٠٠٠٠
كميات الحبوب والبسكويت في المخزن:	
حبوب	٤٠١٨ اردب
بسكويت	٣٤٩٠٠٠ أقة
استهلاك القوات إسبوعياً	٥٠٠ اردب
عدد البواخر	٧
مراكب خاصة للحكومية	
٥٨	٥٣
الأموال نقداً	٢٩٠٠ جنيه
عملة ورقية	٣٩١٩٥

٢٠ أكتوبر

هنا ملخص للتقارير التي أحضرتها الباخرة تل عوين والتي غادرت شندي قبل أربعة أيام. ذهبت الباخرة عباس إلى حجر حمر مع مركبين طاردتها الباخرة الفاشر واستولت على المركبين وبها ١٢ يوناني. استدارت الباخرة عباس وأطلقت قذيفة مدفع على الباخرة الفاشر التي انسحبت. واصلت الباخرة عباس طريقها و لم تشاهد بعد ذلك. يفترض أنّ العرب هاجموها أسفل أبو حمد وصدت الهجوم وقتلت ٧٢ من العرب. لم يؤذٍ العرب اليونانين الذين قبضوا في المركبين. عندما وصلت الباخرة عباس الدبة تقدمت القوات نحو بربر. ثلاث مجوعات تتحرك نحو بربر. ومجموعة عبر صحراء كورسيكو (وضع العرب ١٥٠٠ رجل ومدفع في أبو حمد) المجموعة الثانية من مروي إلى بربر عبر الصحراء (تقيم حصون علي مسافات) والثالثة مع السيد محمد عثمان أسفل وادي عطبرة نحو الدامر (هذا المكان ملتقي العطبراوى مع النيل) بمساعدة عوض الكريم. كانت البواخر تقصف المتمة وشندي ولكن أتوقع بلا تأثير.

جاء اليوم من ود النجومي رجلان وثلاث نساء. يقولون: أنّ المهدي قبالة الكلاكلة أي على بعد ميلين من الخرطوم ومعه القليل من الناس. رجع جزء كبيبر من هؤلاء الذين جاءوا معه من كردفان.

فقد العرب رجلين في معركة الأمس في قتال مع الباخرة. فقدوا أكثر في قتال

اليوم السابق – أرسل ود النجومي أسرته إلى القطينة – الكثيرون فروا.
هرب ضابط وشاويش وجاءا إلى أم درمان

يقولون: بأن عرب بربر تم إنذارهم بواسطة رجل من المدينة في قدوم الباخرة عباس. أمرتُ ببيع ٢٠٠ أردب ذرة اعتماداً على هذه الأخبار. يقول: عربي كان في بربر على ظهر أحد البواخر المقبوض عليها أنّ فرج باشا وضباطاً آخرين أرسلوا أخباراً إلى العرب، وأنّ زعيم العرب في بربر كتب إلى خشم الموس مقترحاً قتلي ولكن خشم الموس رفض. محمد الخير هذا وغد حقاً لأنني عاملته دائماً بكل خير. أتوقع عندما تعرف الحقيقة سنجد عدداً قليلاً من الأعيان والمواطنين لم يتعاونوا مع العرب.

كان الشايقية في الجهة المقابلة يصرخون، وعند الاستفسار وجد أنهم يصرخون طلباً للذرة. حصلوا على حصتهم الشهرية والشهر لم ينقضِ بعد، ذهبت إلى مكتب التلغراف وأخبرتهم (لن أَعطيهم شيئاً حتي ينقضي الشهر. ولكن شيخ العبيد لديه الكثير إذا أرادوا يمكنهم الذهاب إليه) لا إجابة على التلغراف.

يقول الضابط وربما شاويش اللذان جاءا إلى أم درمان بأن المهدي ومعه كل الأوريين وحسن خليفة وصالح باشا وذلك الفرنسي في الجهة المقابلة للكلاكلة، وهو ينوي المجيء إلى أم درمان وأن الروح المعنوية للعرب ليست عالية.

كان على الباخرتين الصافية والمنصورة التوقف في بربر ومنع خروج الفاشر عند مرور الباخرة عباس. ولكن أتوقع بأنهما فقط إهتمتا بالرجوع إلى هنا. أنا حزين على فقد المركبين. أشعر بالحاجة إلى رجال مثل جي أو اماسدوجليا

أو سلاطين، ولكن ليس معي أحد أوكل إليه مثل تلك الحملات. أتمنى مخلصاً إنّ كل الضباط و الرجال المصريين والأتراك أو الشراكسة ينزلون من البواخر وأن تحتفظ بهم، سيكون أمراً سيئاً إرسالهم إليَّ. لا أعني كباتن ومهندسي البواخر. أدخل المستشفى اثنان وعشرون جريحاً من باخرة شندي (أربعة في حالة خطرة) أرجوا أن تتولى أمر البواخر ولا تسمح لسلطة خديوية بفعل ذلك لأنه ستتم الرشوة والسماح برجوع المصريين. الرجاء الإفادة باستلام اليوميات وهذا هو الجزء الرابع. حسب خبرتي لا توجد قوات وضباط وجنود يستحقون الإزدراء أكثر من المصريين – لذا خذ حذرك منهم – وبإستثناء نادر كل الأتراك والشراكسة الذين في خدمة المصريين هم مخنثون.

أَعددت للخروج من القصر ولدي خمسة منازل جاهزة للسكن. أرجوا أنْ يتم تفتيش متعلقات كوسي لأنني أشعربثقة أنَّه خائن. جاء عبد هذا المساء من ود النجومي وردد القصة المعتادة عن اقتراب المهدي وأنّ العرب يريدون الطعام وأنّ النظاميين ينوون الفرار عندما تحين الفرصة. أختم هذه اليوميات بترديد الطلب بأن لا يعود إلي المصريين والأتراك والشراكسة.

س.ج. غردون

٢٠/١٠/١٩٨٤م

بمغيب شمس هذه الليلة ينقضي العام ١٣٠١هـ ويبدأ العام ١٣٠٢هـ.

الباب الرابع

س.ج. غردون

٨٤/١٠/٢٠

بمغيب الشمس هذه الليلة ينقضي العام ١٣٠١هـ ويبدأ العام ١٣٠٢هـ.

الغلاف الخارجي

لا أسرار في ما يتعلق بي س.ج. غردون

لفتنانت . كواونيل ستيوارت C.M.C

رئيس الأركان . لورد ولسلي G.C.B

قوات حملة السودان

يوميات الأحداث – الخرطوم – المجلد الرابع

من ١٢ أكتوبر إلى ٢٠ أكتوبر ١٨٨٤

يوميات الجنرال غردون

الأحداث في الخرطوم

من ١٢ أكتوبر إلى ٢٠ أكتوبر ١٨٨٤

تشذب إذا نشرت

س.ج. غردون

أرفقت الملحوظة التالية مع اليوميات وعنونت إلي لفتنانت، كولونيل ستيوارت

الخرطوم ٢٠ أكتوبر ١٨٨٤

هذه اليوميات حتى تاريخه - لا كثير فيها - سمعت بأنك وصلت سالما - تحياتي إلى لورد ويليسلي. أقلعت عن التفكير في الحصول على معلومات منكم جميعاً

الملخص

س.ج. غردون

في الصفحة الداخلية

يوميات الجنرال غردون - المجلد ١٧

من ١٢ أكتوبر إلى ٢٠ أكتوبر ١٨٨٤

أحداث الخرطوم

مع وثيقة من مصلحة المخابرات عن النبي الزائف

تشذب إذا نشرت

س.ج. غردون

أنظر الملحق (تمرد النبي الزائف)

١/ تقع القبة على الضفة الشرقية للنيل الأزرق شمال جزيرة توتي وعلى بعد ميلين من الخرطوم - المحرر

٢/ سيكون مثيراً للإهتمام إذا سأل عضو ما في البرلمان حكومة جلالتها عن معلومات حول الموضوع

٣/ الكثير من (غرائز) جنرال غردون لم تكن بأقل من الكثير من هروباته. قال في تلغراف إلى سير ايفلين بتاريخ الأول من مارس. (سأفعل ما بوسعي لتنفيذ تعليماتي، ولكن أشعر باقتناع أن سيقضي عليَّ في الخرطوم).

٤/ من الجدير بالذكر ملاحظة كيف أن حكومة جلالتها والتي رفضت كل اقتراحات الجنرال غردون عندما كان حياً، قبلت بسرعة نصيحته بعد مماته.

٥/ في كتابه (قبائل السودان المتوحشة في السودان) روي مستر اف.ال. جي كيف أنه وجماعته عاملهم علاء الدين والبك في سنهيت. هذا البك لم يكن سوي فرج باشا والذي قيل أنه فتح أبواب الخرطوم،أجرنا جمالا في سنهيت لعدة أسابيع في الجوار، وعند رجوعنا كانت هنالك باخرة مغادرة مصوع للسويس وللحاق بها كان علينا أخذ نفس الجمال إلى الساحل. اعترض سائقونا من الشايقية قائلين بأن الطريق إلى البحر خارج بلدهم وأن جمالهم متعبة - كانت أعذاراً حقيقية. عرضنا عليهم نصف الأجر زيادة على الأجور الأصلية، ولكنهم لم يقبلوا خوفاً من أن حاكم مصوع سيأخذ جمالهم ويحملها لصالح الحكومة، ولكن من المحتمل الاَّ يدفع لهم شيئا أبداً. وافقوا على

مرافقتنا عند حصولهم على خطاب من البك في سنهيت (فرج) يطلب (كما تخيلنا) من علاء الدين الذي كان حاكماً لمصوع أن يسمح لهم بالذهاب بحرية . قدمنا الخطاب عند وصولنا، والذي اكتشفنا أنه فقط يذكر بأن حامية سنهيت ينقصها الملح، ومن الأفضل أن يحمل الجمال ببعض الملح ويرجعهم إليه

٦/ أعلن المهدي بأنّ رئيس الملائكة جبريل ظهر له مرتين وأمره بامتشاق سيف الإيمان كي يصلح الحال السيئة للمسلمين ويؤسس إمبراطورية المسلمين والتي سيعقبها سلام عالمي.

٧/ أثار تصرف حكومة جلالتها سؤالاً في ذهن الجنرال غردون فيما إذا كان محقاً في معاقبة أي من سكان الخرطوم الذين يراوغون مع المهدي. كان تقريباً يميل إلى السماح لهم بالمراوغة إذا منحتهم فرصة أفضل لحياتهم

٨/ هارال– المحرر

٩/ هذا التمييز إشارة تهكم لاذع للخطأ الذي وقعت فيه وزارة الخارجية.

١٠/ هنالك طيبة قلب ومسحة مزاج حول هذه الأوامر. ولكن يجب عدم إغفال الحقيقه بأنها أوامر صريحة. كان للجنرال غردون عندما كان حاكماً عاماً للسودان الحق بإصدار الأوامر لأي شخص ولا أحد له معرفة أكثر بهذا الأمر أكثر منه.

٢١ أكتوبر

غادرت البواخر هذا الصباح إلى شندي. تبدأ اليوم السنة الجديدة للعرب ١٣٠٢هـ أعتقد أنّ المهدي راهن على ثورة في المدينة ولكن الاعتقالات[١] أربكت حساباته.

هدية العام الجديد هذا الصباح كانت وصول المهدي إلى أم درمان. لا عرضات كثيرة. قيل: إنّه سيحتل كرري والحلفاية فوراً. من الأفضل إبعاد البواخر قبل أن يضع مدافعه على ضفة النهر. ستكون في أمانٍ معك[٢] ومفيدة جداً. جاء رجلان من صالح بك من القلابات ومعهما بريد. قضيا ٣٢ يوماً في الطريق. أحضرا خطاباً من القنصل اليوناني في عدوة متزاكس، مؤرخ ١٧ أغسطس (أخبرني بمثل أو بأكثر مما جاء في خطاب كتشنر المؤرخ ٣١ أغسطس) صالح بك كان على صواب قد تمت مهاجمته. يقول الجواسيس: إن الباخرة الصغيرة محمد علي والتي أسْتَولى عليها العرب هي الآن في أبي حراز على النيل الأزرق. سنار بخير

يكتب متزاكس إلى القنصل اليوناني هنا قائلاً: بأن معاهدة قد وقعت بين حكومة جلالتها والحبشة يتم بموجبها منح الحبشة كسلا والقلابات والقضارف وبوقس وأنّ الملك يجهز جيشاً للذهاب وامتلاكها. ياله من تصرف. هذه كلها أراضي مسلمين (ما عدا بوقس) صمدت و لم تكن مهددة، ونقوم نحن بإرسال ما يسمى أناساً مسيحين (ليس لهم شأن في ما جري) ضد هؤلاء الناس الذين صمدوا أمام المهدي.

٢٢ أكتوبر

أتعجب ماذا سيقول صالح بك في القلابات عن هذا الانفصال بعد أنْ كان يحارب من أجلي!. أيضاً ماذا سيقول السيد محمد عثمان بعد كل متاعبه. الآن أرى لماذا أبقيت في الظلام. يقول صالح بك في إحدى خطاباته: إنّه يرسل لي خطابا من الملك جون. لم أستلمْ هذا الخطاب ويبدو أنّه لم يرسل. جاء رجل بخطاب من سلاطين يقول فيه: إنّه تم الإستيلاء على الباخرة عباس في دار قمر وقتل سيتورات مع تسعة آخرين. وتم الاستيلاء على كل الأوراق.

هرب ثلاثة جنود بالأمس من العرب وجاء سبعة آخرون اليوم. لم يكن لديهم أخبار. المهدي وكل الأوروبين على مسافة أربع ساعات. قيد المهدي صالح باشا (من الشايقية) بالسلاسل. جاءت ست أغنام بلطف اليوم إلى خطوط القتال. أنا قلق بالنسبة للباخرة عباس. سيكون أمراً رهيباً إذا ثبت أنّه تم الاستيلاء عليها.

الصفحات المنزوعة هي أو بالأحرى كانت وآبلاً من الشتائم ضد فصل كسلا [٣]....الخ. ولكن بما أنها لم تعد ذات قيمة اليوم فقد نزعتها. أعتقد إنّ الحكومة هذه الأيام يمكنها جعل رجالاً يفعلون كل شيء عن طريق المال والتكريم (ليس الشرف) ولدي فكرة سديدة عن كيف سينتهي هنا الأمر. ومع ذلك ليس هذا شأني ولقد إتخذت قراري.

كتشنر إلى شيرمايد: (إنّه غاضب من معاهدة هويت الممتازة ومن حسن

الطالع أنني لم أَطلعه عليها. المهدي بجانبه الآن ويمكنه صب جام غضبه عليه. لدينا كل بواخره ما عدا اثنين وليس علينا أنْ نهتم)[٤].

معاهدة ممتازة– دعنا نفكر – نعم إنتشار المسيحية – حركة تبشيرية منتظمة كنيسة مسيحية عتيقة وأناس ...! قدم لي تاريخاً مختصراً عن الحبشة، ولكن ليس ذلك الجزء الذي يتحدث فيه بروس عن الفظائع التي ارتكبها جيش الأحباش خلال مسيرته. هويت مفتونا بجلالة الملكة ويسمى الملكة والدته ...الخ. الآن إنْ استطعنا فقط أن نجعل المهدي يبرم إتفاقية معاهدة سنكون في أمان لمدة ستة أشهر. يكفي لهذا اليوم شروره. أقر بأني أصبحت اليوم مبشراً بتصرفاتي واقتباساتي – سيغضب جرهام إذا انتقدت رسالته التي أرسلها سلاطين لي. يبدو أنّ الإشاعة[٥] سلاح ممتاز.

٢٢ أكتوبر

من المشكوك فيه أنّ الرجلين اللذين أحضرا الخطابات من صالح بك من القلابات هما جواسيس للمهدي، وقع الخطاب الذي كتبه الملك جون لي في أيديهما. جاء هذان الرجلان إلى العرب. يجبر كل من المهدي والملك يوحنا الرجال على تغيير دينهم. كلاهما يقطع شفاه المدخنين وأنوف الذين يتعاطون السعوط. كلاهما متعصب وحرامي[٦].

إذا كان المهدي حصل على خطاب الملك يوحنا فهو يعرف كل شيء عن معاهدة هويت الشهيرة أو بالأحرى سيئة السمعة. وهذا أمر مزعج. يذكر خطاب سلاطين (الوفاق العسكري) ويبدو غريباً معرفته بأنها كانت على ظهر الباخرة إلاّ إذا كان قد تم الاستيلاء على الباخرة– ومع ذلك فلدينا رجلين قالا: بأنّ الباخرة مرت. ربما أنّ اليونانيين المقبوض عليهم عرفوا بوجود هذه اليوميات الشهيرة فأخبروا العرب بذلك أو أنّ عون كتبها من الغريب أنه (سلاطين) لم يقل شيئا من بلور وهيربين.

مجلس اللوردات ... في إجابة على أسئلة طرحها ..... عن .... قال: يبدو أنّ المركيز المحترم يستمتع بطرح أسئلة عرف أن (...) لا يستطيع الإجابة عليها. يمكن أنْ يقول: بأنه المعني. الكثير من الوقت والاهتمام بشؤون السودان، ولكنه يقر بصدق أنّ أسماء الأماكن والأشخاص مخلوطة للحد الذي من المحال الحصول على رؤية حقيقية للقضية (ضحك) سائل المركيز المحترم ما هي سياسةجلالتها؟ كأنه سأل عن سياسة جزع شجرة عائم في

مجري نهر – إنها ستذهب إلى البحر – كما يرى أي مرء له ذرة من عقل، حسنا كانت هذه هي سياسة مقررة وصريحة تنجرف مع التيار و تنتهز الفرصة في كل الظروف. لم يستحسن معاليه الأسئلة المتكررة عن أمور كما قال معاليه لا يعرف عنها شيئاً وبالإضافة إلى ذلك لايأبه بأنْ يعرف عنها .... إلى ..... يا للعجب ! لقد فعلت كل ما في وسعي لأبقي معاهدة هويت سراً. لا فائدة من لومي. عرفت من برقيته أنه سيخلق ضجة حولها وأخبرت كتشنر بأن لا يقول كلمة عنها. إنه تلك البهيمة متزاكس الذي أفشى السر. جاء رجل من معسكر المهدي، وكان قد غادر قبل أربعة عشر يوماً بإذن للذهاب إلى العرب جاء الآن ليرى أسرته في الخرطوم، كنتُ قد قلت له إذا خرجت فلا رجعة – هو رجل لا يكترث. مات الصائغ (الذي جرح في بري ذلك اليوم). الرجلان اللذان أحضرا الخطاب من صالح بك من القلابات لا يريدان الخروج من ناحية الجبهة الشمالية – يريدان الخروج من الناحية الغربية حيث يوجد معسكر المهدي.

أعتقد أنَّ معاهدة هويت سيبطل تنفيذها لأنّ القنصل اليوناني يقول: بأن الأدميرال لم يمنحه (الملك يوحنا) مالاً، لذا ما فائدة المعاهدة، أتوقع أن الملك جون[٦] كتب لي لأمنحه ضرائب البلد الذي انفصل مستشهداً بمعاهدة هويت. يستحيل على الملك يوحنا أو رجاله مغادرة تلالهم. يمكنه أنْ يتحرك إذا كان قد منح ١٠٠٠٠٠ جنيه ولكن لا مجال للتحرك إن لم يكن لشيء سوى معاهدة على الورق. المكان الوحيد الذى يمكن للملك أنْ يحتله هو (سنهيت) وأشك فى أنْ يفعل ذلك بصفه دائمة. سيطرد الإرسالية الكاثولكية الرومانية فوراً[٧] (جزء من الحركه التبشيريه). احتلال سنهيت يقطع فقط الطريق الآمن من مصوع إلى كسلا. إنه أمر مضحك أنْ ترى التحولات التي دخلت فيها حكومة جلالتها للخروج من هذه الفوضى.

جاء عبد إلى أم درمان ومعه خطاب آخر من العرب. سأوقف هذه المهزلة في المستقبل. أشعر بثقة أنّ الملك يوحنا منح الأدميرال هويت حربة ودرع ووسام سليمان (عبث في عبث) للمعاهدة، وأيضاً أشعر بثقة بأننا لن نشاهد جيشاً حبشياً في السودان سيكتب أو قد كتب خطاباً متغطرساً يقول: بأن والدته الملكة أعطته .....الخ، ويطلب مني إرسال الضرائب حالاً وإلاّ سيتقدم. كل هذا كلام فارغ ولن نسمع من جلالته سوى تأوهات على خيانتي بعدم إرسال الضرائب. إنه شخص لا أمل فيه ولا يستحق اعتباراً[8] (ستقول حكومة جلالتها) لقد أبرمنا المعاهدة وليست غلطتنا أنّ جلالتها لم يقم بالتنفيذ. كسلا وكل الأماكن الأخرى تحت حكم الملك يوحنا وبالتالي هي آمنه. تستحق المعاهدة ما تستحقه أي معاهدة تبرم الآن لمنح كردفان لأي شخص.[9] نحتاج الآن إلى معاهدة مع المهدي حول الحاميات ومن ثم ستنام حكومة جلالتها في سلام. ثم إنجاز عملهم. أقول فقط بأنه ليس لدي ثقة في معاهدة مثل هذه وسأتخذ احتياطاتي وفقاً لذلك[10].

جاءت خطابات يذكر أحدها بأن لبتون بك قد استسلم (الملاحق d.c.b.2.4) وعُين حاكماً لبحر الغزال مع أحد أنصار المهدى. يذكر خطاب آخر بأنه أحضر عبيداً للمهدي ويأمل في شراء خيول من ناتج بيع. خطاب المهدي يروى كيف استولى على المركز...الخ، والباخرة عباس.... الخ. كانت إجابتي بأنني لا أهتم بمن استسلم ومن هو الذي قبض عليه .أما بخصوص الخطابات فأنا لا أفهم شيئاً لذا أتركها لعلماء اللغة العربية في الجامعات.

٢٣ أكتوبر

(يالها من شخبطة مخيفة) جاء صباح اليوم من أم درمان عشرة جنود وست نساء. فحصت خطاب المهدي بالنسبة للإستيلاء على الباخرة عباس و لم أصدقه. الأوراق التي أرسلها، وقال: إنّه تم الإستيلاء عليها من الباخرة عباس لم تكن أبداً فى الباخرة .لقد أخذت من جاسوس أرسلته من هنا وهو نفس الرجل الذي أتاني بالأخبار من دنقلا عن تقدم البريطانيين. كانت عيناه بها رمد وقبض عليه فى المتمة وقتل عندما كان تحت تأثير الخمر وقال إنّه جاء من قيلى.

كان على الراهبات السير على الأقدام كل الطريق من كردفان. مع المهدي ١٥٠٠٠ من الماشية، يموت العرب بأعداد كبيرة من الدسنتاريا. سويت بالأرض حلة خوجلى التي تقع قبالة القصر قد لا يكون معروفاً عامة ولكن .بموجب الفرسان الذي نصبه توفيق هنالك أمر صريح بأن لا يتخلى عن أي جزء من الإقليم المصري إلاّ بإذن من الجناب العالي. أيضاً إنّ معاهدة باريس وكذلك معاهدة برلين تضمنان وحدة الأراضى العثمانية. يالها من مهزلة أنْ يقال بأن مصر تخلت عن كسلا.

الجماعة الهاربة والتي ذكرت سابقاً بأنها جاءت هنا، وصلت القصر وتضم تسعة جنود وثماني نساء وعبدين كلهم أصدقاء قدامى - أيضاً طفل وليد. يقولون: بأن المهدي بدأ السير من كردفان ومعه ٤٠٠٠٠ من العرب و١٥٠٠ نظامي والآن ليس معه أكثر من ٥٠٠٠ أو ٦٠٠٠ من العرب

و ١٠٠٠ جندي (٥٠٠ فروا) و ليس لديهم ذرة وفقط ٣٥ صندوق (٣٥٠٠٠طلقة) خرطوش رمنجتون و ٥٠ قذيفة مدفع، يقولون: بأن الجنود يريدون القدوم إلى هنا اليوم أو بعد غد، يقول المهدي: بأنه سيذهب لملاقاة الإنجليز ولن يتوقف في الخرطوم. رأى الجميع أنفسهم في مرايا، لم نشاهد مثل هذا العرض من الأبنوس أبداً من قبل، رقص الطفل بسرور عندما شاهد نفسه لأول مرة، إنه يشبه رصاصة سوداء، بالطبع كانت الأم مسرورة.

قطع الخيالة العرب خط التلغراف الممتد من خطوط القتال في بري إلى الحصن الشمالي. رفضت السماح بإصلاحه بعد أن فقدت ضابطا وستة رجال جرحوا عندما ذهبنا آخر مرة خارج الخطوط، وبالإضافة إلي ذلك لدي كيبل آخر إلى الناحية الشمالية. ليس هنالك حراس في الحصن الشمالي أو بري أو في المديرية، هؤلاء الرجال كافون لفطر قلب أي شخص، لحسن الحظ أن المرء يراقب من سطح القصر كل هذه الأشياء، ويمكن إجبارهم على إطاعة الأوامر، ولكن كما قال (هاتسل)[١١] :دائما يزمجرون ويهمهمون.

ذهبت الإسماعيلية والحسينية أسفل النهر و لم تشاهدا عرباً على الضفة، هؤلاء العرب (خدام المرء) إذا لم يكونوا يأكلون فهم يصلون، وإذا لم يكونوا يصلون فهم نائمون وإن لم يكونوا نائمين فهم مرضى، يحاول المرء على فترات الإمساك بهم، تخيل الوضع بنفسك، لا تستطيع أن تفعل معهم شيئاً بينما هم في هذه الحصون، يأكلون، يصلون، نائمون أو مرضى، وهم يعرفون ذلك ستكون وحشاً إذا فعلت (أخشى أنني أفعل ذلك كثيراً) تريد أرسال أمراً سريعاً وهنالك خادمك يثب إلى الأعلى يصلي ولا يمكنك إزعاجه، إنه بلد جميل تحاول فيه اختبار صبرك، من الغريب جداً إذا كان مزاجي سيئاً، وغالباً هذا هو الحال، فإن خدمي يكونون في الصلاة وهكذا فإن الممارسات

الدينية تتبع نظاما مزاجيا، إنهم وثنيون إذا كانت الأمور جيدة.

يجب أن أقول بأني أكره الدبلوماسيين.



أعتقدُ مع استثناءات قليلة أنهم كذابون ودجالون وأتوقعُ معرفتهم لذلك، أنا أشمل طبقة كولفين، أشعر باطمئنان. إنّ ال روسشيلد يسببون الكثير من الإزعاج لحكومة جلالتها حول المسألة المالية. إذا سألت ..... في بلاكلافا عن سعر الجنيه سيقول ٥ جنيه و٥ شلن، أما إذا سألته الآن سنسيء إليك.

٢٤ أكتوبر

عرضة للعرب، محمد أحمد والفكي مصطفى مع ود النجومي، قسم العرب معسكرهم وضعوا النظاميين قرب النهر في معسكر منفصل عن معسكرهم، ليمثلوا حاجزاً إذا تم الهجوم عليهم، ضرب العرب النقارة في الجريف. جاء رجل كان في قوات الزبير سابقاً من العرب. تنتهي غداً مدة الستة أشهر لأوراق النقد التي أصدرناها. مضت ٢٢٦ يوماً على حصارنا (سبعة أشهر ونصف) حصار طروادة. الرجل الذي جاء (من قوات الزبير سابقاً) كان من رجال لبتون في بحر الغزال وغادر قبل خمسة أشهر، يقول:إن ليبتون في شاكا وهو الآن شيخ عبدالله وهذا يعني أنه غير دينه[١٢]، أتساءل ماذا حدث في حامية الإستوائية، يبدو أنّ الدماء التي سفكت في محاربة تجار الرقيق في بحر الغزال قد ذهبت أدراج الرياح[١٣]، شكوك كبيرة حول وجود المهدي قريباً من هنا، يبدو أن لا أحد شاهده.

أخذ العرب بنادق النظاميين منهم بعد فرار الكثيرين بالأمس لعرب في معسكر المهدي، معدية تحت أعيننا في النيل الأبيض، ولكن لا أريد إرسال البواخر نحوها لأن الربان مهملون.

أحسب أنّ طليعة قوات الحملة وصلت ٢٢ سبتمبر[١٤]. واحتاجوا إلى ٢٠ يوماً للوصول إلى الدبة وبذا وصلوا الدبة في ١٢ أكتوبر (ستيورات وصل الدبة في ٢٨ سبتمبر) وأرى أنهم لن يصلوا المتمة – شندي قبل ١٠ نوفمبر وهذا يمنحهم تسعة وعشرين يوماً لقطع مائة وخمسين ميلاً، ومن هنالك

إلى هنا خمسة أيام بالباخرة وعليه سنراهم أو نرى حرس طليعتهم في ١٥ نوفمبر، إذا لم يصلوا قبل ٣٠ نوفمبر تكون الخطة قد فشلت - ولتحكم بريطانيا في هذه التقديرات أفسحت مجالاً لصعوبات النقل وإقامة الحصون ...الخ - يجب أن أشاهد الزي الرسمي لجيش جلالتها في ١٥ نوفمبر أفترضُ أن جزءاً من القوات سيذهب لمهاجمة بربر في ١٠ نوفمبر (عندها قدرت أنهم في المتمة - شندي) ومجموعة صغيرة ستجيء إلى هنا - هكذا لدينا سبعة أيام في أكتوبر وخمسة عشر يوماً في نوفمبر لننتظر ٢٢ يوماً- ثلاثة أسابيع تضاف إلى ٢٢٦ يوماً قضيناها من قبل بسبب يارنج (الذي سأتذكره) ومناوراته للسلام. يقول سلاطين في إحدى الخطابات التي أرسلها بأنّ جراهام كان راغباً في إرسال رجالي إلى بربر، وكان يمكنه فعل ذلك ولكن ايفلين لم يصدر الأمر. لقد طلبت إرسال ٢٠٠ رجلاً فقط إلى هناك (بموجب برقية في يوميات ستيورات) إنني أنزع ورقة سلاطين من الملحق R وأضعها في الجانب الآخر[١٥]. لا أعرف التاريخ، ولكن إذا تم الإفصاح عن برقياتي إلى بارنج سيتم الإثبات بأنّ بارنج عرف الوضع الحقيقي للأمور هنا وذلك حتي ١٢ مارس، لذلك إذا كان هنالك انطباعاً في الخارج بأني لم أقلْ (أرسل ٢٠٠) من الجنود إلى بربر[١٦]، وإلاَ ستفقدها فهو قد أخفي برقياتي، إنني أفكر عميقاً وبسرور أن لا أرى مرة آخرى بريطانيا العظمى بحفلات عشائها الفظيعة والمتعبة والبائسة، كيف التعايش مع تلك الأشياء التي تمر بخيالي. إنها عبودية تامة كلنا يرتدي قناعاً في حفلات العشاء تلك ونقول ما لا نؤمن به ونأكل ونشرب ما لا نريده، ومن بعد ذلك نسيئ لبعضنا البعض، أفضل لي أن أعيش كدرويش مع المهدي من أن أذهب للعشاء كل ليلة في لندن، أرجو إذا جاء جنرال إنجليزي إلى الخرطوم أن لاَ يدعوني لعشاء، لماذا لا يستطيع الرجال أن يكونو أصدقاء بدون ملء معداتهم! إنه أمر رهيب.

٢٥ أكتوبر

جاء ثلاثة رجال من ود النجومي- أرجعت أحدهم لأني أظن أنه جاسوس، يقول آخر: إن الباخرة الصغيرة المقبوض عليها محمد علي، ستجئ إلى الجريف اليوم أو غداً ومعها ١٢ مركب محملة بالحبوب، لن أحاول إيقافها لأنه إذا وصلت قوات الحملة فستستولي عليها - لا أستطيع المجازفة ببواخر ضد المدافع الأرضية.

جاء رجلان بأسلحتهما من العرب إلى أم درمان، يتحرك كثير من الناس من الضفة الشرقية للنيل نحو شيخ عبيد (الرجل وليس المدينة) هل يغادرون بسبب تقدم القوات أم لأغراض عدائية؟ أم أنها غارة عائدة من السلب والنهب! أرسلنا باخرة وأوقفنا معدية العرب قرب خطوط القتال، ينتقم العرب بوضعهم مدفعاً أو اثنين في المكان القديم قرب الشجرة الكبيرة (الشجرة). أطلق العرب سبعة قذائف على البواخر، قبض الجنود في أم درمان بقرتين وقتلوا اثنتين. جاء عبد آخر إلى أم درمان. قبض بالأمس على أبقار بالقرب من خطوط القتال الجنوبية.

ماهي الخطة الأمثل لمهاجة العرب؟ الهدف هو إلحاق هزيمة ساحقة بهم ووضع حد للقتال ومنعهم التجمع في كردفان. الوضع هو هكذا.

أهاجم ود النجومي عند أو أمنع انسحابه بإرسال السفن إلى الدويم مع قوة صغيرة. ستبقي قوات المهدي وشيخ العبيد مكتوفة الأيدي.

أهاجم في نفس الوقت معسكر الجريف. تجري العمليات في نفس اليوم وبالقوات التالية: عمليات النيل الأبيض - نتقدم إلى أعلى النيل الأبيض بواسطة المراكب ٢٠٠٠ . (ب) المشاة إلى النقطة x يسير الفرسان الذين معك إلى النقطة x بمحازاة الضفة الشرقية للنيل الأبيض. تحتل بمدفعين و ١٥٠٠ رجل القريتين خارج خطوط القتال بواسطة القوات السودانية، هذه القوات تتقدم، فقط نهدد المنازل التي تكون منفذاً للهرب . ترافق القوات ثلاثة بواخر.

عمليات النيل الأزرق - تتقدم أعلى النيل الأزرق أو بمحازاته) - ١٠٠ . ب (مشاة بمرافقة البواخر والمركب ومنهم خيالة الشايقية حوالي ٨٠ و ١٠٠٠ رجل من القوات السودانية إلى الجريف.

إذا نجحت هذه العمليات يقوم ٨٠٠ رجل مع أربع بواخر بالمطاردة أعلى النهر إلى الدويم.

الحملة تجاه سنار: يحتمل أنْ يستسلم شيخ العبيد فوراً ومن ثم قوة من ٥٠٠ (ب) وأنا مع ١٠٠٠ من المشاة السودانيين، يجب أنْ نذهب أعلى النهر إلى ودمدني ونفتح الطريق إلى سنار (بينما يرسل رجال لشراء الذرة)، يبدو أنه ليس هنالك عرب مسلحون بين ودمدني وسنار أو جنوب سنار وسيتراجع المهدي فوراً إلى الأبيض (المدينة)، من المحتمل عند وصول هذه الحملة إلى أبوحراز أنْ تكون القضارف قد استسلمت، وهكذا يتم فتح الطريق إلى القضارف وكسلا، تستلزم هذه العمليات قدراً صغيراً من زحف القوات وستتم في ثلاثة أسابيع أو أقل. ليس هنالك رحمة من أي جانب في كل هذه المعارك في السودان. ومن المتوقع أن تبدي القوات السودانية الرحمة إذا حضرتم. أيضاً إذا ذهبت لمساعدة الجرحى من العرب فسيحاولون قتل

رجالك (مثل الأفغان) الذين يبذلون الجهد للمساعدة. إنهم غدارون ومدفوعين بالهوس الديني ويعتقدون:

أنك فقط تتظاهر بمساعدتهم كي تقتلهم.

بما أنهم يائسون يعتقدون بأنهم سينالون الجنة إذا قتلوا كافراً. ربما يبدو أنّ كتابة هذا هو قتل مع الإصرار، ولكنها طبيعة هؤلاء الرجال الذين ستقاتلهم. أرجو من جهتي أن يفروا كلهم لأنّ تسعة وتسعون في المئة منهم ضحايا مكر وخديعة، الزعماء هم المحركون الأساسيون. سأبقي على حياة الزعماء إذا طلبوا العفو، ولكن سأرسلهم جميعا إلى مكة لدراسة المهدية في هدي المذهب القديم، لا معلومات بعد عن القافلة التي ذهبت غادرت النيل متجهة إلى شيخ العبيد. كان على بحارتها أحد مراكبنا التي كانت تجمع الكلأ أسفل الحلفاية، النزول ومحاولة القبض على الماشية من القافلة. هاجمت العرب وقتلوا الريس. يقول البحارة: أنهم قتلوا الكثير من العرب (؟) أَعتقد أنّ هؤلاء الناس يحبون أصلاً القتال إذا كانت هنالك أقل فرصة للنهب.

سيسمح للملك يوحنا (وفقا للقنصل اليوناني) باستيراد السلاح من مصوع. لن يفعل ذلك لأنه لا يملك المال للشراء. إذا استولى المهدي على بحر الغزال وأخلينا السودان لصالحه قد تغلق جمعية محاربة الرق مكاتبها المعنية بالقضاء على تجارة الرقيق في هذه الأرجاء خاصة إذا تركنا له البواخر[١٧].

اللجنة الخاصة – مجلس اللوردات ....بموجب استجواب – سؤال ٢٣٨٩ :– هل علمت سيادتكم عندما كنتم في القاهرة أنّ الفلاحين يُسحبون وهم مقيدين بالسلاسل من منازلهم وتوجيههم لمحاربة المهدي تحت قيادة هكس؟ وما هي الخطوات التي إتخذتموها لمنع ذلك[١٨]؟ هل إطلعت حكومة جلالتها على الحقائق و ماذا كان الجواب؟

حرك المهدي معديته إلى الأعلى في النهر بعد ذهاب البواخر هذا الصباح. إنها مسألة شك بالنسبة لي عما إذا كان يجب على الموظفين العموميين الحط من شخصياتهم، بأن يسمحوا لأنفسهم بالتقاضي عن الحقائق التي تبدو لهم ليس فقط شراً بل ضارة بمصالحنا الوطنية ، ولأن مثل هذه الحقائق من المحتمل أن تكون غير مقبولة لحكومتنا وفي طلبها منهم أن يقرروا في المسائل الصعبة ... كان يعلم بهذا التجنيد الإجباري وكذا ... ألم يروا أنّ السماح لمثل هؤلاء المجندين بالذهاب إلى السودان ليس فقط وحشياً بل أيضاً غير حكيم سياسياً؟. ولا أتوقع أن تكون أرواحهم المعنوية عالية في مثل هذه الأحوال. إذا كانوا قد أوقفوا هذه الأوامر لما كان هكس غادر الخرطوم أبداً و لم يكن جيشه ليباد. إنها هزيمة هكس التي منحت المهدي مكانة كبيرة. لقد أباد المهدي قبل ذلك فصائل، ولكن بعد لذك هزم جيشاً كبيراً – أتعرف ما أدى إليه ذلك؟ هنالك أو كان يجب على الرجال مثل .... أن يطيعوا، وهناك أوقات عليهم العصيان أو الإستقالة، الآن إذا كان قد ألمح فقط بالإستقالة لكانت الحكومة في وضع يتحتم عليها أن تصغي. لدي شك قوي بأن ... كان يعرف كيف يتصرف .كانت ... ورغبة في التوافق مع حكومة جلالتها هي التي منعته من التصرف، وفقاً لأفكاره الخاصة. في بعض الأوقات و منتهى القسوة أنْ تكون رحيماً جداً و ودوداً وهذه إحدى الحالات. قد يكون التاريخ ضبابياً حولها لاشك فيه إن ... كانت لديه مصائر مصر والسودان بين يديه أكثر مما كانت لدى حكومة جلالتها و لم ينجح، لن يكون عصياناً أنْ تستقيل إذا لم تكن موافقاً على سياسة ما أو تشعر بأنك لن تستطيع تنفيذها بكل إخلاص. الأمر مختلف في الشؤون العسكرية. يؤمر المرء بالذهاب إلى هنا أوهناك وعلى المرء الطاعة (حتى لو رأى إنّها غير

حكيمة أو عارضها) ولكن لا شيء مثل هذا في الدبلوماسية[١٩] – بالتأكيد لم يكن هناك شيء في حالة ... هو فقط هاوي في وزارة الخارجية – إذا كان ... خفض سعر الفائدة إلى ٣,٥٪ عند مجيئه إلى مصر بجرة من قلمه – من كان يستطيع أن يتفوه بكلمة، ولكن هنالك صعوبة الآن. قد تكون هنالك وأولوية من حاملي الأسهم ولكن هذا كل شيء. قد ألغى الرقابة (تحت غطاء توفيق) وكان يمكنه تخفيض الرقابة ويكسب عطف الناس، كان يمكن لهكس (بالمناسبة لم يكن يرغب في الذهاب إلى السودان) أنْ يصمد في الخرطوم وينهك المهدي وما كان ليكون لنا شأن في ما يحدث الآن. أخشى القول: بأنه بالتأكيد تم قتل حوالي ٨٠٠ جراء السياسة الحالية و لم ينته الأمر بعد. من جانبي أرجو أنْ يهرب الجميع. أعداؤنا بأكثر الطرق فعالية تجارة الرقيق وصيد العبيد، لأن حكومة جلالتها لا تستطيع الأحتفاظ بالسودان ولن تستطتع مصر أبداً حكمه. الأمر الوحيد الذي يمكن عمله هو منحه للسلطان. يالها من نهاية لدبلوماسية حكومة جلالتها، وكان من السهولة عندما غادرت في يناير ١٨٨٠ أنْ يحسم الأمر بهدوء بالإستغناء عن كردفان و دارفور وبحر الغزال وبكرامة وهدوء.

أقر بأني لا أرى كيف الخروج الآمن من السودان مع الأخذ في الاعتبار مجيئكم للخرطوم وطردكم العرب وفتح الطريق إلى سنار. ما الذي ستفعلونه؟ ستقولون:(نخرج الذين يرغبون في المغادرة) حسناً تبدأ بسنار وبالطبع تقاتلون طوال الطريق.

سيستغرق هذا ثلاثة أشهر وخلال هذه الفترة كيف ستطعمون الخرطوم؟ في اللحظة التي تغادرون فيها سنار ستتركون خلفكم مخزن غلالكم. تصلون الخرطوم فتواجهوا ٣٠٠٠٠ شخص لن يغادروا وهم ميالون للمهدي

ومنهم ٣٠٠٠ شايقي مسلح. ثلاثة أشهر أخرى تقاتلون في طريقكم إلى بربر وليس لديكم طعام في بربر. وبعد ذلك ستحتاجون إلى شهرين للوصول إلى دنقلا والتي (بالنظر إلى سياستكم) ستجدونها معادية. في الحقيقة هي مشكلة رهيبة لا أدري كيف التغلب عليها.

بعد ذلك تحل شهور الصيف الحار وإنخفاض النيل. في هذا الوقت من العام المقبل لن تكونوا خارج السودان بكرامة. بالطبع يمكنكم الرجوع الآن ولكن ما فائدة مجيئكم؟ لا أعترف بأنكم أتيتم من أجلي. لقد جئتم من أجل الحاميات في السودان. إذا تصرفتم بسرعة الآن وفقاً للترتيبات التركية ستخرجون بهدوء في يناير ١٨٨٥. هذا لن يكلفكم شيئاً مثل ما يكلفكم بقاء قواتكم هنا لمدة عام، والذي أخشى أنه سيحدث إذا واصلتم محاولة (سحب سريع) ليس في مقدوري الاعتراض على هذه النصيحة. أريد الخروج من هذا الأمر ولكن بكرامة. يؤسفني ضرورة أن تكون هنالك حملة ولكن إذا حضرتم إلى بربر وتواصلتم مع الخرطوم، وإذا أصررتم على(الإنسحاب السريع) فلن تستطيعون إنجازه وستبقون هنا لمدة عام. ومن ناحية أخرى يمكنكم الخروج بشرف إذا منحتم البلاد للأتراك. دع لحكومة جلالتها إيجاد الأعذار لذلك ولن يكون صعباً عليها. ضع نفسك في مكاني. لو تقول: (أنسحب سريعاً وأترك سنار لمصيرها) سأقول: لا سأموت سريعاً أولا سأستقيل من منصبي لأني لا أستطيع فعل ذلك لو تقول:(حينها لن تكون حاكماً عاماً) فأنا عند ذلك على صواب وكل المسؤولية ستقع عليّ كأهلي (لأنه لا يفترض إذا طردت من منصب الحاكم العام أن ألتزم.بمساندة مثل هذا التحرك الذي أعتبره شائناً) حينها سأكون وجها لوجه مع الناس. لا أقول غير: إن عبد القادر قد يكون أفضل مني بالمساعدة في (الإنسحاب السريع)

حتى لو وأفقت عليه (ستحكم على هذا بنفسك ومع ذلك ساكون بعيداً عن هذا الأمر ومعفياً من التزامي تجاه الناس). قد يكون من غير الضروري كل هذه الكتابة وأنّ لك أراء أُخرى، ولكن من الأفضل أنْ تعرف آرائي، أنا في أمان من قبل ملك البلجيكيين ضد أي خسارة، إذا تركت خدمة حكومة جلالتها، ولذا أقول أنا مطلق السراح من خدمة حكومة جلالتها. إذا عزلتني من منصب الحكم العام فأنا قد أعفيت من كل مسؤولية عن تصرفاتي في السودان تجاه الناس. لا أرى بأنني متمرد أو غير منطقي في هذه الحالة. لا أقول: بأنني لن أقدم كل خدماتي لمساعدتك في وضع ثانوي، ولكنها ستكون مخالفة لطبيعتي وبغيضة إلى نفسي ويجب ألاّ تكون في منصب حاكم عام. يجب أنْ يكون هذا شرطاً ضرورياً ويجب أنْ يكون معلوماً بأني لا أوافق على الإنسحاب (الانسحاب السريع) ما كنت لأقول هذا لو لم أكن مقتنعا بأنّ (الانسحاب السريع) يمثل قدراً من الصعوبة مما يجعل كل رجل إنجليزي ملزماً بأن يساعد كل واحد آخر. لو كنت لورد ويلسلي لجعلت حكومة جلالتها ترسل الأتراك إلى هنا.

لا أدعوا للاحتفاظ بالسودان. إنه ممتلكات لا فائدة منها ونحن لا نستطيع حكمه وكذلك مصر (بعد الأحداث الأخيرة) أنا فقط أناقش كيفية الخروج منه بشرف وبأرخص طريقة ممكنة. (يجب أن نتذكر بأننا تسببنا في مشكلة) وهذه الطريقة إما عن طريق حكومة مؤقتة يرأسها الزبير أو بمنحه للأتراك – إنّها مسألة بسيطة عن الخروج بكرامة. سيتفق الزبير مع الشايقية وسكان المدن ويسوي الأمور مع المهدي ويمكنهم الخروج. يمكنه الصمود إذا قمتم بهزيمة المهدي قبل مغادرتكم، ومع ذلك فقط من خلال الزبير والأتراك ستخرجون من السودان قبل شهر نوفمبر ١٨٨٥!!!

الأتراك هم الحل الأمثل إنه مكلف جداً. سيحتفظون بالسودان: أمنحهم ٢٠٠٠٠٠ جنيه الحل الأمثل الثانى هو الزبير بمنحه ٥٠٠٠٠٠ جنيه، ١٠٠٠٠٠ جنيه سنوياً لمدة سنتين. سيحافظ على السودان لمدة من الوقت (فى كلا الحالتين. ستنتعش تجارة الرقيق) هكذا ستكونون فى وضع مستقر فى مصر وقادرين على الانسحاب إلى مصر فى يناير ١٨٨٥. إذا لم تفعلوا هذا، فاستعدوا لصفقة من القلق والمخاطر وستكون حملتكم غير مربحة على الإطلاق وخالية من أى احترام[٢٠].بعد يوم من مغادرتكم للخرطوم سيدخل المهدي ويقول: بأنه قام بطردكم، وهو أمر غير سار فى الهند وأماكن أخرى.

تخليت تماماً عن أرائي الشخصية عند مناقشة هذه المسألة، ليس دوراً عظيماً ولكن لأي غرض تتخلى عن بلاد متمرنة لحد ما، وإذا حكمت بطريقة سليمة فهي هادئة ومنظمة، تتخلى عنها للأتراك أوالزبير وتسمح لتجارة الرقيق أنْ تزدهر أكثر من عشرة مرات. ليس لدينا الرجال لحكم هذه البلاد ولا نستطيع تحمل الأموال، لذا أنصح بما قلت. عندما غادرت السودان كان هادئاً ومغطيا لتكاليفه و لم يكن هناك قلق فى أنْ أستمر فى حكمه. الأمر مختلف الآن ويحتاج إلى نفقات تمنحها حكومتنا .(بما أنّ القماش قصير فأنا أوصي بأن يكون المعطف كما وصفت) .

يكون من النبل الاحتفاظ بالسودان، ولكن سيكون أكثر مما نتوقع موافقة دافعوا ضرائبنا. (ومع ذلك إنَّ – سيره بلوتراخ – لم تعد الموضة ويجب أن تدفع لى جيداً قبل أنْ أذهب إلى السودان) هى الفكرة. يمكن للسودان دفع نفقاته (إذا إنفصل عن الزوائد)ولكنه يحتاج إلى دكتاتور وأنا لن أقبل هذه الوظيفة إذا عرضت عليّ.

٢٦ أكتوبر

جاءت ثلاث نساء من ود النجومي. هناك إشاعة آخذة فى الإنتشار بأن المهدي قد مات، وأنّ وكيله هو من يلعب دوره. يفكر العرب فى إقامة معسكر فى كرري بالأمس أسبوع الذكرى السنوية لهزيمة هكس فى الأول من نوفمبر ١٨٨٣، مع أني أعتقد أنها دامت ثلاثة أيام - الأول والثانى والثالث من نوفمبر. أحضر العرب اليوم مدفعاً بالقرب من بري ومن المحتمل أنّ غياب البواخر شجعهم على ذلك .

جاء من أم درمان من معسكر العرب اثنان ملازمان ورقيب أول واثنان مساعدان وجندي وعبد. يقولون: بأن المهدي حيّ ومعه صالح باشا مقيد بالسلاسل وحسين باشا خليفه وإلياس باشا وكل الأوروبين سمعوا(قبل عدة أيام) بأن قوة الحملة على بُعد يومين من بربر. كان الملازمان مع حملة هكس ويقولا: بأن الجيش مات من العطش وبالكاد قاتل. مع المهدي ٥٠٠٠ رجل منهم ١٠٠٠ جنود سود و ١٥٠ جندي مصرى. يالها من أهمية ضئيلة يعقدهاو يوليها المهندسون على وجود السكان فى الحصون، ومع ذلك هذا الوجود مهم جداً أكثر من المباني. مالطا وجبل طارق ضعيفان نسبة لسكانها المدنيين.

نصب العرب هذا المساء خيمةً كبيرةً فى الجريف. يقول الملازمان: إنّ المهدي سيقيم مركزاً في المكان الذي طردناهم منه - فى الجهة الشمالية- فى شهر أغسطس الماضى قبل هزيمتنا فى العيلفون، تم تدمير القبة ما عدا منزل السيد

محمد عثمان والجامع وتقريباً منزل سلامة باشا _ الساعة ٨ مساء جاء عبدان إلى أم درمان قالا بأن النظاميين فى معسكر محمد أحمد المهدي ذهبوا بعد الظهر إلى الديم أو معسكر الفكي مصطفى ونهبوه مطلقين النار على جنود الفكي مصطفى الذين قاوموا النهب أخشى أن كل هذا مجرد هراء.

٢٧ أكتوبر

جاء هذا الصباح رقيب وعبدان من أم درمان. أرسلت جاسوسين إلى شندي. شيء سيسبب لي الكثير من السعادة (بالرغم من إنطوائه على الحقد) إذا تم تنفيذ (الانسحاب السريع) وهو أن الإنجليز سيطردون هؤلاء الشايقية والباشبوزق، وبذا ينالون جزاءهم على القلق الذي سببوه لي وعلى أنفسهم. لن يكون لديك أحد هنا لترسله إلى الأسفل ويُسلم الشايقية والباشبوزق للأتراك وكل المجالس السلطانية. لن يكون لديك شئ أفضل من حضور الأتراك، ستتخلى عن كل مسؤولية تجاه كسلا وسنار وستدع الأتراك وملك الحبشة يحمون ما يتعلق باتفاقية هويت. أيضاً لن تنزعج حول بحر الغزال والإستوائية، وستعرف بالضبط المبلغ الذي عليك دفعه، وتوفر ما لا حد له من الإنفاق والوقت والحيرة بالنسبة لتسوية المطالبات. تذكر أنّ بارنج فوضني لسحب أكثر من ١٠٠٠٠٠ جنيه. فى الحقيقة هو قال: (أى مبلغ تحتاجه) وهكذا أنت مسؤول عن المال الورقي الذى تم إصداره.

ستصل إلى إتفاق مع السلطان، أمّا التخلي عن سواكن ومصوع للأتراك فهذا لا يعني شيئاً. لأن هذين الميناءين لا فائدة منهما، ماعدا أنهما موانئ للسودان إذا استولى المهدي على السودان سيكون الإحتفاظ بهما مصدر إزعاج لك وستكون دائماً تحت حصار تام من ناحية البر [٢١].

كلما فكرت في الأمر كلما بدأ أنّ الحل التركي أمر لاخيار عليه. لا أرى خياراً إلاّ إذا سقطت الخرطوم قبل وصولكم، وحتى بعد ذلك لابد من الرجوع

من بربر فوراً بل حتى سيكون خطراً لحد ما لأن سكان دنقلا سيعرفون أنكم قصدتم الإخلاء فيصيرون معادين، لقد ذهبتم بعيداً وأنفقتم كثيراً ولا أرى بديلاً من المواصلة. الأتراك هم الحل الوحيد الذي يوفر تأكيداً للقدرة على المواصلة. ستنتهي كل مشاكلي إذا جاء الأتراك لأني سأحيل كل هذه المشاكل للأتراك ولكم . الفكرة عندما يصل الإنجليز هي أن العرب سيفرون فجأة.

يريد مختار، خادم سيتورات ،الذهاب ليتزوج إمرأة أخرى.إنّه لأمر مدهش كيف يستطيعون الذهاب والزواج فى حين أنّ المرء لا يستطيع القول: بأنه سيعيش غداً . تزوج تانجى امرأتين هنا. لن تستطيع الحكومة النجاة من التخلي عن كسلا (إذا اختبأوا تحت معاهدة هويت وقالوا رتبنا مع ملك الحبشة للإعتناء بالبلد) لن يتحرك الملك إذا تخلوا عنها، فكل من يعرف شيئاً عن الحبشة يعلم أنّ الملك لن يتحرك أبداً هناك إشاعة فى المدينة بأن سلاطين وضع فى الأغلال. لن أُفاجأ بهذا. يقول الرقيب والجنود والرجلين الذين جاءا اليوم: بأن سلاطين ليس سجيناً.

يقول الرقيب: بأن أحد جنودنا هرب من أم درمان قبل ثلاثة أيام. وجدت بالبحث أنها حقيقة وأنّ الضابط الذي يتولى القيادة لم يبلغني بهذه الحادثة.

يقول الرقيب إنّ العرب يفكرون فى الهجوم على أم درمان بناءعلى ما أخبرهم به الجندي الهارب. هذا هو الهروب الرابع منذ شهر مارس والهروب الأول بين الجنود. أطلق العرب النيران على الصنادل التي كانت في نهاية خطوط القتال على النيل الأبيض وأصابوا أحدها. أطلق العرب أربع عشر قذيفة مدفع كروب، وتراجعوا عندما أطلقنا قذيفتين عليهم. أطلقوا النيران من بطاريتهم القديمة في الشجرة.

منحت فرج باشا قبل مدة ١٠٠ جنيه شهرياً وبعدها عينته جنرال فرقة لأسباب سياسية. كانت لديه الجرأة ليطلب منحة ١٥٠ جنيها شهرياً وهذا المبلغ أكثر مما يسمح به القانون، قدم طلباً قبل أيام قليلة للمائة وخمسين حنيهاً وعلف لثمانية خيول ! تجاهل تام لمخزون الذرة في المخزن. قلت -انتظر - كان من الغباء بأن جدد الطلب فقمت بتمزيقه. يمكنه الذهاب إلى العرب إذا أراد. يبدو أنّ العرب يعبرون النيل الأزرق عند الجريف ربما يريدون إقامة معسكر في الحلفاية. رفض الشيخ العبيد إرسال رجاله إلى هناك، سنرى غداً ما سيحدث. أنا لا أُحثُ على إنقاذ هؤلاء الناس إنطلاقاً من شعوري بالاحترام نحوهم، بل لأنهم قوم ضعفاء ولأن طبيعتهم لا تؤثر علي واجبنا تجاههم. لن يتم الخلاص أبداً إذا كان قد اعتمدنا على مزايانا.

بالأحرى يجب عليّ القول بأني أتمتع بالتفكير في الفزع الذي سيصاحب تخفيض الرواتب إلى ربع المعدل الحالي، لقد كانوا أنانين حول هذه الأمور، أعتقد أنهم سيذهبون إلى المهدي إذا منحهم نصف المعدل الحالي، ولكن خدمة المهدي مجانية، لذا لا خوف من ذلك. خاطبني باشبوزق أسود حول عدم ملائمة راتبه وجراياته، لماخرجت همست له بأن : (أذهب إلى شيخ العبيد)كشر عن أسنانه وإختفى من أمامي، لا أهتم الآن، يجب أنْ ننفذ أو نسقط قبل نهاية شهر نوفمبر أو في نهايته. أفكر في إرسال الباخرة الحسينية مع هذه الرسالة! إذا جاء العرب إلى الحلفاية سأفقد كل الأمل في نجاتنا لأن الباخرة الإسماعيلية غير صالحة للذهاب إلى بربر.

يضحكني أن أجد الأهالي متمسكين بالوهم بأن الوضع السابق للأمور في الحكومة من المحتمل أن يعود مرة أخرى قائلين) :ستبقى معنا حاكماً عاماً وإن الأمور ستعود كما كانت في السابق- أجبت- لن أتعامل معكم مرة

أخرى بعد بخلكم -يقولون- إن الأهالي لم يحسنوا التصرف ... الخ). ولكنك ستبقى لتمجيد الرب (أي مصالحنا) إنهم مجموعة مضحكة. الرب على الشفاه والمصالح الشخصية في القلوب. مثل هذه المصالح الشخصية المجردة تماماً حتى أنهم يضحكون عليها. جاء الليلة جندي وعبد إلي أم درمان، قالا: بأن المهدي لم يقرر ماذا يفعل. يقوم النظاميون بالسرقة من العرب، لذا نزع المهدي أسلحتهم. جاء جاسوس من سنار ومعه خطابات تعدد قبل قبل خمسة عشر يوماً. تقول الخطابات بأن سنار علي ما يرام. هذه إجابة على خطاب أرسلته إلى سنار قائلا (الحملة في طريقها إلى إنقاذ الحاميات) هكذا هي سنارتعتمد عليّ النظر في أمورها.

٢٨ أكتوبر

يقول الرجل الذي جاء من سنار: بأن المهدي أمر كل العرب في جميع الأرجاء بالتجمع في الخرطوم. أقام شيخ العبيد معسكراً قرب الجريف في الضفة الشرقية من النيل الأزرق. لديهم مركبين تترددان عبر النهر تحملان القمح من شيخ العبيد إلى ود النجومي. كان العرب هذا الصباح في مجموعة استطلاع حول خرائب قرية أم درمان.

جاء هذا الصباح إلى أم درمان من العرب ملازم ورقيب وأربعة جنود ومراكبي. تقول الشائعات أنّ المراكب تنهب شندي (أتمنى أنْ يتذكر بأن لا يجيء إلى هنا أمامي الضابط والجنود والباشوات المصريين) غادر المراكبي بربر قبل ستة أيام، يقول: أنّ العرب في بربر أرسلوا الأموال المستولى عليها إلى الصحراء وأنّ السيد محمد عثمان ومعه قوة مختلطة على مسيرة يومين من الدامر، وأنّ البواخر الخمس أخضعت شندي. إنّ الطريق من هنا إلى شندي خال من العرب الذين ذهبوا إلى الصحراء. أعداد ليست كبيرة من العرب ينهبون بالقرب من السبلوقة ولكن أعلى منها، إجتازت الباخرة عباس بسلام وقبض فقط على المركبين اللذين يحملان الحطب، وقد تم تركهم بعد تفريغهم. تظاهر شيخ في دار قمر بأنه ودود وحاول الإستيالاء على الباخرة التي أطلقت النيران على العرب وقتلت الكثيرين منهم. تم الإمساك بثلاثة جواسيس تابعين للسيد محمد عثمان وأُعدموا. كانوا يحاولون الإتصال بدنقلا. ذهب رجل يركب جملاً من بربر إلى دار قمر ورجع في

يوم وأحد. الحملة في دار قمر. قال لضابط:إنّ المهدي متردد فساعة ينزع سلاح النظاميين وساعة أخرى يعيدها - العرب يفرون وآخرون ينضمون إلى المهدي يوماً بعد آخر.

إنفجر لغم في الجهة الشمالية وأصاب رجلاً سمعت أنه جرح جرحاً خطيراً- إذا لم يكن قد مات. عند استجواب المراكبي مرة أخرى قال: بأن دار قمر ليست الشلال ولكن مكان (قرب الشلال وأسفل بربر) على مسيرة يوم ونصف من بربر. لدى قوات الحملة ثماني بواخر (أحداها الرفاص القديم في دنقلا والذي سحبته من وادي حلفا عام ١٨٧٨) قال الرجل: إنّ الباخرة عباس ذهبت إلى دنقلا (لماذا لم ترسل مع الأُخريات!) منحت راتب شهر ونصف لكل الرتب أقل من رقيب. أدين لهم براتب نصف شهر.

إذا قام جنرال الحملة بإرسال قوة بالنيل إلى بربر للاستيلاء عليها و سار بعد ذلك مع معظم القوات من مروي، يكون في رأيي قد فعل الصواب.

ستكون نزهة إذا لم يكن قد تم الاستيلاء على بربر. يارنج! يارنج[٢٢]!! من الأفضل أنْ تقوم القوة القادمة بالنيل من مروي إلى بربر بتهدئة ضفتي النيل في المثلث الذي يضم مروي وأبو حمد وبربر، بحيث أن القوات الرئيسية المتحركة من مروي لا تتعرض إلى هجمات إلا من الجانب الجنوبي فقط حيث يوجد القليل من الناس. تجربتي أنه إذا فعلت ذلك فلن تعرض نفسك للهجوم من كل الجوانب. على الأقل أمّن نفسك من جانب واحد. ستحمي القوة المتقدمة أعلى النيل من جانب بالنيل والقوة القادمة في المقابل من مروي ستكون محمية في الجانب الشمالي بالمثلث الذي تم إخضاعه. يبدو هذا المساء أن العرب لاينوون القدوم إلى الحلفاية. لديهم محطة في الجريف

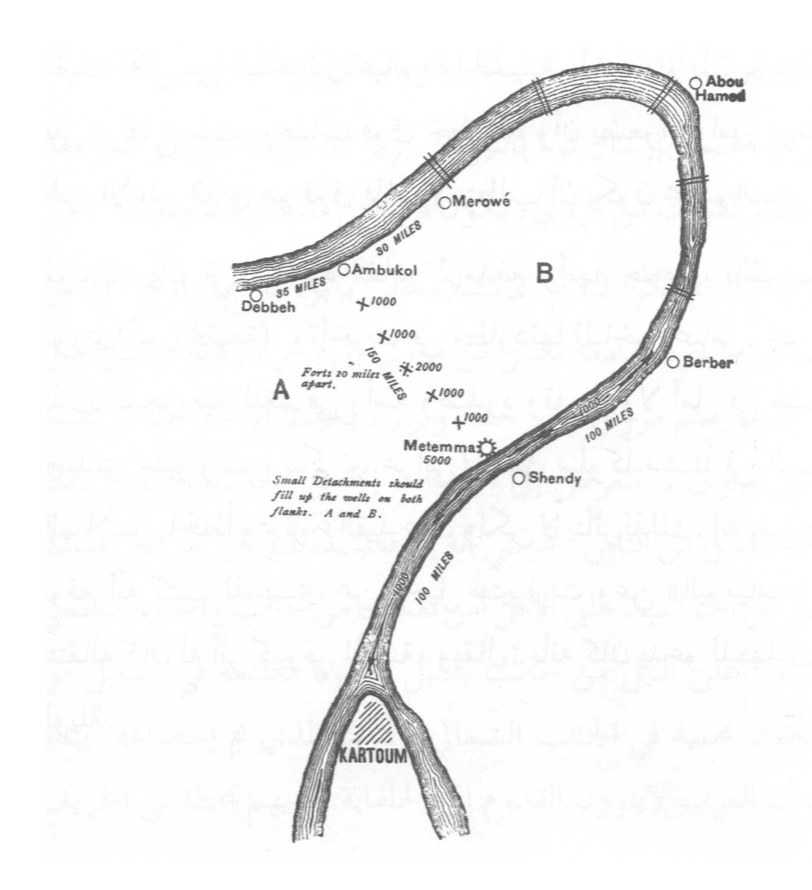
وأخرى في كوكو التي هي تقريباً قبالة الجريف على الضفة الشرقية للنيل الأزرق. (نهاية الورق النشاف)[٢٣]

حاول فرج باشا بطريق ملتوي مرة أخرى الحصول على ١٥٠ جنيهاً شهرياً وعلق (أي ذرة) لأربعة خيول وجرايات لعشرة رجال - فشل فشلاً ذريعاً وعليه أن يرضى بمائة جنيه شهرياً- إنهم قوم خسيسون (لا تدع أي من هؤلاء المصريين الموجودين في البواخر الرجوع إلى هنا، إنّها صلاتي المخلصة) (سيغضب فلوير على استخدامي السيىء لنماذج التلغراف)[٢٤]. أنا مسرور لأن الباخرة عباس لم تتخلَ عن اليونانيين، فقط تخلت عن المراكب التي تحمل الحطب. آمل أن تكتمل خلال أربعة عشر يوماً باخرة أخرى شقيقة لكل من الباخرتين عباس والحسينية. أخبرتهم بأن يبرشموها فقط على ارتفاع ست بوصات فوق خط الماء وأن يضعوا مواسير برشام لتثيت الجزء الأعلى الذي هو فوق الماء ولا يتطلب أن يكون محكم السد.

يقولون: بأن في الباخرة الفاشر[٢٥] مدفع وأنها جنحت بالقرب من أبي شورى(أبو الحقيقة) وتأخرت في مطاردتها للباخرة عباس. جرح الرجل الذي انفجر فيه اللغم في رأسه وصدره وقدميه ولا أمل في شفائه. عون (صديق ستيوارت وسكرتير عرابي) سلك سلوكاً مشيناً في السجن. قيد بالسلاسل بالخطأ وتم نزع القيد عنه، ولكن لا يتأثر لذلك. إنه يسيء للجنود. أتوقع أنّه كتب للمهدي عن رحيل ستيوارت وعن «اليوميات» وقيل أنّ اعتقاله كان له أثّر كبيرفي المدينة، ويقال: بأنه كان يدعو للمهدي منذ فترة طويلة.

٢٩ أكتوبر

اليوم هو العام الهجري ١٣٠١ الذي يقال: بأنه يوم كارثة هكس التي كانت في الأول والثاني والثالث من نوفمبر، ولكن بالنسبة للعرب هو ١٢و١٣و١٤ محرم. عرفت الأخبار في القاهرة بعد ثلاثة أسابيع من حدوثها. منذ ذلك اليوم وحتى تاريخه جاء تسعة رجال كتعزيزات - شخص وستيوارت وهيربين وحسن وتونجي و رشدي.



وثلاثة خدم ولا ينس من المال[٢٦]. غادر اثنان من هؤلاء ومات حسين وهكذا بقي فقط ستة من الذين أرسلوا، بينما كان يحب علينا إرسال أكثرمن ١٥٠٠ و٧٠٠ جندي – المجموع ٢٢٠٠ بما في ذلك اثنين من الباشوات وإبراهيم حيدر وحسين سري و كويتلاقون... الخ. عندما جئت كان للنظامين متأخرات ثلاث أشهر من الرواتب والآن لهم راتب نصف شهر، والباشبوزق لهم متأخرات ربع شهر ولدينا ٥٠٠ جنيه في الخزينة– إنها معجزة. خسرنا معركتين وتكبدنا خسائر فادحة في الرجال والسلاح ويمكن أنْ يقال بإننا عانينا طوال هذه المدة. لا أستطيع الإدعاء بأننا حققنا أي نجاح خلال كل هذا الوقت. من الواضح إنّ الأمور سارت ضدنا بينما كنا نعتقد بأننا حصلنا على الأفضل.

أعتقد بأن لدينا الكثير من الذخيرة (بالرغم من أننا أطلقنا ثلاثة ملايين طلقة على العرب) ومن الجنود. أكثر مما كان لديه عندما حضرت لدينا من الأسباب ما يدعونا لنشكر الله على حمايتنا. كان لدينا الكثير من الظروف غير المواتية وسوء الحظ غير المتوقع. موت بيراني بك[٢٧] في القطينة والرحلة الأولى للبواخر إلى سنار، والتي كانت عديمة الفائدة وهزيمتنا (بعد نصر العيلفون) التي فقدنا فيها الجزء النشط من قواتنا ومقاتلنا محمد علي باشا واستسلام صالح باشا ومعه ١٥٠٠ رجل مع الاستيلاء على الباخرة محمد علي وسقوط بربر مع فقدان باخرتين. من المدهش أننا في الوضع الراهن بالرغم من مثل هذه النجاحات القليلة والكوارث الثقيلة. جرح ستيورات وتونجي. فقدنا ثلاثة بواخر اثنين في بربر و واحدة في النيل الأزرق، وبنينا أخرى هي الحسينية و نأمل في إكمال بناء أخرى خلال أسبوعين مما يجعل خسارتنا باخرة واحدة. نتج عن هزيمة العيلفون وصول المهدي إلى هنا

والذي كان من الممكن أنْ يكون خطيراً جداً، ولكن من الواضح أنّ وصوله لم يحدث ضرراً. لدينا ٤٠٠٠٠ جنيه ورقي في الخزينة و ٥٠٠ جنيه ولدينا ١٥٠٠ جنيه ورقي في المدينة.عندما حضرت كان معنا اثنين من الباشوات هما إبراهيم حيدر وحسين سري ولدينا الآن اثنين فرج و نصحي. جاء اليوم إلى أم درمان امرأتان هما زوجتا الرجلين اللذين هرباً بالأمس (معهما وليد صغير أسمر) قالتا: إنّ العرب غاضبون من الفرار كما جاء صبي. يبدو إذا نظرنا إلى الشهور الماضية بالتفصيل أنّ الأحداث كانت ضدنا كثيراً، بينما إذا نظرنا إليها عموماً كانت أكثر نجاحاً. كانت لدى دائما فكرة إنه لن يسمح لنا بإسناد إي نجاح لأنفسنا، وإنّ الأحداث ستستقر على أنا فقط، نتدافع وليس لدينا ما نعتز به كانت هزيمة محمد علي باشا نتيجة لرغبته ورجاله وأهالي الخرطوم في سلب ونهب شيخ العبيد (الرجل وليس المدينة)، إنها ضد ميولي الفطرية فقد أردت الاستيلاء على بربر وهي العملية العسكرية الصحيحة والتي كان يجب أنْ تباشر. وافقت فقط لأنهم كانوا قلقين وصوروا الأمر بأنه سهل. لو كنا استولينا على بربر، ربما رأت حكومة جلالتها من أن لا ضروره لحملة لإنقاذ الحاميات. لن يكون صحيحاً التفكير بهذا الشكل. إنّ الاستيلاء علي بربر قد يكون ممكناً إلا أنه ليس في مقدورنا وضع حاميات فيها. سيكون نصراً عقيماً ولن يساعد على حل مشكلة السودان أو انسحاب الحاميات. ومن ناحية أخرى قد يوقف الحملة لإنقاذها.

رجال المهدي وليس رجال ود النجومي هم من أنشأوا محطة في كوكو على الضفة الشرقية للنيل الأزرق مقابل الجريف. أتوقع أن هذا الإجراء لإيقاع الرعب في قلب الشيخ العبيد. أمسك البقارة هذا الصباح في الناحية الشمالية بثلاثة من العرب (أحدهم شقيق الكاتب الذي وجدت متعلقاته

على الشاطيء واعتقدنا بأنه قتل) كان هؤلاء الثلاثة يقومون بسرقة خيول يملكها صالح باشا. جاء إلى أم درمان عبد من العرب ويقول بأن المهدي قال: بما أن شهر محرم مقدس فهو لاينوي القتال. لم يتصرف وفق هذا الرأي بالنسبة إلى هيكس، ولكن في ذلك الحين هوهيكس من قام بمهاجمته أو محاولة مهاجمته.

أُثيرت شكوك حول صدق ذلك المراكبي الذى أدلى ببعض الأكاذيب حول كيفية ذهابه إلى بربر في مركب حكومي _ لم يكن هذا صحيحاً. مع ذلك مقولته أبهجتنا لبعض الوقت. قال أحدهم)تاليراند)إذا إنتشرت كذبة لمدة أربع وعشرين ساعة فقد أدت مهمتها، ومع ذلك لازلت عند رأيي إذا استمر الموسم إلى هذا الوقت و لم ينخفض النيل فإن الطريق لحملة تحمي الجنود هو الأصح، ولكن يجب أن تكون بدأت في شهر يوليو مع إرتفاع النيل. يقول الرجال الثلاثة الذين قبض عليهم اليوم: (قوة الحملة لازالت في الدبة) أتوقع أن هذه هي الحقيقة فإن قدوم البواخر الثمانية غير ممكن الآن نسبة لإنخفاض النيل. المسافة المباشرة من الخرطوم إلى الدبة حوالي ٢٥٠ ميلاً وإذا كان الكبابيش أصدقاء فإن الطريق ليس سيئاً ولكن أرى أنّ الطريق من أم بكول إلى المتمة هو الأفضل (هل يمكن للحملة أن تعلم بأن لدى ثماني بواخر في المتمة)؟ لأنه يبعد ١٥٠ ميلاً فقط وهناك نقل نهري من الدبة إلى أم بكول. الطريق من أم بكول إلى المتمة لايمتد عميقاً من الصحراء. المسافة من مروي إلى بربر ١٥٠ ميلاً ومع نقل نهري من الدبة إلى مروي سيكون أفضل الطرق إذا أستطاعت الحملة عبور النيل في بربر. العدو الوحيد الذى تقابله القوة في أي من الطرق الثلاثة هم رجال على ظهور الجمال والخيل حتى وصولها إلى ضفاف النيل .

٣٠ أكتوبر

جاء العرب هذا الصباح إلى الحلفاية وقبضوا على بعض الأهالي. لا أعرف إن كانوا سيبقون هناك أو لا. تقول الشائعات إنهم في طريقهم إلى السبلوقة وشندى للتصدى للبواخر. لديك الخريطة التي أعدها مهندسو السكك الحديدية للطريق من أم بكول إلى المتمة وفيها كل المعلومات عن الآبار.... الخ. يجب إقامة محطات حصون على طول الخط وعند خروجى من المتمة عليَّ فصل كتيبة للاستيلاء على بربر و كتيبة أخرى تتجه نحو الخرطوم وأن أكون حذراً من المدافع عند ممر السبلوقة (عند اجتيازه يجب أن يسير الرجال علي الأقدام وأن لايتركوا في المراكب أوالبواخر) أقيم في المتمة قاعدتي لكل العمليات في السودان المرتبطة بوادى النيل. من المحتمل أن يكون عدد الحصون التي أقمتها في محازاة الطريق أكثر مما يحتاج إليه. تضم القوة التى إتجهت نحو الشمال (شندي) ٢٠٠ رجلاً من المشاة و ٥٠ علي ظهور الخيل.

جاء رجلان من الجبهة الجنوبية وقالا بأن شيخ العبيد مع المهدى و ود النجومى وأبوقرجة في الجريف. أعتقد أن العرب استولوا على أحد مراكبنا التجارية في الحلفاية

لدينا ١٢٠٠ رجل في الجهة الشمالية و لم نتجرأ علي إظهار أنفسنا عندما ذهب ٢٥٠ من العرب بجسارة وعبروا الجبهة إلي الحلفاية. يكفي هذا ليقلل من معنوياتنا. جاء عبد إلى أم درمان ويقول بأن المهدي قال إنه لن يقاتل إلا بعد شهر محرم (اليوم هو الثاني عشر من محرم).

أطلق العرب اليوم النيران من قرب النيل الأبيض ولكن لم يحدثوا ضرراً.

استيقظت متأخراً اليوم لأني لم أستطع النوم في الليلة السابقة، وبالتالي نام كل شخص و لم تتم المراقبة الصحيحة للعرب. أعتقد أنني كنت قد كتبت عشرين أمراً في هذا الصدد، حول المراقبة ولكن لافائدة . رجع العرب إلى الجريف . سأجعل ضابط الطابية الشمالية يدفع تعويضاً للجرحى من الرجال ولأسر الذين قتلوا في الغارة . الخريطة التي أعدها مهندسو السكك الحديدية (١٨٧٤– ١٨٧٥) لابد أنها تشمل كل المعلومات عن إمدادات المياه في الطريق أم بكول – المتمة . في الحقيقة أنّ إنقاذ الحاميات يعتمد فقط على مسألة عبور طريق طوله ١٥٠ ميلاً وممسوح جيداً وفي النهاية توجد خمس بواخر وتسعة مدافع . بالطبع هنالك مشاكل كثيرة حول ترتيبات النقل ولكن لا أخطار معينة .

أعتقد أننا (أي هؤلاء الشايقية) فقدنا اليوم ثلاثة وعشرين جندياً تم اسرهم وجندي قتل وآخر جرح ، كما تم الاستيلاء على سبع عشرة بقرة وخمس نساء وثمانية عبيد وثلاثة حمير وسبعة خيول[٢٨] وأربع وعشرين بندقية رمنجتون[٢٩]. تم كل هذا بعد أن حذرتهم من هجوم وشيك وحذرتهم خاصة الليلة الماضية بعد القبض على الجواسيس الثلاثة. كان عدد هؤلاء الشايقية ١٢٠٠ وفي الجانب الآخر ٢٠٠ من العرب معهم ٣٠ حصاناً و لم تحاول هذه المجموعة البغيضة الدفاع عن أنفسهم. إلى أي مدى اتطلع الي تسريحهم! ياله من وقت كنت سأعانيه إذا كنت تركتهم في الحلفايه. لقد كافأنا العرب مع الفائدة على غاراتنا بالفرسان قبل عدة أيام. سأوصي بتسريحهم فوراً بمجرد وصول القوات ويهدأ الجو في ميحط الخرطوم. لا

أرى سبباً لعدم قيام (حملة إنقاذ الحاميات) بالاستيلاء على بربر والوصول إلى الخرطوم في ١٠ نوفمبر (تفاخر اللورد العمدة) والذي سيمنح وقتا كافياً افتراضا بأن القوات تحركت من القاهرة في ١٥ أغسطس وأخمن بأن هذا ما حدث (من بلاغ كتشنر في ٣١ أغسطس).

تلك الإشاعات القوية ما كانت ستعرف في الدبة (لمدة عشرين يوماً على الأقل) بأن بواخر الخرطوم كانت في المتمة (تنهب يميناً وشمالاً) ما كان هذا محتملاً حتى لو أنّ جواسيسي الكثيرين لم يستطع أحدهم الوصول. هذه الإشاعات كانت لتسير بأن طريق أم بكول - المتمة هو الطريق الذي يجب أنّ يسلك - حتى لو لم تقرر مسبقاً وهو أمر محتمل

طريق أم بكول إلى المتمة ـ تجوال العرب

أم بكول إلى تسقي	٢٤ ساعة
تسقي إلى أم حلفا	١٢ ساعة
أم حلفا إلى جقدول	١٢ ساعة
جقدول إلى أبو الكيلك	١٨ ساعة
أبو الكيلك إلى المتمة	١٢ ساعة
القافلة	٧٨ ساعة

الكثير من الآبار - لا آبار مهمة على الجوانب

أتوقعُ إيجاد مياه على طول وادي أبي جير - كما توجد مياه في كامبوك التي تقع على مستوى أعلى. لا أتوقع خطراً على قوة من ٢٠٠ رجل حتى بئر جبل جيلي- هذا يختصر ٦٠ ميلاً من المسافة التي تبلغ ١٥٠ ميلاً وتبقى

٩٠ ميلاً. في الوسط تجد بتري أبو حلفا و جقدول اللتان تبعدان ١٢ ميلاً من بعضهما. هذا الجزء يبعد ٨٠ ميلاً إلى أم بكول و ٦٥ ميلاً إلى المتمة. يبدو أنه لا توجد آبار على الجوانب تمكن العرب من التجمع بأعداد كبيرة.

٣١ أكتوبر

جاء ثلاثة جنود من العرب الليلة الماضية من ناحية النيل الأبيض . اليوم هو ٧ أشهرأو ٢٣٣ يوماً منذ أنْ ظهر العرب مباشرة في جوارنا منذ ذلك التاريخ لم نتمتع بسلام. سيكون البرد قارساً في الصحراء وأعتقد من بين كل الصحاري دنقلا هي الأبرد.

لا أعتقدُ أنه يجب عليّ إرسال نصحي باشا والمصريين الذين يتم تنزيلهم من البواخر إلى الأسفل أبعد من دنقلا في هذه اللحظة - إذا فعلت فستعرض دنقلا للخطر.

بالتأكيد بالنسبة لهؤلاء الذين يؤيدون الانسحاب السريع فإن وجود مرسي رئيس في المتمة سيسهل الحركة كثيراً للحاميات وأهالي الخرطوم وسنار. من الواضح أن شندي - المتمة هي النقطة الإستراتيجية الرئيسية في السودان فمنها تصل إلى الخرطوم وبربر وسنار عن طريق النيل ،وإلى كسلا عن طريق وادي عطبرة. ولكن بدون وجود خط سكة حديد فويلر حتى شندي، فأنا أفضِّل إقامة محطات في محازاة النيل لأنه الطريق الآمن ،وبقوات صغيرة على النيل تتخلص من النقل بالجمال، والذي يعتمد على مزاج القبائل العربية وبالإضافة إلى ذلك فإن طريق النيل أرخص ويمكن استخدامه عند ارتفاع النيل.

كان هناك صول بين الثلاثة جنود الذين جاءوا بالأمس. يقول بأن محمود خليفة كتب إلى والده، والذي هو مع محمد أحمد، بأن الجنرال الإنجليزي

طلب منه إحضار جمال سراً وأنه يماطل بقدر ماهو ممكن، وأن الجنرال الإنجليزي يريد الذهاب في مجموعة واحدة، ولكنه يحاول أنْ يجعله يذهب في أربع مجموعات. محمود خليفة خائن كسائر أسرته ويجب أن يعاقب، وأعتقد بأن هذه المعلومات صحيحة. يقول الرقيب: إنّ محمود خليفة في دنقلا أو الدبة. سيدخل المهدي الغار هذا الشهر والذي يليه. إنه الآن في غاره وكل الأوربيين مع المهدي (ليسوا في الغار) سلاطين صديق حميم للمهدي ويراه كل يوم؟ (بالأحري هذا عكس تقرير الغار).

الفرنسي الغامض ليس مع المهدي بل في كردفان، وصل إلى معسكر المهدي قبل ١٥ يوم الخطاب الذي نتحدث بأنه مرسل من محمود خليفة وهذا يعني أن الخطاب أرسل من دنقلا قبل حوالي ٢٢ يوماً (٩ أكتوبر) ،هل يمكن أن نتذكر إذا كان قد حدث أي جدال عنيف منذ ذلك الوقت، أي ٩ أكتوبر، حول موضوع مسير الحملة؟[٣٠] هنالك ملحوظة في الخطاب بأن الجنرال الإنجليزي رغب في أن (يسير الجميع مع بعض لأنه لن يترك مريضاً خلفه)، يقول الرجل: بأن محمود خليفة كتب خطاباً أخر إلى والده يطلعه على بداية التحرك من دنقلا إلى بربر. يمكنني أن أظهر الصول الذي أدلى بهذه المعلومات.

العرضة كالمعتاد وأتوقع أنهم عرضوا أسرى الأمس. إنّه لأمر عجيب أن تستخدم محمود خليفة ووالده حسين باشا خليفة المزعوم بأنه أسير لدى المهدي. أعتقد بأن ستيورات يعلم بأن الوالد قد سلم بربر بنوع من الخيانة. أرجو أنْ ينظر مدير دنقلا في أمر هذا الرجل.

يقول الصول: إنّ المهدي يعلن بأنه سيعدم شيخ الإسلام (الذي سجنته) لأنه منع استسلامنا. في بعض الأخبار أنَّ تابعاً لشيخ الإسلام جعل بعض أصدقائه

يرشون الصول، بينما هوفي طريقه إلى القصر ليقول هذا. جاء إلى أم درمان ثلاثة رجال أحدهم رقيب و واحد عريف وعبد. يقولون بأن الكثيرين من العرب يغادرون يومياً إلى كردفان. أرسل المهدي ثلاثة مجموعات لإرجاع الهاربين. يقوم المهدي بأخذ زوجات الآخرين، مما يجعل العرب يشكون في قداسته. لدى المهدي أربعين قذيفة لكل مدفع كروب ولديه مدفعين.

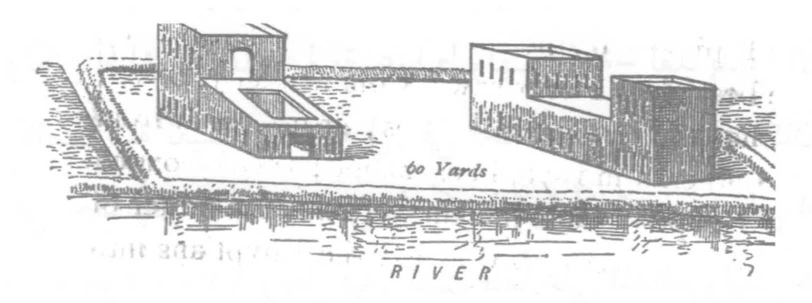
كان العبد بديناً جداً وله وجه كوجه الثور ولكنه صادق. حين سألته لماذا جاءوا إلى هنا. قال: (لأنه كان لديه القليل ليأكله عند العرب) شكله يكذب كلماته. لم يقل هؤلاء الرجال أي شيء عن مسألة الغار. الهيكل العظمي الحي في المستشفي (يعرفه ستيورات)(غادر الحياة بالأمس. لا أقول إنّ أحداً سواي حزين عليه فأنا كنت أعرفه. اتضح أنّ الرئيس الشايقي وهو قائد الطابية الشمالية كان نائماً في المدينة قبل ليلة أمس الأول وهكذا كان غائباً عند حدوث كارثة صباح أمس، وكذلك الضابط عثمان بك الذي ذهب إلى بربر مع البواخر لحراسة الباخرة عباس إلى ما بعد بربر والذي سمح للباخرة الفاشر بمطاردة الباخرة عباس، لم يبلغ أبداً عن غياب الرجل. استدعيتهما وخصمت راتب شهر من كل واحد منهما.(لا يوجد حارس عند الطابية الشمالية كالمعتاد. هم غير قابلين للإصلاح. ومع أنّ رجالهم ذهبوا للبحث عن البنادق المفقودة إلاّ أنني أمرت بجلدهم ثلاثين جلدة – أي الحراس).

دخلت بقرتان حصن أم درمان. أطلق العرب طلقات قليلة على خطوط القتال بالقرب من النيل الأبيض و لم تصل إلى الخطوط . أتوقع أنّ الزعماء العرب أرسلوا النظاميين لإطلاق النار على خطوط القتال، وأطاع النظاميون الأوامر كما يتم إطاعة أوامري هنا. يكره الحصن الشمالي منظاري – الذي أنظر من خلاله بالليل والنهار. إنّه من سيفالير من باريس، التقطه هنا ودفعت

مقابله خمس جنيهات، إنه أفضل منظار رأيته. لدى كوماندر ج. بيكر أفضل مناظير الأوبرا. تحصل عليهم مني في بربر عام ١٨٧٥ بالمقايضة. هي ملك الحكومة المصرية.

كان والد حسين باشا خليفة من قاد المصريين عام ١٨٢٣ داخل السودان. تنحدر الأسرة من أسوان ولهذا منحوا احتكاراً للتجارة عبر صحراء كورسكو. نزع الاحتكار منهم في عهد إسماعيل باشا أيوب حوالي ١٨٧٢ وأنا أعدته لهم. سمعت أنْ المهدي ألغى هذا الاحتكار بعد سقوط بربر أو بالأحرى وافق على احتفاظهم به. أعتقد أنّ أفضل من في العائلة هو الشيخ حميد الذي مات هذا العام.

أرسلت الخيالة الشايقية إلى مشهد كارثة الأمس. استعادوا حصاناً وحمارين وثلاثة رمنجتون. ووجدوا جثة أحد العبيد. سأجعلهم يدفعون ثمن الرمنجتون المفقود. وعددها الآن تسعة عشر. لا أستطيع تحمل إلغاء الرمنجتون بهذه الطريقة. هذا يعيد إلى ذهني واقعة عندما كان لدى ٧٠٠ رجل في الحصن الشمالي مكون من منزلين ويبعدان عن بعضعهما بحوالي ٦٠ ياردة. وكان ميلون في المنزل الذي به التلغراف - رفض فتح باب منزله وبعث برسالة إلى المنزل الآخر خوفاً من العرب المعسكرين على بعد ثلاثة أميال. كان الوضع هكذا.



شعرت دوماً بعدم الأمان بخصوص خطوط القتال لأني أعتقد بأنّ مئة رجل ذوي عزيمة سيخترقون الخطوط بسهولة إذا هاجموا من جهة الشايقية أو الباشبوزق. هذه المخلوقات اعتادت على البقاء داخل المنازل من حوالي الساعة ٧ ولن يخرجوا أبداً إلاّ بعد طلوع النهار. لم يكونوا بعيدين عن النهر بأكثر من ٨٠ ياردة. سأراهن بأنّ الباشبوزق الأتراك والشايقية والجنود الفلاحين ضد أي قوات من العا لم بأنهم لاجئون !! أتوقع أنّ السبب في عدم أخذ العرب للخيول الثلاثة التي أعدنا الاستيلاء عليها هو خوفهم مثل رجالنا. الأسوأ هو أنّ هذا الخوف يؤخذ كأمر طبيعي من قبل سكان الخرطوم، وقد يقول المرء أيضاً بالنسبة للضباط. لا أحد ينزعج أو يخجل. بموجب غياب الحراس من الحصون اليوم، أتوقع ألاّ يستطيعون الجلوس مرتاحين الليلة بعد الثلاثين جلدة.

لا يستطيع المرء إلاّ أن يشعر بالضحك على هؤلاء الشايقية لأنهم كذابين متبجحين مثل الباشبوزق الأتراك القاهريين.عندما تأتي إذا كنت ستفعل! سترى كيف سيظهرون. لديهم طبول نحاسية صغيرة قطرها شبر وكلما أسمعها أميل إلى الشر. يعود هذا إلى عدة سنوات ماضية. الشايقية هادئون اليوم. جميعهم داخل منازلهم. قليل منهم خاطر بالخروج لأبعد من ٢٠٠ ياردة يقال: بأنهم خجولون ويجب أنْ يكونوا، إذا كانت الكلمات تجعلهم كذلك ولكن أشك في هذا. لم يقرعوا طبولهم الليلة- لقد بدأوا الآن في قرعها. كانت ليلة تعيسة بالنسبة لي. في أحدى المرات عندما كان لدي مدفعين في حصنهم، لاأه كان من الممكن لبقرة أن تستولى على الحصن بالرغم من وجود ١٢٠٠ رجل فيه. كنت قلقاً على المدافع وليس عليهم.

تم وضع السرج فوق الحصان الذي تمت استعادته أمس وألجم، ولكن كأي بهيمة حكيمة وبما أنه لم يستطع الأكل قام بكسر اللجام بوضع حافره عليه. أرسلت تلغرافا إلى الراكب (كنت واثقاً من أنَّه لن ينظر إليه في وجهه بعد تركه كل الليل بلا شيء مع السرج على ظهره)[٣١].

١ نوفمبر

جاء العرب هذا الصباح إلى حصنهم القديم أمام بري وأطلقوا طلقات قليلة، و لم يستمروا في البقاء لأكثر من خمس دقائق. جاء إلى أم درمان باشا من بولانق ومعه ابنه واثنين من العبيد. أبلغوا بأن المهدي في الغار وأعيد لسلاطين كل ممتلكاته، وأنَّ العرب مستمرون في الفرار من المهدي الذي يرسل النظاميين لإعادتهم، وأنّ الفارين يقاتلون الجنود وقد قتلوا الكثيرين منهم. كما أنَ العرب يشكون عموماً في رسالة المهدي ويرغبون في عودة الحكومة. لن يحارب المهدي خلال شهر محرم وصفر. هرب بالأمس ٢٥٠ من العرب. أرسل المهدي النظاميين خلفهم وقتل أربعة نظاميين وأفلت الفارون. يهرب يومياً ما بين خمسين إلى مئة. إنهم جماعة رائعة. كان تجار السوق يرفضون دفع أكثر من ثلاثة ريال ونصف مقابل الجنية الذهبي الإنجليزي بينما السعر الرسمي هو ما بين خمسة إلى ستة ريالات.

ألقيت القبض على هؤلاء التجار وأرسلتهم إلى القتال مع أوامر كاذبة بإرسالهم إلى ود النجومي، ولكن الأوامر الحقيقية كانت الاحتفاظ بهم عند خط القتال. آمل أن يعيدهم هذا إلى رشدهم. سأعيدهم مرة أخرى عندما يوقعون على ورقة بموافقتهم على شروطي. إنه طغيان ولا سبيل سوى هذا المسلك. مسيرة حقيقية شقت طريقها خلال السوق. تضم تسعة مذنبين، أمامهم ثلاثة جنود مثبتين السونكي على البندقية وثلاثة جنود كما سيق من خلفهم وحارس راكب في كل جانب شاقين طريقهم لخطوط القتال.

خدمي هم مجموعة موظفين. لا أسمع أبداً مثل هذه الأشياء من الموظفين وأتوقع أنه تتم رشوتهم ليصمتوا.

الساعة ٧ مساء – نار صغيرة – ساطعة في اتجاه ..... وأسفل الحلفاية. استمرت بالكاد مدة دقيقة إنني أشبع كبريائي بإطلالة جيدة[٣٢].

جاء هذا المساء إلى أم درمان جنديان هاربين من العرب لا جديد. أحد الأشياء المزعجة في هذه الحياة الطريقة التي يتربص بها الشخص عند خروجه ويواجه بالولولة والعرائض مطالبين بالذرة. هذه هي الأوقات التي يشعر فيها المرء بإظهار حسن النية تجاه السادة الذين حكموا القاهرة خلال السنوات السبع الأخيرة.

٢ نوفمبر

هؤلاء الرجال الذين أرسلتهم ظاهرياً للعرب استسلموا وسمحت لهم بالرجوع إلى المدينة. أكره هذه الإجراءات القسرية ولكن ما العمل؟ أخافتهم أفضل من وضعهم في السجن أو تقيدهم بالسلاسل. الكلمات والأوامر ليستا بذات جدوى.

جاء هذا الصباح درويشان بأسلحتهما أمام خط القتال (عند بوابة المسلمية) وقالا :بأن لديهما خطاب من المهدي. قلت: (أتركا الخطاب وارجعا. لن أسمح لكما بالدخول . لن تنفع الكتابة مرة أخرى).

أطلق العرب النيران على خطوط القتال بالقرب من النيل الأبيض. رددنا على هذه النيران ويبدو أننا الحقنا بهم بعض الضرر لأنّ كل الديم خرج. لقد منعت إطلاق النيران على العرب إلا إذا جاءوا قريباً بحيث يؤذون رجالنا، فأنا أتوقعُ بأن إطلاق هذه النيران الغامضة يقوم به الجنود المقبوض عليهم فقط للالتزام في الظاهر بالأوامر التي يصدرها الزعماء العرب.

وصل خطاب معنون إلى كل المدينة، لم يكن به ختم وبه الهراء المعتاد بأن المهدي هو مهدي...الخ. جاء جندي إلى أم درمان من العرب وقال: بأن المهدي ليس في الغار ولكنه في خيمة (رجل غبي جداً) !سرق أحدهم ٩٣٠٠٠ أقة بسكويت. حدثت هذه السرقة قبل عام، وتم إكتشافها فقط قبل يومين. يتعجب أهالي المدينة من أن المرء لا يتلقى أي معلومات كانت

المعلومات من كتشنر بتاريخ ٣١ أغسطس واستلمت في ١٧ سبتمبر – قبل ٤٦ يوماً من الآن. لاشك أنّ المعلومات كانت ستصل إذا تم إرسالها من قبل رجالنا عبر مصوع[٣٣] إلى كسلا، ولكن لا فائدة من التحدث عن هذا الموضوع مرة أخرى. افترض إنّك تصرفت وفقاً (لضميرك وأفضل قدراتك وأعراف الحرب في مثل هذه الحالات.)

الساعة ٣:٣٠ مساء – الحراس ليسوا على سقف الحصن الشمالي مرة أخرى. أرسلت لكي يجلدوا.

القائمة المعدلة للبسكويت هي ٢٦٦٤٣٠ أقة. هنالك ٢١١٠ أردب ذرة اليوم في المخزن – استهلاك ستة أسابيع !! ومن ثم الإقرار بالهزيمة.

يمكنني كتابة مجلدات من الغضب المكبوت حول هذا الموضوع لو لم أكن أؤمنُ بأن الأشياء مقدر لها والكل يعمل للأفضل. أنا لا أميل مطلقاً لإصدار أوامر بنصف جرايات نظراً لأي حصار لنا قد يطول – إذا فعلت فمن المحتمل أنْ ينتهي الأمر بكارثة[٣٤]. إذا أعطيت جرايات كاملة نكون قد استنفذنا مؤونتنا. علي أن أكون ملاكاً (ولا حاجة لي للقول لأني لست كذلك) إذا لم أكن متطرفا في تعصبي ضد حكومة جلالتها، ولكن أرجو أن أكون هادئاً حول مسألة السودان والقاهرة وذلك بسبب ترددها. ولكن أن أفقد كل جنودي السود أمر يجعلني غاضباً من هؤلاء الذين بيدهم تقرير اتجاه مستقبلنا[٣٥].

أطلق العرب هذا المساء أربعة قذائف تجاه خطوط النار بالقرب من النيل الأبيض ولكن لم تحدث ضرراً (سقطت إحدى القذائف في المدينة)

٣ نوفمبر

جاءت امرأتان وصبي من العرب إلى أم درمان وأيضاً سبع بقرات. اليوم الذكرى السنوية لهزيمة هكس. أفرجت عن العديد من الرجال الذين أعتقلتهم كأتباع للمهدي. لقد نالوا تحذيرا جاداً.

الساعة ٤ مساء – شوهدت الباخرة بوردين. أفرجت عن شيخ الإسلام والقاضي والمدير السابق.

جاء جندي من العرب إلى أم درمان ويقول: بأن سلاطين سجيناً منذ ثلاثة أيام مضت. مع هذا الرجل جاء جاسوس من المهدي وضعته في السجن. أرسل المهدي نظاميين إلى الخلف. سأرسل الباخرة بوردين بعد غد إلى المتمة. سأرسل الأنقاض إلى تونجي وشركاه مع الباخرة ويمكنك إرسالهم إلى القاهرة. أعتقدُ أنها شهامة من جانبي فستحصل على مراكبهم وهم يستخدمون جمالك. وصل البريد مع الباخرة بوردين. تقول رسالة كتشنر (استولي على باخرة عباس(إنها ضربة موجعة)أعيد الخطابات التي أرسلت إلى استيورات في مظروف

سأل كتشنر من كان في الباخرة: ستيورات وباور وهيريين، القنصل الفرنسي، واليونانيين المذكورين في الهامش في الجانب الآخر[٣٦]. لا أستطيع فهم هذا الأمر. فالفكرة العامة أنّ الطريق آمن للباخرة والتي كان بها مدفع جبلي وخمسون جندياً. أعزو الأمر إلى بعض الخيانة من جانب العرب والذين تظاهروا بأنهم أصدقاء.

لا أستطيع حل شفرة برقية لورد ويلسلي فقد أخذ ستيورات كتب الشفرة. (الرجاء إبلاغ وزارة الخارجية بهذا – إذا كان ستيورات قد قتل وتم الإستيلاء على الباخرة عباس فإن الشفرة ستكون مع المهدي) أعتقد من الخطأ إرسال رسائل مشفرة مثل هذه إلى بعض البلدان.

أحضرت البواخر من شندي عشرة جرحي أحدهم في حالة خطرة وسمعت بأن خمسة قد قتلوا. أناشدك بالله ألاّ ترجع إلى الخرطوم أي مصريين في البواخر الآن أنا أعني الباشوات والضباط والجنود وأستثني الباخرة والمهندسين وكباتن البواخر.

أرجو إذا فقدت الباخرة عباس أنْ يعقد مجلس تحقيق عسكري حول رحيل الكولونيل ستيورات والسادة باور وهيربين – عندما غادروا لم تكن هنالك أنباء عن حملة إنقاذ – بموجب يومياتي – وأيضاً كان من المعتقد عموماً بأن مرور الباخرة شمالاً لا خطورة منها. أضيف أيضاً بأنّ مغادرة ستيورات وباور وهيربين كان بإرادتهم الحرة وليس بأي أوامر مني كما ستظهر الأوراق التي تم الاستيلاء عليها إن وجدت.

رفضت أن أصدر أمراً بل قلت: (إذا أردت أنْ تذهب سأساعدك في الذهاب. إنها مغامرتك. الخدمة التي ستقدمها عظيمة وأنت لا تستطيع فعل أي شيء هنا) كتبت هذا إلى ستيورات في خطاب رسمي.

٤ نوفمبر

أستلمت خطابات خاصة من إستانلي مؤرخة ٥ مايو (الكونغو) ومن السير اس. يبكر مؤرخة الأول من يونيو. أحببت الملاحظة الرسمية المكتوبة علىغلاف خطاب السير صمويل بيكر إليّ (الإتصالات مع السودان مقطوعة) على أن فكر بأنّ الإتصالات مقطوعة!!.

للعرب مدفع في شندي وآخر في المتمة - ضربوا المنصورة أربع مرات. نظرت إلى ذهاب الباخرة عباس كحقيقة ونظرت إلى إنقاذ الخرطوم بأنه غير مؤكد. لذا أرسلت كتب شفرة وزارة الخارجية. ربما تحطمت الباخرة عباس في الشلال، إنه أمر محزن جداً.

هناك قول بأن شيخ العبيد قد مات، وإذا صح ذلك فإنه سيسقط ذلك السؤال المحير لوزارة الخارجية عن الرجل والمدينة. أطلق العرب اليوم خمس قذائف على خطوط القتال - ردينا بقذيفتبن فانسحبوا إذا تأكد الاستلاء على الباخرة عباس أخبر القنصل الفرنسي العام بأن لدى المهدي شفرته والتي كانت مع هيربين.

لا أُلام إذا تم الاستيلاء على الباخرة عباس بخيانة ولا أُلام إذا اصطدمت بصخرة لأن غاطسها كان أقل من قدمين تحت الماء. كما أن خمسين مركباً كانت ستبحر سنوياً إلى القاهرة مع إرتفاع النيل. إذا كانوا قد هوجموا وأخضعوا فيمكن أن أُلام لأنه كان يجب عليّ أنْ أتوقعَ حدوث هذا وأمنعهم

من الذهاب. عندما غادروا لم نكن نعلم شيئاً عن الحملة وأنا عملت على مرورهم تحت الحراسة إلى ما بعد بربر، والتي كانت الخطر الوحيد الذي عليهم مجابهته. إذا كان صحيحاً أنّ المهدي استولى على الباخرة عباس فهو قد وجد خاتمين٤٩ له كنا قد زورناهما، ولكن لم نستخدمها وأيضاً كل خطاباته إلي واليوميات وبها تفاصيل دقيقة ساعة بساعة. ستغادر الباخرة عند بزوغ الفجر.

٥ نوفمبر

س.ج. غردون

١/ اعتقال المدير والقاضي وشيخ الإسلام ...الخ . الذين يفترض بأنهم على إتصال بالمهدي – المحرر

٢/ يعني قائد قوات الحملة.

٣/ نزعت ست صفحات من المذكرات.

٤/ بيّن الجنرال غردون أنّ خطاباً استلم من القنصل اليوناني بتاريخ ١٧ أغسطس حوى أخباراًأكثر من خطاب بتاريخ ٣١ أغسطس استلمته من ضابط في خدمة حكومة جلالتها. ويمضي في القول بأن يرى الآن (بعد قراءة خطاب القنصل اليوناني) لماذا أُترك في الظلام . المحرر

٥/ رسالة السير بيرالد جراهام.

٦/ أصدر الملك يوحنا مرسوماً بأنه إذا وجد أي من رعاياه يدخن يجب أن يفقد يداً أو قدماً. قال الجنرال غردون في مذكراته عن الحبشة عام ١٨٧٩ أكتبُ بسرعة، ولكن سأوجز إنطباعاتي عن الحبشة. الملك في طريقه للجنون بسرعة. إنه يقطع أنوف الذين يتعاطون السعوط وشفاه من يدخن. الملك مكروه أكثر مما كان ثيودور. قاس إلى درجة ومع ذلك لا يقتل. هو يقطع أيادي وأقدام الذين يسيئون إليه. يقلع عيونهم بوضع السهم في آذانهم. لا يمكن لأجنبي السفر بدون إذنه ولا تستطيع شراء شيء بدون أذنه. لن يأويك أحد من دون إذنه. في الحقيقة لا يوجد طغيان كامل أكثر من هذا.

إن الوحشية التي يرتكبها الملك وناسه شنيعة. شوه أربعين جندياً سودانياً وأرسلوا إلى بوفوس مع رسالة، إذا أراد معالي الخديوي عصيان يمكنه أخذ

هؤلاء – كولونيل غردون في أفريقيا الوسطي – هبل – ص ٤٢١–٤٢٣ – المحرر

٧/ يكتب مستر اف .ل . جي في كتابه (قبائل السودان المتوحشة) وصفاً ممتازاً ومثيراً للاهتمام عن هذه المحطة الإرسالية . ص ٢١٠

٨/ قال إسماعيل الخديوي السابق والذي عرف الملك يوحنا لغردون (لا تقترب منه أبداً – أنه بلا فائدة مطلقا) . المحرر

٩/ بالطبع كانت حجة غردون طوال الوقت بأن منح كسلا والقضارف والقلابات وبوقوس إلى ملك الحبشة هو في الحقيقة نفس الشيء كإخلاء هذه الأماكن . المحرر

١٠/ هنا نزعت صفحة بواسطة الجنرال غردون شخصياً – المحرر

١١/ القنصل اليوناني

١٢/ عندما يصبح المسيحي مسلماً عليه أن يتخذ اسماًإسلامياً – المحرر

١٣/ هنا يفكر الجنرال غردون في حملة ضد سليمان _ المحرر

١٤/ غادر الحرس الأسود القاهرة إلى وادي حلفا في ٢٣ سبتمبر . وصل المشاة الراكبة جمالا في ٢٤ سبتمبر وسار ١٥٠ رجلاً بقيادة دوبتي إلى تانجور في ٢٦ سبتمبر. لم يصل لورد ويلسي إلى وادي حلفا حتى ٥ أكتوبر – المحرر

١٥/ الورقة المشار إليها هي الخلاصة الفرنسية – المحرر.

١٦/ من السير اي . بارنج إلى أيرل جرانفيلد (استلمت في ٥ مارس) أصر الجنرال غردون في مرات عدة على إرسال ٢٠٠ جندي بريطاني

إلى وادي حلفا. أوافق السلطات العسكرية على رأيها بأنه من غير المرغوب فيه الاستجابة لهذا الطلب)

أشار ايفلين بارنج إلى أيرل جرانفيل (استلمت في ٤ مارس)

(يحث الجنرال غردون والكولونيل ستيورات بقوة بناء على رأيهم بنجاح مهمتهم الحالية على أنه من الأفضل فتح طريق بربر – سواكن. أنا لا أوافق على الاقتراح المذكور في تلغراف كولونيل ستيورات على وجوب إرسال قوة من الفرسان البريطانيين أو الهنود من سواكن إلى بربر(مصر رقم ١٢ (١٨٨٤) رقم ٢٠٥ – المحرر

١٧/ كان قصد ورغبة غردون أخذ البواخر إلى بحر الغزال وحماية البلاد من المهدي – المحرر

١٨/ من المعروف جداً حقيقة أنّ الفلاحين قيدو بالسلاسل وتم جرهم من قطاطيهم واحتفظ بهم في شوارع القاهرة وهم تحت القيد _ المحرر

١٩/ يقصد الجنرال غردون بهذا التصريح أنْ تفهم حكومة جلالتها بأنه في وظيفته كلواء في خدمة حكومة جلالتها سيقدم كل خدماته للحملة المنسحبة إذا أمر بفعل ذلك مع أنّ مثل هذا الأمر غير مرحب به، ولكنه لن يفعل مثل هذا الآن إلاّ حين يستبدل بآخر كحاكم عام. في الحقيقة هو يطبق الملاحظات التي أبداها في صفحات سابقة). في الشؤون العسكرية هو أمر صعب. يؤمر المرء بالذهاب إلى هنا وهناك ويطيع المرءالأمر (حتى لو أعتقد المرء بأنه غير حكيم وعارضه ولكن في الدبلوماسية ليس هناك أمر مثل هذا) – المحرر.

٢٠/ حتى الوقت الحالي لم نتخلي عن السودان للأتراك ولا عيّنا الزبير

كحاكم عام. ولكن لدينا صفقة من القلق والخطر و– الحملة – غير مربحة تماماً وخالية من الكرامة – المحرر

٢١/ نحن حالياً ليس فقط محاصرين بشكل صارم من الناحية البرية لسواكن ولكن محاصرين كلياً.

٢٢/ السير ايفلين بارنج إلى أيرل جرانفيلد

٢٨ فبراير القاهرة ١٨٨٤

أشرف بأن أبلغ سعادتك أنه وبالرغم من أنني لم استشر الجنرال غردون حول موضوع إرسال قوات بريطانية إلى أسوان، فهو أرسل لي برقية مفادها إذا تم إرسال ١٠٠ جندي بريطاني إلى أسوان أو وادي حلفا لن يجابهوا أي مخاطر أكثر من تلك التي يتعرض لها سائحون في النيل ... بالتأكيد لن أخاطر بإرسال فرقة صغيرة مثل ١٠٠ جندي مصر رقم ١٢ اركم ١٧٠ _ المحرر.

٢٣/ كتبت الفقرة السابقة في اليوميات على ورق نسخ – المحرر

٢٤/ كتب هذا الجزء من اليوميات على نماذج البرقيات – المحرر

٢٥/ استولى عليها العرب في بربر.

٢٦/ يسأل الجنرال غردون في برقية غير مؤرخة كتبت بعد سقوط بربر . (هل من الصواب وجوب إرسالي مع سبعة زملاء إلى الخرطوم بعد تدمير جيش هكس و لم أجد اهتماماً إلى أنْ قطعت الاتصالات) ؟

٢٧/ كان في السابق وكيلاً وسكرتيراً للجنرال غردون. كان من أسرة عريقة وممتازه ومحترماً كثيراً من غردون الذي قال في :١٨٧٩ « قليل من الرجال مثل بيرزاني بك سينهون الحياة في مصر ولكنهم نادرون».

٢٨/ رجع اليوم اثنان من هذه الخيول. أتوقع أن راكبيها أوقعا أنفسهما من على ظهريهما وتركاهما طليقين، وتم هذا على مسافة بعيدة من العرب فلم يروهما!!

٢٩/ سأجعلهم يدفعون ثمن اثنين وعشرين بندقية رمنجتون لأنه يبدو مشكوكاً فيه إنه قد تم الاستيلاء عليها، حيث إنهم طلبوا مني اليوم إرسال الباخرة للبحث عن هذه البنادق. أتوقع أنّ الرجال قاموا ببساطة بالقائها وفروا عند ظهور العرب.

٣٠/ حوالي هذا التاريخ أشيع في الداخل و الخارج إستدعاء لورد ويليسلي. في العاشر من أكتوبر تم رسمياً تكذيب هذه الشائعة. ومع ذلك قالت التايمز:) نحن لدينا كل الثقة في صحة المعلومات الجيدة لمراسلينا. ولكن للوهلة الأولى بدأت هذه المعلومات لا تعقل فأجرينا المزيد من الاستفسارات لكي تكون واثقاً جداً من أن لا خطأ في بثها) – المحرر.

٣١/ من المثير للاهتمام ملاحظة أن الجنرال غردون يخرج فجأة من موضوع يزعجه ويتناول آخر به مسحة من الفكاهة. لا يغفل هذا أبداً عندما يناقش أو يفسر أي نقطة معينة. إنه يفعل ذلك فقط عندما يكون متضايقاً بشدة من موضوعه فيخرج منه فجأة – المحرر.

٣٢/ كان من عادة الجنرال غردون قضاء جزء كبير من النهار والليل في سطح القصر – المحرر.

٣٣/ تبعد مصوع فقط ٤٦٦ ميلاً من الخرطوم وأقل من نصف هذه المسافة من كسلا – المحرر

٣٤/ من تمرد أو هروب إلى المهدي.(المعدة تحكم كل العالم) - المحرر

٣٥/ هنا الجنرال غردون غاضب جداً مرة أخرى ويتوقف ليخط مسحة من الفكاهة حول جنوده السود حتى يمكنه كبح غضبه _ المحرر.

٣٦/ قائمة باليونانيين على ظهر الباخرة عباس - ١٠ سبتمبر ١٨٨٤.
عيتربوس كاينولس - جورج كبتوتاكور - هريال بوناكلي - الاسكندر جيناكارن - ناسوم اباقوي - لسينم مورينوس - ديموتربوس بيردكاكس - مايكيلي نيمركوس - ستوارت باباداكس - جين بروسبيدن - ديمدثين كابيلوس - ديمتريوس جورج بولس - جورج كونتس - كزينفون ابوستوليدس - جورج تانتزوس - جين ستيرقيد كلولاس كوفارس - جين ديمتريزاكس - ميشيل جاكزي كريستودولس

الكتاب السادس

الأحداث في الخرطوم

٥ نوفمبر

غادرت هذا المساء الباخرة بوردين إلى المتمة وفقاً لكل الروايات، فإن وجود البواخر في شندي والمتمة يسبب للعرب إزعاجاً كبيراً. رئيس العرب في بربر يدعوهم للمجئ ومساعدته بينما هم يقولون: « إذا فعلنا فإن البواخر ستنهب منازلنا « لا استطيع نسيان كارثة الباخرة عباس، يبدو من المحال الاستيلاء على هذه الباخرة بالقوة (مع وجود ٩٧٠ علامات رصاص عليها ومدفعها وحواجزها المضاده للرصاص) ليس محتملاً اصتضدامها بصخرة لأن جوانبها محمية بمصدات غاطسة في الماء بعمق قدم. كما حذرتهم من الرسو على الشاطئ وألّا يأخذوا الحطب من أماكن معزولة. في الحقيقة وبمقدار بعد النظر الإنساني فقد فعلت كل ما أمكنني. لماذا سمحت لهم بالذهاب؟ كان الأمر هكذا: صممت على إرسال الباخرة عباس شمالاً بقيادة ربان عربي. طلب هيرمن الذهاب سارعت بقبول الطلب. قال ستيورات: إنه سيذهب إذا برأته من تهمة التخلي عنه. أنا لا أستطيع الذهاب، ولكن إذا ذهبت أنت فستؤدي لي خدمة .. ومن ثم كتبت له رسمياً كان يريدني أن أكتب له أمراً. قلت: –لا – بالرغم من أنني لا أخشى أن أتهيب المسؤولية فإنني لن أضعك في وضع خطر لا أضع نفسي فيه كتبت لهم خطاباً صياغته هكذا: ـ ستذهب الباخرة عباس شمالاً وقلتم أنكم راغبون في الذهاب في هذه الباخرة. أعتقدُ بإمكانكم فعل هذا بشرف – يمكنكم الذهاب بشرف لأنكم

لن تستطيعوا فعل أي شيء هنا، وإذا ذهبتم ستقدمون لي خدمة بأن تبعثوا برقية بآرائي (ستلاحظون عدد اليونانيين هم حرس شخصي أمرت ودفعت لهم جيداً لمنع أي خيانة من جانب البحارة. هكذا فإن مسألة الخيانة قد تم التمعن فيها كما ينبغي من قبلي وإتخاذ الحذر بقدر ما استطعت من جانب البحارة والأهالي معاً - أخبرتهم بالرسو في منتصف النهر وألاّ يأخذوا الحطب إلا من المواضع المعزولة)[1]

جعلت باخرتين ترافقهما إلى ما وراء كل مكان يخشى وجود خطر فيه أي بربر وشندي. يبدو أنه تم القبض عليهم في مكان غير آهل بالسكان نسبياً أسفل أبو حمد. أشعر بطريقة ما بالإقتناع بأنهم تم القبض عليهم بخيانة العرب تظاهروا بأنهم أصدقاء وفاجأوهم في الليل. أعتقد هذا بدون سبب) من الواضح أنه كان هناك صوت واحد بأن الرحلة آمنه (لم أكن أبداً مرتاحاً منذ أن غادروا كان ستيورات رجلاً لا يفكر ملياً لم يفكر أبداً في الخطر المتوقع حدوثه و لم يكن أبداً ميالاً للشك (بينما أنا لست كذلك) يمكنني أن أرى المشهد[2] في الخيال يدعوهم الشيخ إلى النزول إلى البر قائلاً– الحمدلله – المهدي كذاب – يحضرون الحطب – يذهب الرجال إلى الشاطئ ويختفون. وقفت الباخرة واندفع العرب المتوحشون وانتهى الأمر. قال جاسوس بأن أحد الرؤساء تظاهر بالصداقة، وعندما قربت الباخرة إندفع نحوها ولكن الباخرة عباس تحولت نحوهم وقتلت حوالي ٧٢ أو ٧٣ (أنظر الصفحة الخلفية لليوميات)[3]

أنه أمر محزن، ولكن.بما أنه قدر من الله يجب أن نتذمر. إنني أنظر إليه كانتقام من الله على موت الباشوات الاثنين. أرجو مخلصاً أن يتم تحقيق صارم حول مسألة ستيورات وباور وهيبربين. ما يجعلني أعتقد بأن هناك خيانة في

الاستيلاء على الباخرة عباس هو أن المركبين الشراعيين اللذين ذهبا معها لم يصلا إلى الدبة، لأنه إذا كانت الباخرة قد أرتطمت بصخرة، فلماذا لم يستطع القاربان المجيء؟ أعتقد بأن جميعها تم الاستيلاء عليها بانقلاب. أطلق العرب في الساعة ١١ مساء الليلة الماضية ١٢ قذيفة على المدينة من مدافع كروب في الجبهة الجنوبية، لم تحدث ضرراً و لم تخفنا في منتصف الليل أطلقوا وآبلاً من رصاص البنادق ولكن بلا أثر.

جاء أربعة جنود من العرب إلى أم درمان قالوا: بأن المهدي أرسل مجموعة من العرب إلى سنار وخرجت إليهم الحامية تقريباً قتلتهم جميعاً. قالوا أيضاً: أن البقارة العرب تحت زعم الحصول على مرعى أفضل لماشيتهم طلبوا من المهدي السماح لهم بالذهاب من معسكره إلى مسافة أبعد ووافق المهدي وأن الناس ماعادوا ينظرون إلى المهدي كما كانوا يفعلون سابقاً. جاء العرب قرب بري وأطلقوا القليل من الطلقات ثم رجعوا. أتوقع أن العرب أرسلوا النظاميين وقاموا بذلك كتحريك شكلي. أحد هؤلاء الرجال[٤] كان مع سلاطين عندما استسلم ويقول: بأن سلاطين فعل ذلك عندما كان لديه الكثير من الطعام والذخيرة وهو ﴿سلاطين﴾ على علاقة طيبة مع المهدي. لن نعرف الحقيقة حتى يخرج الأوربيون الآخرون من قبضة المهدي.

كان لدى ستيورات ٦٠ جنيهاً من الذهب وكل الأوراق المتعلقة بمهمتنا لم أحتفظ بأي منها عن عمد، لأن المرء لن يعرف ماذا سيحمله المستقبل. عندما غادر في العاشر من سبتمبر فقدنا في ذلك اليوم ٨٠٠ قتيل و ٩٧٨ رمنجتون والكثير من الذخيرة في الرابع من سبتمبر - فقط ستة أيام قبل مغادرته. يخبرني بيكر بأن كليفورد لويد غادر على إثر خلاف مع نوبار وإن الصين وفرنسا تصالحا. انطلقت قذيفة من العرب فوق المدينة وسقطت في النهر.

ذكرت بأن يوميات ستيورات إحتوت على كل الحوادث من الأول من مارس ١٨٨٤م إلى العاشر منه - إذا كانت قد ضاعت فهناك فقط يوميات الدكتور والتي تبدأ من ٧ مارس ١٨٨٤م أتمنى أن يعرف هذا مراسل التايمز، وأن يخبر بأن الدكتور قد وعدني بأن التايمز ستحصل على أول نشر لتلك اليوميات.

جرح ستيورات في ذراعه ﴿جرح سطحي﴾ عند الساعة ٦ صباحاً يوم الأحد ٢٥ مايو إذا هزمت سنار العرب مرة ثانية، لا أستطيع أن أرى كيف يمكن ترك الحامية، وإذا كانوا سينقذون أرى تأخيراً لمدة أربعة أشهر - يمكن تجنب هذا بتسليم السودان للسلطان مع إعانة مالية. كنا في حالة تدهور عندما غادر ستيورات. وصل العرب بمدافعهم من كردفان وجاءت للتو بواخرنا من سنار وبها سبعة ثقوب من الطلقات. لدى القنصل النمساوي مذكرات يومية وكذلك باور وهيبرين.

أمسكت° بكل البرقيات الأوربية - تلك التي أرسلناها والتي استلمناها ساسلمها لكم وبما أنها مشفرة وقد يكون معك كتب شفرة وزارة الخارجية فيمكنك متابعتها. كما قلت فإن ستيورات حمل معه نسختين من اليوميات، ولكني لم أرد أن أساله بترك نسخة هنا وكما قلت فقد هربت - إنها أفضل فرسانه - كما « يمكنك إرسال نسخة إلى الوطن بينما نحتفظ بالأخرى للرجوع إليها».

أرسل مع هذا فرمان توفيق والخطابات المتعلقة بانسحاب القوات، والتي استلمتها في القاهرة في ٢٣ يناير ١٨٨٤م و لم يتم إعلانها.

إذا مات ستيورات وباور وهيربين لأنهم لم يغيروا دينهم فهم شهداء مثل بيتر وبل.

قبض العرب هذا الصباح خارج خطوط النار على صبي أسود يبلغ من العمر عشر سنوات، وكان يجمع الحشائش. هرب منهم هذا المساء وعاد إلى المدينة

– إنه صبي ذكي.

تم الإستيلاء على الباخرة عباس، وحصل المهدي على الختم الصغير الذي كنت استعمله في الماضي واستولى على الختم الكبير عند سقوط بربر، وبذا لديه الخاتمين إذا كان صحيحاً، فإن الباخرة عباس قد تم الإستيلاء عليها بين أبو حمد ومروي في أو حوالي ١٨ سبتمبر. يجب أن يكون العرب قد عرفوا في ١٨ سبتمبر بأن كتشنر في الدبة لأنه كتب إليّ من ذلك المكان في ٣١ أغسطس، من المحتمل أن ستيورات ركن إلى الأمان بشعوره بأنه أقترب من مروي ونسبة للأخبار في تقدم الحملة وهو ما أخبره به الشيخ.

تبعد أبوحمد مائة ميل عن مروي، ويمكن للباخرة عباس قطعها في خلال ١٢ ساعة وهناك فقط شلال صغير يمكن اجتيازه بسهولة ،يضغن ستيورات كراهية عميقة للأهالي السودانيين وشجاعتهم، ولكنني لا أشاركه الرأي أوافق بأن رجالنا ليسوا أبطالاً ولكن بالمقابل لدينا الشعور بأن العرب عشرة أضعاف عددنا، بينما لم نتلقى أي تعزيزات[٦] إذا كان ستيورات قد سقط فذلك بسبب حماسه لفكرة أن العرب لن يجرأوا على فعل أي شيء، نفس الخطأ عند باور أي نفس الشعور بعدم النظر إلى العناصر التي لديهم لتدعمهم. قد تكون شخصاً قوياً جداً ولكن قوتك بلا فائدة إذا كنت مدعوماً بمراكب ضعيفة نسبة تقدم الأسطول يقررها سرعة أبطأ سفينة، وهنا يجب العمل وكأن كل المجموعة جبانة مثل الأكثر جبناً في القوة. مع الباخرة عباس مركبين وإذا أرتطمت بصخرة فعليهم ركوب هذين المركبين ومع التيار كان يمكنهم المرور بيسر (لقد ذكرت بصراحة لستيورات بأن عليهم استعمال

هذين المركبين في حالة وقوع مثل هذه الحالة) أرسلت في عام ١٨٧٨م مركبا به حوض، فيه أربعة من فرس البحر (رضع) ووصلت القاهرة. في خمسين يوماً. مع ستيورات نفس ريس أو مراكبي ذلك المركب. عندما غادر ستيورات كانت الحالة في الخرطوم من الناحية الإنسانية باعثة على اليأس. ومن الناحية الأخرى عندما تجتاز الباخرة عباس بربر كان من المؤكد وصولها إلى دنقلا حتى أننا ناقشنا عما إذا كانت دنقلا قد سقطت، وأتفقنا أنه حتى في هذه الحالة يمكنها الوصول إلى وادي حلفا، وأخبرت ستيورات بالذهاب معها إلى القاهرة. قد لا يذكر الرجال حالة الربان- الذي أخذ معه ضابط بحري وقتل. أثار والد الضابط ضجة كبيرة حول هذا الأمر. لماذا أخذ - الضابط معه ... الخ أقول دفاعاً عن سماحي لستيورات بالذهاب بأنه وباور وهيربين بأن وضعنا هنا كان باعثاً على اليأس بعد هزيمة العيلفون - ولقد كررت مراراً بأنه من المستحيل عليّ أن أذهب (جسدياً محال) لأنه حتى خدمي كانوا سيخونوني (حتى لو اتجهت إلى المغادرة) وأنني سأموت هنا (حتى أنني ذهبت أبعد من ذلك واحضرت لغمين إلى القصر لنسفه إذا سقط القصر) كانت أفكار هؤلاء الرجال الثلاثة إنه من الدناءة أن يتركوني. ولكن عندما أوضحت لهم بأنهم لن يستطيعوا عمل أي شيء بأن يكونوا أسرى، وقلت لهم بأني سأرسل الباخرة عباس ومعها اليومية قال أولاً هيربين وبعده ستيورات ومن ثم باور: بأنهم سيذهبون معها. جرى نقاش طويل بيني وستيورات ورغب في أن أصدر أمراً ورفضت نظراً للاحتمالات التي قد تنشأ. أنتهينا بكتابتي لخطاب أشرت إليه في الصفحات السابقة في اليومية. أقر بأني كنت مسروراً بذهابهم، لأني أعتقدت بأنه أمراً آمنا تماماً (لأني عرفت بأنه إذا عرفت أوروبا بالوضع فإن الحكومة سيدفعها الخجل إلى إتخاذ إجراء).

تذكر بأن هذا الأمر كان عند وصول البرقية الأخيرة من أيفرتون، والتي فحواها «ستدفع حكومة جلالتها إذا تعاقدت مع العرب عن كل الذين يصلون» كان رأى ستيورات أن أي أمر من حكومة جلالتها أو رغبة أبدتها أمر غير قابل للنقاش. كثيراً ما ناقشنا أرسالنا إلى هنا، والإزعاج الذي سببه ذلك لحكومة جلالتها أعتقد أن ستيورات كان مدفوعاً برغبته في مساعدة حكومة جلالتها عندما ذهب لأن ذلك ترك إزعاجاً واحداً ﴿شخصي﴾ ،وأنا برأت تماماً حكومة جلالتها عبر خطاباتي والملاحظات في يوميته وإنه بقدر ما يخصني سمحت بسقوط الحامية. ومن جانبي لا أعتقد بأنه كان في إمكاني تقديم خدمة أفضل لحكومة جلالتها، على أية حال أكثر من محاولة إرسال ستيورات ومعه هيبرين وباور. بالتأكيد بقي القليل من الأوربيين هنا (أحدهم مجنون) والحكومة الفرنسية لا تستطيع قول أي شيء . ثم أن ستيورات عرف كل شيء وبأمكانه إخبار حكومة جلالتها بالحجج المؤيدة والمعارضة من وجهة نظرهم وشعور يقارب شعورهم، والذي يمكنهم قبوله من ستيورات وليس بدون شكوك من جانبي (وهم محقون في ذلك لأني لا أنظر إلى الأمور من وجهة نظرهم) كذلك أخبرت ستيورات: « أعرف أنك ستتصرف بضمير وشرف، ولكني أعرف وجهات نظرك وبما أن لديك كل آرائي حول السودان في يوميتك أتوسل إليك عند الإجابة على تساؤلات حكومة جلالتها أن تخرج ملخصات من اليوميات وتثبت أن الجنرال يقول هذا أو ذاك بينما لك كل الحرية في أن تذكر وجهة نظرك حتى وإن كانت تختلف عن وجهة نظري، ولكن أجعل حكومة جلالتها تعرف متى أجيب ومتى تجيب أنت». كتب ستيورات ليلة مغادرته وبإملائي سلسلة من الأسئلة والتي جاوبت عليها في نصف الهامش وفي نفس الورقة وقد

قلت: « إذا لم تتعرف حكومة جلالتها حتى وقت وصولك فعندها يكون متأخراً جداً ولا فائدة من فعل أي شيء» أمر غريب؛! أرسل صديقي كتشنر بالبريد وغلف الخطابات في بعض الصحف القديمة) لم يرسل لي أي أخبار في خطابه(ألقيت الصحف القديمة في الحديقة، وجدها كاتب يعرف بعض اللغة الإنجليزية تتطاير في الهواء فأخذها إلى الصيدلي في المستشفى والذي يعرف الإنجليزية وجده الطبيب يقرأها ورأى التاريخ ١٥ سبتمبر فأحضرها إليّ. وكما تتخيل فإنها مثل الذهب لأنه لم يكن لدينا أخبار منذ ٢٤ فبراير ١٨٨٤م.

هذه الصحف مدتنا بمعلومات أكثر من أي من خطاباتك. هل أرسلها لك بالصدفة أم بقصد؟ سفراء حبش في لندن، والمر كاسل ورفاقه؛ قواتي من السود صدوا رأس الولا في كرن، لم يعترفوا بمعاهدة هويت وقتلوا ١٩٤ من الأحباش في كرن، بموجب الاستاندرد ١ و ١٥ سبتمبر. ودع لورد ويلسلي في محطة فكتوريا حملة إنقاذ غردون لإنقاذ حاميات السودان. أبدى الخديوي سروره عند مقابلة لورد N أثناء المقابلة أظهر الخديوي شعور ودي تجاه لورد N. يقول عبدالقادر: بإنك ستواجه أربعة معارك صعبة. لا أصدق هذا![٧]

يبدو أن هذه الصحف أُلقيت خارج القصر، ولكن رجلاً رأى هذه الصحف ترمى في الخارج قال للحارس: «أعطني هذه الصحف لأغلف التبغ» أعطاهم الحارس للرجل. أبصرهم مساعد الطبيب عند ذهابه المختبر، وعندما رأى التاريخ أخذهم ومن ثم حصل عليهم الطبيب.

أعتقد إذا صحت هزيمة رأس الولا في كرن سيكون أمراً رائعاً، عندما كان

يتم إستضافة السفراء الأحباش في والمركاسل. يبدو أن معاهدة هويت بدلاً من مساعدتنا قد أضافت إلى أعداد أعدائنا.

يكون رائعاً إذا عقدت حكومة جلالتها معاهدة مع الملك جون لمنحه بوقوس، أو كرن أو سنهيت ﴿مع أماكن أخرى﴾ ولم يتم إرسال أوامر لإخلاء (القلعة) ،ولكن إذا كانت الصحف التي حصلنا عليها صادقة بأن رأس الولا قد تم صده، فمن الواضح أن مثل هذه الأوامر لم تصدر. يالها من حالة غير عادية للأمور!! يقول متزاكس في خطابه إلى القنصل اليوناني هنا والمؤرخ ٢٥ أغسطس: (سيتم امتلاك كرن أو بوقوس أو سنهيت) حالاً. بعد ذلك لدينا برقية من مصوع بأن رأس الولا هاجم كرن وخسر كثيراً بموجب الاستاندارد – سبتمبر) بموجب هذه الصحف التي حصلنا عليها بأعجوبة أرى أننا جعلنا من وزير الداخلية عبدالقادر باشا بناء على كل الأخبار الواردة هنا (عبدالقادر والأربعين حرامي معاً)

٦ نوفمبر

جاء اليوم إلى بري على الشاطئ الشرقي للنيل ثلاثة من الخيالة وأربعة من المشاة (عرب) وأطلقوا طلقات قليلة ثم ذهبوا بعد أن أطلقنا عليهم قذيفتين من مدفع كروب. أيضاً جاء العرب بمدافعهم إلى النيل الأبيض نهاية خطوط القتال وأطلقوا النيران على الطابية. جاء جندي هنا مع زوجته وطفله من شيخ العبيد، يقول: بأن شيخ العبيد مات قبل أربعة أيام (راحة كبيرة لسندرسون) الآن علينا التعامل فقط مع المدينة، جاء أربعة جنود من العرب إلى أم درمان. أطلق العرب سبع زخات من النيران على الخطوط قرب النيل الأبيض. شيخ العبيد على بريد (خطابات أوروبية آتية من كسلا) قبل موته، تم قتل حامل هذه الخطابات.

أتوقع أن تسميته الحملة - حملة إنقاذ غردون-خرافة لأن (حكومة جلالتها لاتقع عليها مسؤولية تجاه السودان وحامياته) سيتمسك بها. وأن الهدف من الحملة التي سميت هكذا ستعتبر إنه أنجز إذا تم الوصول إلى الخرطوم. ولكن إذا كانت هذه هي الحالة كيف سيتم شرح إرسالي وستيورات. بالتأكيد لأن حكومتنا أرتأت أنها مسؤولة عن إرسالنا. أيضاً إذا لم تكن على عاتق حكومة جلالتها مسؤولية، فلماذا هاجمت القوات عثمان دقنة وأنقذت طوكر[٨]؟.

سيكون موت الشيخ العبيد ضربة موجعة للعرب لأن أتباعه لن يصمدوا مع بعض طويلاً. جاء جندي أخر مع زوجته إلى أم درمان، يقول هؤلاء بأن شيخ

العبيد مات وخلفه ابنه أحمد وأن معه ليس أكثر من ١٠٠٠ أو ١٥٠٠ . المهدي والعرب ضد أي هجوم على خطوط قتال الخرطوم. لازال هناك عدد كبير من البقارة مع المهدي الذي يفقد يومياً أتباعاً.

جرح هذا الصباح جندي جرحاً بليغاً في بري. يقولون: أن شيخ العبيد مات من الغم.. لم يود الذهاب إلى المهدي لأنه أرسل إليه ليتخلى عن كل أملاكه.

ياله من غضب سيتملك الملك يوحنا إذا كان صدقاً أن كرن أطلقت النيران وقتلت رجاله، سيقسم أنها خيانة من توفيق. أتعجب من هم ذوي النفوذ في المعاهدة! توفيق والملك يوحنا أو حكومتنا والملك يوحنا؟ تبعد كرن مسافة ثلاثة أيام من مصوع وليس من المحتمل أن يلفقوا هذه البرقية. يضحك المرء من التفكير في هذه الزيادة لأعدائنا والتي منحت بعطف لنا.

يقول الجندي (الذي جاء مع زوجته وطفليه) إن شيخ العبيد استولى على بريد به خطابات عربية وأوروبية وأنه جلس لفترة في حالة غيبوبة وبعدها مات. وأن رجاله يتفرقون. هذه راحة كبيرة لأننا (إن شاء الله) لن نواجه قتالاً هناك.. جاء جندي ومعه والدته. يقولان: بأن المهدي حرك معسكره اليوم إلى بعد أربع ساعات. أطلق العرب اليوم ست قذائف من مدافعهم على الخطوط قرب النيل الأبيض.

عرفت أن هاريسون[٩] سيأتي المقتطفA[١٠] في الجانب الآخر يظهر لك – إذا لم تستطع حماية المراكب الشراعية الآن، كيف تستطيع فعل ذلك إذا سقط كل السودان في يدي المهدي؟ كذلك إن القصاصة B المتعلقة بالتمرد في الحجاز ستظهر،إن كل أراضيهم هي في حالة اضطراب، وسيركز المهدي جيداً على هذا إذا دخل الخرطوم. جاء رجل آخر ويقول: بأن المهدي وصل

قريباً إلى أم درمان ولكنه لم يتقدم إلى أبعد من ذلك. لدي فكرة بأن العرب سينفذون محاولة الاستيلاء على المكان. جرح جندي عند الخطوط بالقرب من النيل الأبيض وكان يصطاد السمك عندما أصيب. يبدو من المؤكد أنها أعظم معجزة أن تكون سواكن محاصرة[١١] والإمساك بمراكب شراعية قريباً منها. لادرس تم تدريسه بعد لهؤلاء العرب.

٧ نوفمبر

أمسكنا اليوم بقرتين في بري. معسكر المهدي محاذياً الآن لمعسكر الفكي مصطفى وهو يبعد ساعة ونصف من حصن أم درمان، غادرت جماعة كبيرة في قافلة ديم الفكي مصطفى في الإتجاه الشمالي الغربي نحو آبار جبرا وهي رئاسة الكبابيش. ديم المهدي ليس بعيداً عن النهر مما يجعلني أخمن بأن مدافعه في موضع قرب ذلك. العرضة مستمرة وبحجم متوسط. أنا قلق من جانب الخطوط التي تنتهي على النيل الأبيض[١٢] وقد أرسلت باخرة للبقاء هناك. جاء أمدرمان أربعة جنود وعبد وامرأتان من العرب. يقصد المهدي مهاجمة أم درمان واستقبل ١٢٠ جملاً من الذخيرة. سلاطين تحت القيود. يقول هؤلاء الرجال: ليس لدى المهدي والعرب أدنى نية للمخاطرة بأنفسهم ضد الحصن ولكنهم سيدفعون بالنظاميين السود الذين تم القبض عليهم إنها مثل محاربة المرء لأهله وعشيرته – إنه قتال غير عادل[١٣].

لدى بعض العذر بأن أميل إلى الشر وأنا أسمع النساء يصرخن مطالبات بالذرة تحت نوافذ القصر! عرضة اليوم واقتراب لمعسكر المهدي نحونا وإرساله للحصول على حمولة ١٢٠ جملاً من الذخيرة لاتظهر فقدانه للشفقة، لأنه إذا كان خائفاً لم يكن أبداً ليرسل في طلب ٥٠٠٠٠٠ طلقة من الذخيرة، أو إذا كان قد أرسل لطلبها لكان قد أوقف مجيئها إذا كان خائفاً من التقدم. الحقيقة إن أمر طوكر وعدم متابعة الانتصار[١٤]. منحه ثقة كبيرة وثبتها. استيلاء العرب على المراكب الشراعية وإطلاق النيران على خطوط القتال

في سواكن بدون قصاص. ربما أن عدم إطلاق النيران على سواكن لمدة ثلاثة أيام (٣٠ أغسطس) .يعني بأن عرب الهدندوة ذهبوا للمساعدة في بربر. أتعجب إذا لم يلاحظ بأن سواكن غير مفيدة تماماً إذا كان السودان في قبضة أيدي المهدي! أعتقد بأن المهدي لديه فرصة كبيرة للوصول إلى مكة، إذا استمر التمرد في الحجاز واستولى على الخرطوم.

أظن أن المهدي قد يكون لديه معلومات جيده من القاهرة من هدف الحملة، أو ربما يفكر تفكيراً منطقياً «سينقذون الخرطوم ويتركوني في معسكري ويرجعون.» إذا كانت تعليمات الحكومة محدده وسيتم تنفيذها بأي تكلفة كانت. وبما معناه تنفيذ الانسحاب السريع فلا شيء يمكن أن يقال عندها كل ما أطلبه أن أُعفى من منصبي هنا[١٥] وأذهب في طريقي ألاّ أكون مستخدماً هذا ليس مطلباً غير معقول لأن مهمتي هنا كانت خاصة وليس ملزماً كواجب عسكري، وبحكم منصبي كحاكم عام فأنا على حق تماماً فيما قلت وفعلت كل شيء للناس، الذين وضعني توفيق على رأسهم. (تبعاً للأسطورة بأنه مستقل) واعتقدت بأنها تضمن لهم السلامة. إذا صمم على التخلي عن سنار وكسلا (تبعاً للأسطورة بأن ملك الحبشة سيرعاهم) ،وأيضاً الإستوائية وتركهم لمصيرهم بعد دفاعهم الباسل، فليس هناك شئ يمكن أن يقال. الأفضل إنجاز هذا العمل سريعاً إذا كان سينجز على الأطلاق. لن أكون ذا فائدة ممكنة إذا كان تنفيذ العملية منحصراً على إخلاء الخرطوم. أنا لا أبالي بأن أنتظر وأرى المهدي يسير في أثرك في الخرطوم، والتي احتفظنا بها لعدة شهور. وفوق ذلك لا أرغب في أن أرى قوات جلالتها يطاردهم هؤلاء العرب طول الطريق إلى وادي حلفا، أو أن استلم اعتراضات هؤلاء الذين تضامنو معي. إنني متأكد بأني كتبت بالكامل عن كل هذه المواضيع بحيث

لن يكون هناك مجالاً واسعاً للمزيد من النقاش، عليك أن تتخذ قراراً وتفعل. عبّرت بالكامل عن أرائي ورغباتي وسأقبل أو أحاول أن أقبل قرارك بفلسفة كبيرة، مع أني أحتج بشدة ضد هذا التخلي والذي سيؤدي إلى كوارث جمة ولا يستحقه بلدنا.

يقول الرجال الذين جاءوا اليوم: بأن المهدي سيهاجم أم درمان غداً. يجب أخذ القرارات التالية إذا نفذ الانسحاب السريع:

هل يتم تدمير مخازن الحكومة؟.

هل أنت مستعد لتوفير النقل لكل من يرغب في الذهاب؟.

هل ستنزع سلاح الشايقية قبل أن تغادر؟.

ماذا ستفعل بالبواخر؟

أعلن بأن عليّ أن أرتجف لإصدار هذه الأوامر. كحاكم عام لن أفعل ذلك.

٥.هل ستكتب إلى سنار وكسلا وتخبرهم بما تنوي أن تفعل وتبرأني؟. جاء عبد من العرب ويقول: (بأن العرب لن يهاجموا خطوط القتال، وأن كل النظاميين مع المهدي في الشاطئ الغربي).

٦/ وهل ستفاوض المهدي؟ أتوقع أن لا فائدة بشأن تسليم السجناء «الأوربيين» الذين معه.

٧/هل تعترض على مساعدة قوات السود في الذهاب إلى سنار وتحارب، بقصد إنقاذ حاميات سنار وكسلا؟.

جاء إلى أم درمان جنديان وعبد من العرب؟ يقولون: أن المهدي لن يهاجم مباشرة وأن سلاطين قيد بالسلاسل لكتابته إلى الخرطوم. وكذلك صالح باشا

أطلق العرب هذا المساء قذيفتين من مدافعهم تجاه الخطوط بالقرب من النيل الأبيض لم يبلغا هدفهما.

مفترضاً إخلاء الخرطوم فبعدها ستسقط سنار وكسلا. يطلق العرب النيران على خطوط القتال في سواكن ويستولون على المراكب الشراعية في البحر الأحمر، وهناك ثورة في الحجاز. ماذا يمنع أنصار المهدي من كسب مكة حيث لا يوجد ٢٠٠٠ رجل. حالما يكونوا في مكه ترقب الصراخ في تركيا.

إذا تم إتخاذ القرار حول إجراءات الانسحاب السريع يجب تحذير القناصل عند وصولك.

إذا كانت الحكومة البريطانية قد وافقت على مدنا بالزبير في شهر مارس عندما طالبت به، لم نكن قد أضعنا بربر و لم نكن نحتاج إلى حملة. كنا سنهزم المهدي بدون مساعدة خارجية. يقال: عندما يحتضر المهدي سنبعثه مرة أخرى بإخلائنا للخرطوم، كان العيب الذي عانيت منه هو أنني لم أستطع حشد الأهالي لأنني لم أكن من عشيرتهم أو منتمياً لعقيدتهم[١٦].

أطلقت العرب نيران بنادقهم على بري قبل هذا الصباح وعند الساعة ١ مساء إنها تماماً مثل الأزمات السابقة التي إعتادت على الإستمرار لعدة شهور. لم اعتاد أبداً عليها لأنني كنت أعرف القوات التي لدينا وكانت دائماً تطرد النوم.

٨ نوفمبر

من الواضح إذا كان الزبير معك وعين حاكماً عاماً بوضع شبه مستقل ومعونة لكان قد أستطاع جمع حشد هائل من الأتباع حوله، نسبة للوضع المتردي الحالي للمهدي؛ وهم الآن مستاؤون من المهدي ودراويشه، ولكنهم مجبرين على التمسك به لأنك سترحل. حتى الذين معنا نحن نجبرهم على الالتحاق بالمهدي. إن تنصيب الزبير سيوفر عليك الإنزعاج من إخلاء سنار. عليك فقط البقاء هنا شهرين وربما تحتفظ بكتيبتين في بربر ودنقلا لبعض الوقت (من أجل أن يستطيع الزبير الحصول على ذخيرة) لديك الآن مراكب صالحة للمواصلات عبر أبوحمد، ويمكن للزبير إستخدامها بطول النيل. أما بخصوص تجارة الرقيق فإن المهدي سيكون أسوأ عشر مرات من الزبير، ويمكنك ربط دفع المعونة (للزبير) بغدم الإتجار في الرقيق على نطاق واسع. إن الزبير كحل هو منتصف الطريق بين الانسحاب السريع والاحتلال المستمر سواء من قبل الأتراك أو من قبلك.

لن يستطيع المهدي أبداً جعل الأهالي يثورون على الزبير، نسبة لعدم وجود نقطة إلتقاء، وسيجبرون على الالتحاق بالمهدي إذا رحلت ولم يكونوا سيلتحقون بالمهدي إذا كان الزبير موجوداً. سقطت بربر لأن الزبير لم يكن موجوداً.

الساعـ٦:٣٠ـة صباحاً – تدفق العرب عبر النيل الأبيض نحو بري يبدو أن بعض العرب في الضفة الشرقية للنيل الأزرق متجهين إلى الحصن الشمالي.

أصدرت أمراً للباخرتين الإسماعيلية والحسينية للتصدي لهم. أكتشف العرب نقطة ضعفنا وهي طول خطوطنا عند بري، ولكن البواخر ستصدهم.

رسم صفحة ١ – ٣

الساعـ٧:٣٠ـة صباحاً – النزوح لا زال مستمراً والبواخر تذهب أعلى النهر. الساعـ٨:٣٠ـة صباحاً ذهبت البواخر وطردت العرب من الضفة الشرقية للنيل الأزرق، والذين كانوا يطلقون النيران على خطوطنا. توقف إطلاق النيران الذي استمر لأربع ساعات ،إنني مسرور لأنه لم يحدث لدينا قتلى أو جرحى. أطلق العرب في الضفة الغربية للنيل الأبيض)معسكر المهدي(ثلاث قذائف على الخطوط المنتهية في الضفة الشرقية. يُعتقد بأن أحد الجنود الفلاحين فر خلال الليل إلى العرب.

الساعـ٩:٠٠ـة صباحاً – جمع العرب في جوار حصن أم درمان مجموعة من الأبقار يبدو إنها كانت متجهة نحو الحصن. أمرت الإسماعيلية بالذهاب إلى الأسفل، أعتقد أنهم يسوقون الأبقار نحو الحصن ويحاولون تفجير الألغام. يطلق العرب نيران كروب على خطوط القتال. الساعـ١٠:٠٠ـة صباحاً. يغادر العرب المنطقة المجاورة لبري عائدين إلى ديمهم بالقرب من النيل الأبيض. يطلق العرب قرب قرية أم درمان النيران عبر النهر اتجاه المقرن. فوجئ القنصل النمساوي عند تجواله هذا الصباح بقذيفتين تسقطان في الماء فكر راجعاً.

الساعـ١٠:٤٥ـة صباحاً انتهت المعارك وعاد الهدوء. ياله من إزعاج!! الصواريخ من أم درمان أوقفت تقدم الأبقار – إنها محاولة ذكية إذا كانت متعمدة[١٧].

أتوقع أن العرب أطلقوا ٣٠٠٠ طلقة اليوم. قتل لنا اليوم رجل وجرح آخر في الباخرة الصغيرة، ولدينا اثنين جرحى في الحصن وجرح رجل بإنفجار أنبوبة الصاروخ في أم درمان. أكره هذه الصواريخ ذات القضيب!. إن صواريخ (هيل) هي الأفضل وإن القضبان ليس لها شأن بانفجارها. إن مكوناتها في هذا المناخ تنكمش بعيداً عن العلبة وتشتعل النيران خارج وداخل الصاروخ « أتوقع أن نحظى بسلسلة من هذه المهرجانات وهي مزعجة!. توجد العديد من طلبات الأموال للتجار في الباخرة عباس. لقد كانوا واثقين من أن الباخرة ستصل. جاء ستة جنود وأربعة عبيد من العرب وقالوا: بأن العرب يفكرون في وضع حرس في الحلفايا (أتمنى ألا يفعلوا) مع المهدي حوالي ٨٠٠٠ رجل. وضع سلاطين وكذلك صالح باشا في القيد وحسين باشا خليفة صديق مقرب من المهدي. أمسكت أم درمان ستة عشرة بقرة عندما أقتربت من الحصن وكذلك عبد. قتلوا أحد العرب. يقول الرجال الذين جاءوا بأن العرب يريدون استمرار المهرجانات يومياً. يبدو أنهم لايهتمون بتقدم الحملة و أنهم واثقون على غير العادة أو جهلة، لا أبتهج البتة بالتفكير في هذه المهرجانات اليومية. إنها (فظيعة) كما يقول القنصل النمساوي.

من الغريب جداً التأثير الذي تحدثه ترتيباتنا الضخمة في دنقلا على مجريات الأمور – يمكن للمرء أن يقول بأنها أحدثت القليل حتى الآن – بينما أضعفت نفسي بإرسال بواخري إلى الأسفل[١٨] ومعها أربعمئة رجل ﴿على أي حال ليسوا الأفضل﴾ أتوقع أن تقام المهرجانات غداً في نهاية خطوط قتالنا في النيل الأبيض وهي الأضعف. يجب ألاّ أُلاْم على تطلعي إلى تكرار التعاسات الماضية – حقيقة عشنا أوقاتاً مزعجة لمدة ﴿٢٤١يوماً﴾ .جاء جندي آخر

ويقول: بأن المهدي فكر بأن الخرطوم يمكن أن تقصف من معسكره الجديد، ولكنه وجد أن هذ ليس ممكناً. إذا كان لورد ويلسلي قد قال بأنه يأمل في تحرير الخرطوم قبل (عدة شهور) فلابد أن لديه ثقة كبيرة في قدراتنا وتحملنا، آخذين في الاعتبار أنه عندما أدلى بهذا القول كنا محاصرين لمدة ستة أشهر ونصف ونحن الآن في شهرنا التاسع. إنني واثق من أمر واحد وهو أن السياسة التي أُتبعت مؤخراً (والسياسة التي قد تنفذ بالتخلي عن سنار .. الخ) هي التي ستعمل على الحاق الضرر بجيشنا. من هو الضابط في الحصن الذي يمكن أن تكون لديه أدنى ثقة بأنه من المستحسن التخلي عنه. أخبرتني حكومة جلالتها أو بالأحرى أخبرني[١٩] صديقي بارنج بألاّ أغادر الخرطوم إلى الإستوائية إلا عندما أمنح إذناً لدى هذه البرقية (إذا كان ممكناً أو أستطعت فعل ذلك) بأني إذا غادرت الخرطوم سأكون قد تصرفت عكس أوامري. تكلفني مسألة السودان هذه ٣٠٠٠ جنيه استرليني [٢٠] فوق مرتبي – على الأقل لن أطلب أو أسمح لهم بدفعها سأحصل عليها من آخرين وسأحصل على ١٠٠٠ جنيه أخرى لشراء يوميات ستيورات إذا كان قد قتل أو قبض عليه.

جاء جندي آخر من العرب إلى حصن أمدرمان، وأمسك الحصن أربع أبقار أخرى أي عشرين اليوم)سعر البقرة في المدينة ٢٠ جنيها أسترليني!(٤٠٠ جنيه أسترليني! هنالك شيء لا يفهم إطلاقاً إذا كان صواباً إرسال حملة الآن، فلماذا لم يكن صواباً إرسالها من قبل؟ من الجيد القول: بأن على المرء التفكير في الصعوبات التي تواجه الحكومة، ولكن ليس من السهل التغلب على الشعور بأن «كان هناك أملاً في عدم ضرورة الحملة لأننا قد هزمنا» أنا لا أشعر شخصياً بأي ضغينة تجاه هذه الطريقة المحسوبة، ولا أعتقد بأن المرء

ملزم لأن يتصرف كمنافق ويتظاهر بالصداقة تجاههم. إذا تصرف طالب في أتون أوهارود بطريقة مماثلة تجاه زميله أعتقد أنه (سيفصل) .وأنا متأكد بأنه يستحق ذلك. لا أجد شيئاً موازٍ لهذا التاريخ إلا إذا كان داوود مع يوريا الحبشية وكانت هناك حواء في هذه الحالة، وليس لديّ علم بوجودها في هذه الحالة. تذكر بأنني لا أحكم على التخلي عن الحاميات أو عدمه - إنني أحكم على تردد الحكومة. لم يجرؤ على القول (: تخلى عن الحامية) وبذلك منعوني من المغادرة إلى الإستوائية، مع الاصرار على عدم إنقاذي والأمل (حسناً لن أقول ماذا كان أملهم) (مارس، أبريل.. وأغسطس لماذا!) كان عليه أن يتسلم، لقد قال ستة أشهر.

هذه هي شكواي. ثانياً الأسطورة بأن الحكومة المصرية هي التي تحكم مصر - إنها رواية سخيفة - لأن كل واحد يراها. هل يمكن للمرء أن يتخيل مسرحية هزلية أكبر من طلب لورد نوربروك من توفيق)مساعدة الحكومة المصرية في تنفيذ هذا أو ذاك(؟أعتقد أن الاثنين انفجرا ضاحكين على هذا (للأسف لا أستطيع رسم هذا المنظر) لن يضحك بارنج فهو أمر خطير مثل المزاح داخل الكنيسة (المظلمة). الثالثة هي المعاهدة مع الحبشة تحت غطاء - الأسطورة إذا كان صحيحاً إنها أبرمت - على أي حال إنني مسرور لأقول إنها لم تعد نافذة المفعول.

٩ نوفمبر

جاء اليوم أربعة جنود وخمسة عبيد بينهم امرأتان. إطلاق نيران متفرقة من العرب على أم درمان وخطوط القتال على النيل الأبيض، أحد الرجال الذين جاءوا هو عبد لسلاطين بك. لاينوي المهدي القتال مباشرة والخلفاء[٢١] والعرب يريدون القتال مباشرة قتلت أم درمان بعض رجالهم، لدى العرب ذخيرة وسلاطين مقيد بالسلاسل. أحضر هؤلاء الرجال بنادقهم. خسر العرب كثيراً عند بري – بعض الجثامين جاءت طافية أسفل النهر– اليوم جاء جندي من العرب. جاء عدد قليل من العرب وأطلقوا نيراناً على حصن أم درمان وجرحوا عبداً.

إذا حاولت المغادرة سيفكر العرب كالآتي (إنك قد جئت إلى هنا وإذا لم تكن قد جئت كان بعضنا قد ذهب إلى القاهرة) . ولكننا واثقون بأنك ستخرجنا لقد عانينا ونعاني كثيراً من الحرمان لكي نحافظ على المدينة.

إذا لم تكن قد جئت لكنا استسلمنا فوراً وحصلنا على العفو. والآن وبعد دفاعنا المستميت لا نتوقع رحمة من المهدي وسينتقم منا جميعاً على الدم الذي أريق حول الخرطوم. لقد أخذت أموالنا وتعهدت بردها وكل هذا سيصبح سدىً إذا تخليت عنا إنه واجبك الملزم بأن تبقى معنا وتشاركنا مصيرنا. إذا تخلت عنا الحكومة البريطانية فليس هذا سبباً يدعوك للتخلي عنا بعد أن وقفنا إلى جانبك[٢٢]. أعلن بشكل حاسم ونهائياً بأنني لن أغادر السودان حتى يستطيع كل من يرغب في الذهاب أن يجد الفرصة لفعل

ذلك، وإلا إذا أقيمت حكومة ترفع عني المسؤولية. لهذا إذا جاء أي مبعوث أو خطاب يأمرني بالتنحي فلن أطيع، ولكن سأبقى هنا وأسقط مع المدينة وأجابه كل المخاطر. أفرزت هذه الملاحظات نتيجة للثقة غير العادية من قبل العرب، مرتبطة مع المعاهدة الحبشية وملاحظات مهمة أخرى في الصحيفة التي أرسلها لي كتشنر - حملة إنقاذ غردون - وأعتقد أنه يعلم أكثر مني وأن الحملة جاءت من أجلي شخصياً، أتمنى إذا ساءت الأمور وقفلت الحملة راجعة أن ترجع بواخري (بعد إخلائها من قوات الفلاحين) إلى هذا المكان مع ١٥٠٠٠٠ جنيه استرليني التي وعدني بها بارنج ! (أو أكثر كما أريد) وكذلك الكثير من المؤن التي يمكن توفيرها؛ وكذلك مدفع ليحل محل الذي فقد (أو قيل إنه فقد) في الباخرة عباس التي حاولت الإتصال بأوروبا والقاهرة. أرغب أيضاً في مجئ الزبير إذا لم يكن يحتاج إليه بشدة في القاهرة، أو لـ(إنقاذ المظاهر) يسمح له بالهروب. أتمنى أن يثأر لموت سيتورات المفترض بشكل رائع في الطريق إلى الأسفل[٢٣].

قبض على طفل خلال مسألة البقرة في أم درمان وقال: بأن أباه مع العرب فسمحت له بالرجوع لدي الآن كل (البرقيات) الأوروبية التي أرسلت وأستملت في السودان خلال العامين ١٨٨٣ /١٨٨٤ مجموعة رائعة مثيرة للإهتمام. ماذا ستعطي الاستاندارد مقابلهم؟ على أية حال أعتقد بأني أستطيع أن أكون كريماً، لذا سأرسلهم مع اليوميات[٢٤].

أمسكت حامية أم درمان هذا المساء بقرة - هذا رائع ٢١ بقرة خلال يومين.

الوثيقة الأصلية الوحيدة التي أبقيتها هنا وكدت أن أعطيها لستيورات هي الفرمان الذي ذكرته سابقاً. وأنا أرسلها مع هذا وهي الفرمان الذي يعلن فيه توفيق[٢٥] التخلي عن السودان. إذا حصل عليها المهدي سيصبح منتشياً،

بالرغم من إنه قد يكون علم بها لأنني أبرزتها لعدم معرفتي بمحتوياتها لحسين باشا خليفة (بموجب يوميات ستيورات، والتي أرسلت إلى الأسفل، وفيها أنتقد فعلي هذا) شعرت بالميل لأعطائها ستيورات، والذي كنت واثقاً بأنه سيصل إلى الأسفل ولأني أعتقدت إذا وجدت معي قد يقول المهدي «لماذا كان لديك الأمر من توفيق بالتخلي عن البلد و لم تفعل» ولكنني حينها فكرت بأني سأقتل قبل أن يستولى على المدينة، ولن يكون أمراً مختلفاً سواء أكانت معي أو مع ستيورات ولهذا احتفظت بها. أمعنت النظر إلى حقيقة أن كل وثيقة (ما عدا البرقيات المشار إليها آنفاً والتي أخذ ستيورات نسخاً منها) ذهبت مع ستيورات، وهذا يظهر مدى تأكدي من أنه وباور سيصلان إلى الأسفل، وإلا إذا كنت غير متيقن لما تركت أوامري الأصلية تذهب معهم والآن ليس لدى ورقة واحدة. لا أستطيع الاقتباس أيضاً، فالكل ذهب مع ستيورات، ولكن لدى ذاكرتي كما إنني أعطيكم البرقيات. لم أكتب أي تقرير رسمي فيما يتعلق بستيورات أو باور. لا أجرؤ مع آرائي، أن أقول: بأن موتهم كان شراً[٢٦]، إذا كان صحيحاً فإني أحزن لأصدقائهم وأقاربهم. كان ستيورات شجاعاً ومنصفاً ومستقيماً. هل يمكن للمرء أن يقول أكثر؟ كان باور شهماً وشجاعاً وأميناً. هل يمكن للمرء أن يقول أكثر؟ أحببت هيربن كثيراً. كان لطيفاً وسيداً فرنسياً وحاد الذكاء. سبته؟؟ الدبلوماسية في برقية ولكني وجدته منصفاً[٢٧] مع انحياز فرنسي طبيعي. من جانبي لا أرى الضرر الذي تحدثه فرنسا لنا إذا كان لهم كلمة في مصر... وأرى خيراً ينبع من ذلك. أعلن إذا كانت لي كلمة في مصر بأن الوضع الحالي لم يكن ليحدث. إذا لم يكن لديك نبل في منزلك فعليك استلافه من جارك. أطلقنا بالأمس ٤١٠٠٠ طلقة من ذخيرة رمنجتون وكان هذا أقل مما أطلقه العرب.

١٠ نوفمبر

جاء هذا الصباح أربعون من العرب بالقرب من حصن أم درمان، وأطلقوا نيرانهم - غاضبون على الإمساك بالأبقار في المساء السابق. جاء جندي وعبد من العرب إلى أم درمان ذهب سبعة عرب على الجمال من النيل الأزرق تجاه الحلفايا. أخشى أنهم فريق استكشاف قبل وضعهم لحامية هناك. اليوم توقعت أنه اليوم الذي نرى فيه أحد من الحملة هنا. عرفت في القاهرة هزيمة هكس يوم ٢١ أو ٢٢ نوفمبر[٢٨] - ومنذ ذلك اليوم وصلت تعزيزات بتسعة أشخاص إلى هذا المكان (حتى تاريخه) من القاهرة وتلام الحكومة المصرية (وفقاً للأسطورة) كلية!!!.

توفى الرجل الذي جرح بواسطة اللغم. إذا عرف المرء ما سيجلبه المستقبل لكان تعيساً جداً. أنظر البرقية في الجانب الآخر المكتوبة بتاريخ ديسمبر ١٨٨٣م، لن أقرأ هذه البرقيات أو يوميات ستيورات، بقدر كبير عندما أفكر كيف أننا ظللنا نعيش في أوهام لعدة شهور. جاء جندي وعبد من العرب إلى أمدرمان وكذلك خمسة جنود وثلاثة عبيد في ما بعد. يقولون: بأن سلاطين حرر من قيوده وهناك شائعة بتقدم الحملة مباشرة من الدبة إلى الخرطوم.

وأن القسيسين لويجي ويوسف لا زالا في الأبيض لرفضهما أن يسلما، وأن العرب فقدوا الكثيرين أول أمس. من غير الواضح لماذا لم يطلعني كتشنر[٢٩]. على الطريق الذي ستسلكه الحملة ليس هناك ضرر محتمل من هذا بالنظر إلى انتشار جواسيس المهدي في كل مكان كان يمكنه صياغة هذه المعلومة بطريقة أستطيع فهمها ولا يفهمها المهدي. ذهب الجندي الفلاح إلى المهدي حقاً[٣٠].

١١ نوفمبر

عند الساعة السادسة من صباح اليوم جاء ٢٠٠ من العرب إلى شمال حصن أم درمان وأطلقوا وابلاً من النيران على قرية توتي والحصن رد الحصن فتراجع مشاة العرب، ولكن الخيالة جعلتهم يعودون مرة أخرى واستمر هذا الحال لأربع أو خمس مرات على هذا المنوال، وأخيراً تراجعوا. جرح ثلاثة جنود وامرأة وكان جرح واحد خطيراً. أطلق العرب خمسة ألف طلقة، ويبدو أنهم لم يكونوا متحمسين للقتال. جاء ١٩ عربياً في محازاة الضفة الشرقية للنيل الأبيض من الحلفايا إلى القبة واستولوا على حمار، ولكن الشايقية لم يرضوا بهذا، ولذا أفترض أن ١٥٠ رجلاً و ١٥ من الخيالة تجمعوا وبدأوا قتالاً في السهل. من الواضح أن الخيالة لم يستطيعوا مقاومة العرب، وعموماً كان جلياً من السطح أن خمسة من العرب قد قتلوا ولا زالت المطاردة مستمرة، يمكنك تخيل أن لدى العرب ثقة كبيرة لأن ١٩ من رجالهم كانوا على بعد عشرة أميال على الأقل في الصحراء بعيداً عن معسكرهم كانوا في النقطة (أ) ويسيرون نحو ﴿رسم صفحة ٣١٣﴾ النقطة (ب) و (ب)عندما اكتشفوا مع الحمار الذي استولوا عليه. هرب خمسة من هؤلاء الرجال. بلا شك أن العرب سيعودون للانتقام - عند الظهر - يجئ العرب من معسكرهم. تستعد الباخرة الإسماعيلية للعمل. أبلغ الحصن الشمالي (؟)) « استولى على ٣ بنادق رمنجتون و ثلاث حراب؛ وثلاثة سيوف؛ وقتل ٢٠؛ وهرب خمسة؛ - أوقف العرب عند التلال الرملية - جاء خمسة

جنود وامرأة إلى أم درمان. يقولون « تعطلت أبنوبة صاروخ العرب، تعطلت حاملة المدفع، يهرب العرب. شائعة عن تقدم الحملة، تستمر الشجارات، سلاطين في القيد» يقول الشايقية إنهم قتلوا ٢٠ من العرب ولكنهم يقولون إنهم إستولوا على ٩ أسلحة – بهذا فإن ١١ لم يكونوا مسلحين!!!.

يبدو أن ٩٣٠٠٠ أقة + ١٦٦٠٠٠ أقة = ٢٥٩٠٠٠ أقة من البسكويت تم سرقتها في العام الماضي – تم اكتشافها الآن. على أية حال لدينا الآن ¼ مليون أقة، تكفينا فقط لمدة شهر أو نحو ذلك، يبدو أن ٣٠ من التجار الرئيسين متورطين في سرقة البسكويت أعلاه العملية لم تنته. أحد المشاكل الأساسية هي ماذا نفعل مع الشايقية وهؤلاء الباشبوزق من القاهرة والجنود الفلاحين وشجاعتهم متساوية – ولكن الكفة الراجحة تعود إلى الشايقية. الأبقار العشرون التي ذكرت أن رجال حصن أم درمان استولوا عليها (صار العدد ٤ بقرة) قادها خمسة جنود هاربين من العرب و لم يتم الإستيلاء عليها. إنهم لا يتوقفون عند كذبة (وأعرف إنهم في هذا يشبهون بعض الأشخاص في أماكن رفيعة) إن ٢٥٩٠٠٠ أقة من البسكويت مقدار هائل – تقريباً ٢½ مليون بطول قيمتها ٢٦٠٠٠ جنيه الآن أو ٩٠٠٠ جنيه في الأوقات الاعتيادية[٣١].

١٢ نوفمبر

جاء ثلاثة عبيد الليلة الماضية إلى أم درمان وأبلغوا عند الساعة ١١ مساء أن العرب ينوون الهجوم عند الفجر. تم إبلاغي، ولكن كاتب البريد اختار ألاّ يخبرني حتى الساعة ٧ اليوم.

استيقظنا عند ٥:٣٠ صباحاً على صوت وابل من الطلقات النارية في أم درمان جاء العرب في قوة كبيرة، وبما أنني لم أكن قد حذرت لم تكن البواخر مستعدة. كان العرب يجيئون ويذهبون باستمرار من الساعة ٥:٣٠ صباحاً حتى الساعة ٨:٣٠ صباحاً كل الفرسان كانوا في الخارج، وكان حرق الذخيرة هائلاً. كان للعرب مدفع أو مدافع في الضفة. التفاصيل لاحقاً لأن أطلاق النيران لازال متواصلاً.

الساعة ١٠:٢٠ صباحاً – هدأ أطلاق النيران، ومن ثم عاد مرة أخرى ولايزال مستمراً أصيبت الإسماعيلية بقذيفة ولكن سمعت بأنها لم تضار بشكل خطير. جنحت الحسينية (أشعر بالحاجة لبواخري الأخرى التي في المتمة) الساعة ١١:١٥ صباحاً – هدأ أطلاق النيران – كان عنيفاً خلال الثلاثة أرباع الساعة الأخيرة من الإسماعيلية والعرب، إنه الآن متفرق ويضمحل – لازالت الحسينية جانحة، الإسماعلية في المرسى يالها من ست ساعات من القلق بالنسبة لي. تخيل شعوري عندما أرى القذائف تصيب الماء بالقرب من البواخر. لدينا ٨٣١ جنيهاً من النقد و ٤٢٨٠٠ جنيه ورقي. وهناك ١٤٦٠٠ جنيه ورقي في المدينة إنني أقول: بأن الحالة المالية ليست

سيئة بعد ثمانية أشهر من الحصار مدينين للقوات براتب نصف شهر، وحتى هذا بالكاد يقال إنه دين لأنني منحتهم مخزوناً متجاوزاً اللوائح، الظهر - إنني مسرور بالقول إن إطلاق النيران توقف لقد عشت سنوات في هذه الساعات الأخيرة - إذا كنت قد فقدت الإسماعيلية فقد فقدت الحسينية (جانحة) ومن ثم أم درمان والحصن الشمالي وبالتالي المدينة الساعة ١:٠٠ مساء. يطلق العرب نيرانهم من مدفعيتهم على البواخر - لازالت الحسينية جانحة هذا هو السبب الآن توقفت النيران عند الساعـ١:٣٠ـة أصيبت الإسماعيلية بثلاث قذائف وقتل على ظهرها رجل وجرح خمسة عشر. لقد أبلت جيداً بالفعل. لكمت أذني كاتب البريد لعدم إخباري بالبرقية في الليلة الماضية ﴿بعد أوامر متكررة بأن لا يكون هناك أي اعتبار يمنعه من المجئ إليّ﴾ وبعدها بوخز من الضمير منحته ٥ جنيهات قال: بإنه لا يمانع حتى لو قتلته - إنني والده (شاب أسمر في العشرين من عمره) أعرف إن هذا تصرف وحشي - فظيع كما يسميه (هانسال) ـ ولكن ماذا يفعل المرء! إذا خفضت رواتبهم؟ أضررت بأسرهم أنا أدافع عن العقوبة الناجزة والسريعة والتي تؤذي المخطئ فقط. إذا حذرني هذا الكاتب بالطبع عند بزوغ النهار لكانت البواخر مستعدة وجاهزة لدينا مدفع كروب في المقرن. يقول فرج باشا: إنه عطل أحد مدافع العرب. أجرى العرب استعراضاً لأربعمئة من راكبي الخيل وكانوا بعيدين. تم قطع خط التلغراف ولا يزال بين حصن أم درمان وهنا)لا يعرف بعد إن كان من قذيفة أو أمر آخر(لا يُتعجب من قلقي نظراً لأن المدفع الجبلي عند العرب يستطيع. وفعلاً أحدث قدمين مربعين من الثقوب في الباخرة، (أشعر وكأني سرت ثلاثين ميلاً) أطلقنا ٨٣ قذيفة مدفع على العرب من المقرن و ٤٣ صاروخاً أطلق العرب ٣٧٠ قذيفة من

مدافعهم على البواخر. أما الذخيرة فقد أطلقنا ٥٠٠٠٠ طلقة (رمنجتون) من بواخرنا والحصون وأعتقد أن العرب أطلقوا مثل ذلك.

بالتأكيد أم درمان كانت (أكثر حماساً لإطلاق النيران على العدو)[٣٢] عند مطلع الفجر، وبالتالي أهدروا الذخيرة تنتهي هذه المعركة الكبيرة (إلى الآن) في حصارنا الثاني يقول الجواسيس (الليلة الماضية) تم هذا ضد رغبة المهدي من قبل خليفته أو وزيره والذي أقنعه بالسماح بذلك. خلال هذا لم يتحرك عرب الجنوب والشرق. قد يحسب المرء إنهم مثل الصينين لن يساعدوا أبداً بعضهم البعض.

هذه مجابهتنا الأولى مع القوات الشخصية للمهدي. ينقلب المرء عند الساعة ٣ صباحاً في نوم غير مريح، تقرع طبوله .... تجئ في حلم ولكن بعد لحظات يكون المرء أكثر يقظة ويكتشف العقل أن المرء في الخرطوم. السؤال التالي أين تقرع هذه الطبول؟ يبزغ أمل بأنها ستتلاشى لا أنها تزداد حدة.

يفكر المرء– هل لديهم ذخيرة كافية؟– (غدر الجنود السيئين) يرهق المرء نفسه . أخيراً – لافائدة – على المرء أن ينهض ويذهب إلى سطح القصر ... ومن ثم برقيات وأوامر وسباب حتى حوالي الساعة ٩ صباحاً. يمكن للرجال أن يقولوا ما يحبون حول الحرب الرائعة، ولكن بالنسبة لي هي مصدر إزعاج شنيع (إذا سمح بالقول: إن أي أمر يأتي إلينا هو مصدر إزعاج) رأيت ذلك الوحش الصغير – الحسينية (يخت من نهر التيمس) تقع على الخلف – مؤخرتها أولاً تحت نيران هائلة من البنادق التي تلغم عند مؤخرتها – رأيت قذيفة تضرب الماء عند مقدمتها – رأيتها تقف وتنفث البخار – أعطيت المنظار إلى خادمي، مشمئزاً حتى الموت – وأقول: إن أفكاري تحولت إلى .... أكثر من أي شخص آخر، و لم تكن خيره تجاهه.

قال خادمي (في الثلاثين من العمر) (الحسينية مريضة) عرفت ولكن قلت بهدوء أذهب وأبرق المقرن [٣٣] هل الحسينية مريضة؟ الجواب (لا) سألت مرة أخرى؛ الجواب (لا) وقالت البرقية (لقد جنحت) .

الساعة ٢:٤٥ مساء – حاولت الإسماعيلية سحب الحسينية ولكن أصيبت مرتين، إضافة إلى المرات الثلاث التي ذكرت سابقاً، ولهذا تخلت عن المحاولة. يطلق العرب نيرانهم على الحسينية، أمرت بأن يقصف مدفع كروب في المقرن تجاه العرب وسأنتظر حتى الليل لسحب الحسينية، إنها أقرب إلى الضفة الغربية من الضفة الشرقية. ليس واضحاً إذا كانت جنحت أو نصف غرقت (مشكلة في الحالتين) الساعة ٣:٣٠ مساء – أحضر العرب مدافعهم إلى موقع أقرب للحسينية الجانحة أو نصف الغارقة. أبلغت الإسماعيلية أن القذيفتين الأخيرتين لم يحدثا بها ضرراً كبيراً. الساعة ٤:٣٠ مساء – للعرب الآن ثلاثة مدافع مصوبة تجاه الحسينية، الساعة ٦ مساء – توقف إطلاق النيران – أرجو سحب الحسينية هذه الليلة الساعة ٧ مساءً واصل العرب إطلاق نيرانهم على الحسينية، وسمعت أن بها ثقب قذائف وبها ستة رجال جرحى بينهم الكابتن يجب أن أقول بأن العرب أظهروا اليوم شجاعة كبيرة، كانوا يعودون مرة بعد أخرى للهجوم بالرغم من نيران البنادق الكاسحة من الباخرة الإسماعيلية. أعتقدُ أنهم فقدوا الكثيرين لأنهم كانوا يأتون في مجموعات كبيرة في بعض الأحيان. أعتقد بأن العرب نصف نظاميين الذين قبض عليهم في كردفان ودارفور ... الخ، إذا استطعنا سنسحب الحسينية هذه الليلة ليس هناك سفن بحرية ملكية كانت للتصرف اليوم بطريقة أفضل من الإسماعيلية، لقد إجتازت وأعادت إجتياز مدافع العرب حوالي ٢٠ مرة عندما كان من الممكن لأي قذيفة دقيقة التصويب أغراقها. لا يهم إذا كان

البحارة يعرفون ذلك أم لا. لقد شعرت بإرتياح وفقاً لذلك كانت مدافع العرب ليست بأبعد من ١٢٠٠ ياردة منها، بل أقل في بعض الأوقات. أصيبت خمس مرات بقذائف تذكر أن الإسماعيلية هي مركب ممتاز وأن المدفع الجبلي المصري ممتاز مثل مدفعنا السئ ذي السبعة أرطال، فالمدفع ذي الثلاثة أرطال بالنسبة للمدفع الهاونيزر ذي الأثني عشر رطلاً - سواء للمدى أو التأثير أنك تريد مدفعاً يحدث حفرة وليس ثقباً وهذا ما يحدثه المدفع ذي السبعة أرطال - وكم هو عمل شاق لحملها. كل هذا الإنزعاج (التحدث بإنسانية) نظراً لكاتب البريد الأسمر، والذي لم يحذرني هناك نذير شؤم هذا المساء بأن العرب في النيل الأزرق عرفوا.بمشاكلنا مع الباخرة الحسينية جاءوا ضد بري، ولكن قذيفتين مدفع ردتهم. في الساعة ٤ مساء أطلق العرب في الضفة الشرقية للنيل الأبيض ١٢ قذيفة تجاه خطوط القتال وفتحوا نيران مدافعهم لمدة قصيرة، ولكن لم يحدثوا ضرراً، منحت بحارة الإسماعيلية والحسينية راتباً نصف شهر، ومنحت ٢ دولار للرجال الذين ذهبوا لسحبها - إنها جانحة وليست نصف غرقى. هناك نار (الساعة ٨ مساء) في الضفة الغربية للنيل الأبيض مقابل الحلفايا. دخل العرب في الخندق الذي يحيط .بمعسكرهم في أم درمان نحن نحتل الحصن x كان جيش هكس في هذا المعسكر المحصن بالخندق جاء العرب إلى y .

الساعة ٨:١٥ مساء - لازالت مدافع العرب في ضفة النهر ويطلقون النيران على الحسينية، والتي يحاول رجالي سحبها من الواضح أنهم غير مهددين لأنهم عادة يأخذون مدافعهم إلى معسكرهم بالليل.

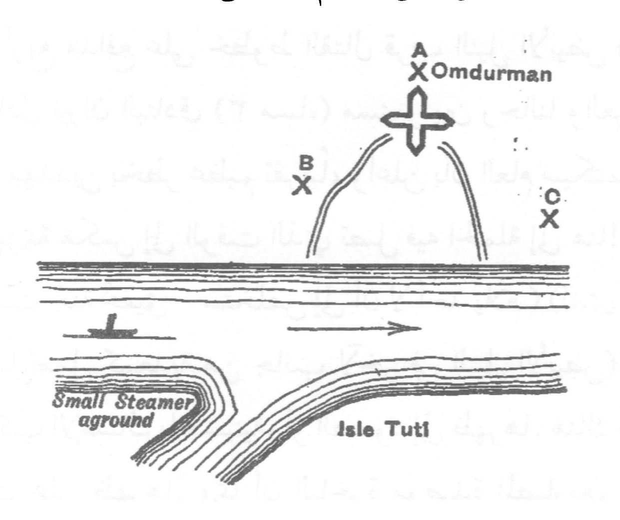
بلاغ من الحسينية الساعة ١٠:٢٠ مساء - جرح ٦ وقتل ٣ - الجهود لسحب الباخرة الحسينية غير فعالة حتى الآن.

١٣ نوفمبر

الساعة ٣ صباحاً أصيبت الإسماعيلية بقذيفتين [٣٤] بينما كانت ذاهبة لسحب الحسينية، لذا أخذنا مدفعها وبحارتها وتركناها. عند الساعة ٥:٣٠ صباحاً بدأ العرب في إطلاق النيران على خطوط القتال في بري ورأيتهم عند الساعة ٧ صباحاً ذاهبين إلى القبة مصطحبين مدفعاً. العرب في أم درمان هادئون أطلق العرب قذائف مدفعهم على حصن أم درمان وضع العرب مدفعهم في القرية خارج شيخ على، بالقرب من نهاية الخطوط على النيل الأبيض وأطلقوا قذائف على الخطوط، قطع خط تلغرافنا مع حصن أم درمان مساء أمس ولا يمكن أصلاحه)الساعة ٨ صباحاً(لأن العرب يقصفون الحصن. وضع العرب في الجهة الشمالية مدفعهم في التلال الرملية المنخفضة على بعد ٤٠٠٠ ياردة ويواصلون قصفنا، استمرت نيران البنادق على بري.

وضع العرب ليلة أمس مدفعهم لحماية الاقتراب من الحسينية. نقوم بإصلاح الإسماعيلية، أصيب تحصين دفة الحسينية بقذيفة أقمنا متراس على ضفة النهر لنحمي أي اقتراب للعرب من الحسينية. لدى أمدرمان بالأمس ¼ مليون خرطوشة رمنجتون. لدى حصن أم درمان تموين شهر ونصف من الطعام والماء، كان خطأ إقامة الحصن بعيداً عن النهر [٣٥]– لم يرفع العلم فيها بالأمس ولكن تم رفعه اليوم. أرسل العرب ٢٥٠ رجلاً إلى القبة، ولكن حلة خوجلي التي هي قرية من القصر، وتمت تسويتها بالأرض فبعيدة جداً ولا تستطيع إلحاق الضرر بنا. هناك شائعة في المدينة بأن العرب سيدخلونها غداً ويؤدون

صلواتهم في الجامع يوم الجمعة. يهدر العرب في القبة الكثير من ذخيرتهم) رمنجتون(لأن رصاصهم لايصل إلينا[٣٦] ... سينزعجون من عدم وجود الماء لأننا ردمنا كل الآبار في القبة... الساعة ٩:١٥ صباحاً. رجع العرب من القبة الساعة ١٠ صباحاً انعطفوا[٣٧] انعطافاً طويلاً وذهبوا لتطويل خطوطنا في بري في الضفة الشرقية من النيل الأزرق، حيث أطلقوا نيراناً كثيفة. أتوقع أننا أطلقنا ٥٠٠٠٠ طلقة بالأمس وأطلق العرب أكثر من ذلك، بينما أطلق العرب كمية كبيرة اليوم. نحسب أن جيش هكس فقد ١٠٠٠٠٠٠ خرطوشة، والآن بعد مضي عام ومن خلال إطلاق النيران هنا وهناك تم نفاذ ثلثيها وليس لديهم الوسيلة لتجديد الخراطيش ليس لديهم أكثر من ٣٠٠٠٠٠ طلقة.



ذهب العرب الآن من مقابل بري (الساعة ١٠ صباحاً) بعد أن أطلقوا الكثير من الذخيرة ولم يصيبوا أحداً في الحصن. لايزال حصن أم درمان مقطوعاً عنا - العرب في (أ) و (ب) و (ج) بالتأكيد نال العرب الأفضل بالأمس ومع ذلك أتوقع أنهم دفعوا ثمناً، لذلك يبدو أن الحسينية جنحت من خلال الكابتن والذي جرح بعد ذلك، فهو لم يفعل بما قاله له الريس. من حسن

الحظ أني تنبأت باحتمال قطع حصن أم درمان فقمت بإمداده باللوازم. على أية حال إذا كانت الحملة ستجيء فيجب أن تكون هنا في وقت قصير. قتل منا بالأمس سبعة وجرح ١٥، ثلاثة منهم في حالة خطرة لا أشعر أبداً بالقلق حول أي معركة إلا عندما تكون البواخر مشتركة، وعندها أقر بأني أصير متوتراً طالما هي في المعركة. للعرب أربعة مدافع أسفل النهر ويطلقون النيران عبر النهر تجاه حصن المقرن، ويرد عليهم الحصن من مدفع كروب وبالصواريخ. لسنا محظوظين مع البواخر الصغيرة، والتي كنت قد أحضرتها في أجزاء من إنجلترا – لقد فقدنا مؤقتاً الحسينية – والأخرى عباس أين هي؟ لدى العرب الثالثة (محمد علي) في النيل الأزرق. أطلق العرب هذا الصباح نيراناً من أربع مدافع على خطوط القتال قرب النيل الأبيض (أطلقوا ستين قذيفة) تبادل نيران البنادق (٣ مساء) مستمر بين رجالنا والعرب. بالتأكيد لقد تركنا مهددين بخطر عظيم تقريباً، وأعلن بأن العام سيكتمل منذ سماع القاهرة بهزيمة هكس إلى الوقت الذي تصل فيه الحملة إلى هنا!! أنا وأثق من أنه إذا كونت لجنة تحقيق – ستخلص إلى أن لا أحد يلام) (لدى العرب ثمانية عشر مركباً تعمل كمعدية من جانب لآخر في النيل الأبيض) قد يحاولون بهذه المراكب الإمساك بالحسينية، أو الصعود إلى ظهرها. هناك بعض حقائب البسكويت على ظهرها. وبما أن الباخرة موصدة المصاريع، فسيكون من الصعب إزاحتهم إلا بإغراقها. سيجدون البسكويت وهكذا لديهم الكثير من الطعام. سقطت خمس عشرة قذيفة هذا الصباح ولكن لم تحدث ضرراً.

تقريباً كانت كل قوات العرب التي جاءت اليوم إلى الناحية الشمالية من السود، وربما معهم أربعين من الخيالة العرب. أخيراً سيعرف العرب إزعاج هؤلاء المملوكين[٣٨] ضربت أربع طلقات من العرب القصر اليوم – ٢٨٠٠

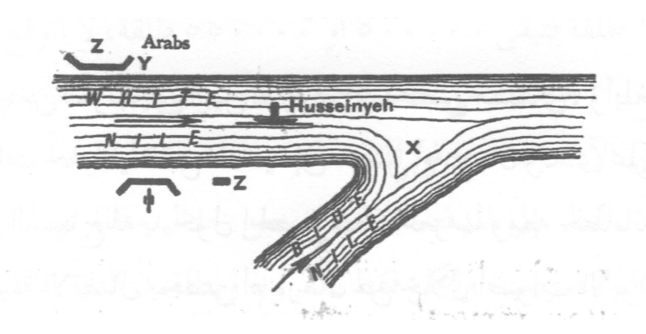
باردة– وكانت قوية جداً. جاء أحد أهالي الخرطوم، واشتكى من أنه وأسرته ليس لديهم شيئاً يأكلونه منذ أربعة أيام – وجدت ثمانية أرادب ذرة في منزله، كما وجدت أربعين أردباً في منزل آخر.

١٤ نوفمبر

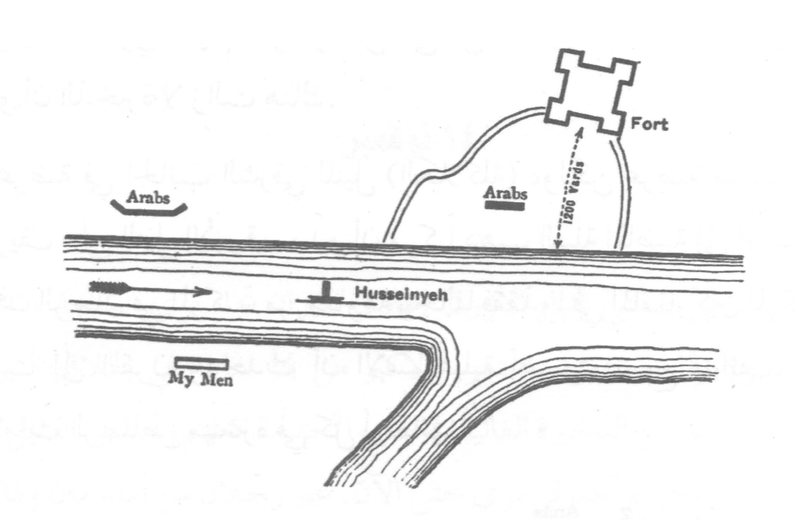
بدأ العرب في ضفتي النيل الأزرق إطلاق النيران تجاه بري الساعة ٥:٣٠ صباحاً ولايزال مستمراً. استمروا لأكثر من ¼ ساعة في إطلاق النيران وأهدروا الكثير من الذخيرة الغالية. أحضروا أحد مدافعهم وأطلقوا القليل من القذائف. لم يجرح أحد في بري حتى الآن. عبر رجلان من أمدرمان وقالا: بأن فرج الله بخير و لم يجرح في الحصن أحد من رجاله. أطلق العرب هذا الصباح نيران مدافعهم تجاه الحصن. حاول أحد العرب السباحة إلى الحسينية (قالوا) ؟إنهم قتلوه. أتعجب أين الملك يوحنا وجنوده (٢٠٠٠٠)!!؟ أفكر كالآتي: (١) سيكون من غير الممكن للحملة فور وصولها دنقلا، عدم التحرك إلى المتمة أو المنطقة المجاورة لبربر (٢) سيجدون البواخر حال وصولهم المتمة أو بربر وبالتالي التواصل مع الخرطوم. (٣) يجب عليهم تقلد مسؤولية حكومة البلد فور اتصالهم بالخرطوم)بالطبع عند تقلدهم تلك المسؤولية، يكون قرار ما سيفعلونه متروكا لهم((٤) ليس في إمكانهم التسكع طويلاً في الطريق بين دنقلا)أو الدبة(والمتمة (٥) ليس في إمكانهم)نسبة للحوادث خلال الأيام الماضية(تجنب الاصطدام بالعرب حول الخرطوم. كان هذا ممكناً خلال الأسبوع الماضي[٣٩]، أما الآن فإن العرب قريبون جداً من المدينة ولا يمكن تجنبهم نسبة لانعزال حصن أم درمان ،يكون واجباً اتخاذ إجراء لإعادة فتح الاتصالات، قد يهرب العرب ولكني ومنذ أيام قليلة أشك في ذلك. جاء هذا الصباح جندي من الحصن الشمالي. كذبة

أخرى – أخبرني بأنهم أخرجوا كل شئ من الحسينية ما عدا البسكويت – يبدو أن الذخيرة لا زالت هناك.

لا عرضة في الجانب الشرقي للنيل (الكلاكلة) ،ولكن عرضة مستمرة في الجريف على النيل الأزرق. يبدو أن مركباً ذهب الليلة الماضية إلى الحسينية، خاف الرجال في المركب من مقاومة رجالنا فقفذوا في الماء تاركين المركب. ذهبت إلى المقرن ووجدت أن الإسماعيلية أصيبت بسبع قذائف، وأن علامات الرصاص منتشرة في كل أرجائها.



إصطف العرب)٤٠٠ بندقية(في خندق مقابل الحسينية. أقمنا متراساً في جانبنا مقابل الباخرة. لدى العرب أربعة مدافع يطلقون منها نيراناً متفرقة، ولكن بلا أضرار. نيران بنادق العرب مستمرة وبلا جدوى، نيراننا أقل كثافة وأتوقع أنها بلا جدوى أيضاً لأن العرب يحتمون بالساتر. أطلق العرب خمس زخات من الرصاص عندما كنت هناك – يبدو أنهم يستمتعون بالضجة. تبعد الحسينية بحوالي ١٢٠٠ ياردة من النقطة × و ٨٠٠ ياردة من Y و ١٠٠٠ ياردة من Z حيث يوجد خندقي: توجد الحسينية عند نهاية خندق أم درمان الذي يحيط بمعسكر أم درمان المحصن. مؤخرة الحسينية تجاه العرب.



جاء جندي من العرب من النيل الأزرق إلى الحصن الشمالي، وأبلغ بأن رجلاً معه خطابات جاء الليلة قبل الماضية إلى حصن أم درمان ونادى على الحراس، ولكن قبل السماح له بدخول الحصن قبضه العرب ومعه خطاباته. أتمنى أن أستطيع الليلة الاتصال بحصن أم درمان من خلال أصوات الأبواق.

قائمة معدلة للسرقة: ١٧٢٠٠٠ أقة بسكويت – تغيير كل يوم. لدينا اليوم في المخزن ٢٤٠٠٠٠ أقة بسكويت و ١٣٢٦ أردب ذرة أمرت بأن تمنح ١٠٠ أقة، وأن تباع ٤٠٠٠ أقة.

موقع حصن أم درمان سيئ فمنه لا يمكن مشاهدة الأرض إلى النهر وتبعد ١٢٠٠ ياردة من النهر. عدد العرب في الضفة الغربية للنيل الأبيض قبالة الحسينية ٥٠٠ (أتوقع أن كلهم جنودي) وهم بعيدين عن كل احتياطي. ويكون من السهل سحقهم قبل أن تتم مساعدتهم إذا جرؤنا على المحاولة – ولكننا لم نفعل كنت في حصن المقرن لمدة نصف ساعة، أطلق العرب خلالها كما حسبت، ١٥ قذيفة و ٨٠٠٠ طلقة ولكن لم يمس شخص، حقيقة أين ذهب الرصاص لا أستطيع أن أرى أو أسمع ليس هناك مخازن تتحمل هذا،

وحتى مغيب الشمس كانت البنادق والمدافع تفعل ذلك. لم تكن هناك إصابات في بري بالرغم من كثافة النيران إن ٨٠٠٠٠ طلقة بالكاد تغطي صرفنا الكلي اليومي.

تقول تقارير من العرب في أوقات مختلفة بأن المهدي أحضر ٢٠٠ (البعض يقول ٢٠ جملاً محملة بالذخيرة (رمنجتون) من الأبيض – لنقل ٢٠٠، وأن كل جمل يحمل صندوقين بكل صندوق ١٠٠٠ وبهذا كان لديه قبل أن يبدأ ٨٠٠٠٠٠ طلقة لا بد أنه صرف خلال الأسبوع الماضي ٢٥٠٠٠٠ إلى ٣٠٠٠٠٠ طلقة فتبقى ٥٠٠٠٠٠ أو ٥٥٠٠٠٠ طلقة، لا أتوقع أن المتبقي لديه ٢٠٠٠٠٠ طلقة، وهي حصيلة صرفه الأسبوعي إذا استمر بنفس المعدل الذي يجري الآن، إننا ننتج في المتوسط ٤٠٠٠ طلقة أسبوعياً وهو أكثر من إحتياجاتنا. بالنظر إلى المدفعجية العرب من خلال منظاري أرى أنهم لا يهتمون أبداً بالتصويب، ولكن فقط يعمرون ويطلقون النار. بالطبع الوضع مختلف عندما تكون البواخر في المعركة. جرح الضابط المسؤول عن حصن المقرن في يده عند المغيب. توفى اليوم ربان الحسينية. نعتقد بأن على متن الحسينية الرجال الذين ذكرت بأنهم قفزوا الليلة الماضية من المركب عندما واجههم الحرس، وكذلك جندي من أم درمان سبح إليها حاملاً خطابات من فرج بك قائد الحصن، لذا سنرسل مركباً للحسينية لإخراجهم. جرح اليوم عامل في الترسانة البحرية جراء قذيفة من بري على بعد ٢٣٠٠ ياردة. إن إطلاق العرب النيران على بري يجعل المنطقة المجاورة للقصر أكثر خطورة من بري. تسقط القذائف بكثرة حول المديرية، والتي هي قريبة من القصر، مما أجبر القنصل اليوناني على الوقوف لبعض الوقت حتى توقفت النيران. تبعد المسافة من القصر إلى المكان الذي يطلق العرب منه النيران حوالي ٢٥٠٠ إلى

٣٠٠٠ ياردة على الأقل. وضعنا مدفع الباخرة الإسماعيلية على ضفة النيل لنغطي الوصول إلى الحسينية يقول القنصل اليوناني: (تنهمر القذائف كالماء) على الطريق المؤدي إلى القصر. أعتقد أنها تعني الكثير إذا كانت الذخيرة ونيران البنادق تسقط حتى ولو على بعد ٣٠٠٠ ياردة. إن القذائف التي تسقط على القصر مسطحة مما يعني أن لها قدرة كبيرة على القتل اتصل حاملوا الأبواق بحصن أم درمان وهم بخير. الساعة ٨ مساء. سنرسل غداً إشارات بالرايات. من الشر ينبع الخير - إذا لم تكن الحسينية قد جنحت لكان العرب بدلاً من تركيز قوتهم واهتماهم عليها، كرسوا اهتمامهم على الحصن وبما أنه معزول وتكبد كثيراً، ولكن الآن لم يتأثر ،انهمرت القذائف بالأمس واليوم على المستشفى، ولكن لم يصب بضرر. أعتقد أن بالإسماعيلية ٢٠٠٠ علامة رصاصات.

١٥ نوفمبر

أرسلنا الليلة الماضية مركباً أحضر الجندي الذي أرسله فرج الله، وكذلك العشرة رجال الذين قفزوا من المركب إلى الماء الليلة الماضية. يكتب فرج الله بأنه بخير ويطلب ذخيرة!!! لديه قبل ثلاثة أيام ٢٣٠٠٠٠ طلقة ويقول: بأن لديه الآن ١٥٠٠٠٠. أيضاً معه ٤٧٠ نظامي مع كل واحد ١٠٠ طلقة أي ٤٧٠٠٠ ومعه ١٧٠ غير نظامي مع كل واحد ٢٠٠ طلقة أي ٣٤٠٠٠ أي مجموع ما معه هو ١٥٠٠٠٠ في مخزن الحصن و ٨١٠٠٠ مع الرجال أي مجموع ٢٣١٠٠٠ ومع هذا يطلب ذخيرة أخذ هكس معه ١٠٠٠٠٠٠ حاملوا الأبواق إتصل بحصن أم درمان، ومن ثم تحدثوا مع الجنود في معسكر المهدي ولكنهم لم يردوا؟ لقد طلبنا منهم المجيء إلينا.

لم يشاهد العرب الفلوكات الخمس التي أخرجت الرجال من الحسينية أرسلت مهندساً لنزع صمامات البخار من الحسينية. هذه المرة أخذت الفلوكات كل شيء من الحسينية - البسكويت والذخيرة ... الخ. يبدو أن العرب الذين يراقبون الحسينية ذهبوا إلى كرري قبالة الحلفاية - ولكن هذا أمر مشكوك فيه. فتح العرب نيراناً كثيفة عند الفجر على بري ولكن لم تكن ذات مفعول، وكذلك أطلقوا النيران من مدفع وبنادق على حصن أم درمان قُتل أربعة وجرح ستة عشر خلال الأيام القليلة الماضية في حصن أم درمان. أصابت قذيفة الحسينية بالأمس و لم تحدث ضرراً. لا جرحى اليوم في بري ،توفى اليوم البمباش الذي جرح في يده بالأمس، وكان مستلقياً على عنقريبه [٤٠] والذي أعتقد أنه مكان آمن. وأطلق العرب الذين في ناحية

النهر في أم درمان نيراناً متفرقة من مدافعهم وبنادقهم طيلة اليوم، ولكن اشتد القصف عند مغيب الشمس. إذا استمر العرب هكذا لأيام عدة ستنفذ ذخيرة مدافعهم وبنادقهم. إن جنوح الحسينية صار مفيداً لنا، لأن اهتمام العرب صار منصباً عليها ونادراً ما أطلقوا نيرانهم على حصن أم درمان. حتى وإن كانت لدينا فنفعها سيكون قليلاً.

أرى أنني كنت غير منصف للجندي الفلاح، وبالرغم من أنه لم يكن شجاعاً بما يكفي للبقاء في ميدان القتال لكنه قام بأفعال جيدة في البواخر، والعديد من ضباطهم ورجالهم قتلوا وجرحوا (شكراً للسياسة التي اتبعت في أماكن أخرى) في معارك لم تكن تعنيهم، أبديت هذه الملاحظات عند زيارتي للمستشفى اليوم ورأيت جموعاً من الجنود الفلاحين جرحى، وهم الذين تم وضعهم في البواخر لأنهم في المعارك لن يستطيعوا الهرب بينما أبقيت السود لحماية خطوط القتال، بينما كنت مغادراً المستشفى كان هناك رجل متوفي يحمله أربعة رجال مقيدين بالسلاسل ﴿مدانون﴾ في نقالة ويصحبهم جنديين شاهرين السونكي وذلك كي يدفن مثل كلب! هذا جزء من أمجاد الحرب! وفقاً للطب نطلق ٤٠٠٠٠ رصاصة في اليوم - يطلب الضباط بنادق رمنجتون لأن ما لديهم تعطل نتيجة لإطلاق النيران الدائم. أشعر بعدم المبالاة لأنني إذا لم أنفذ خلال شهر سينفذ مخزوننا من الطعام، وكذلك بمعدل صرفنا اليوم للذخيرة لدينا خراطيش لخمسين يوماً فقط. أتمنى أن أغادر بشرف. العرب متساوون معنا في الصرف وليس لديهم احتياطي من الذخيرة أو وسائل لإصلاح أسلحتهم. ساسمي الباخرة الجديدة (الزبير) على اسم الزبير باشا رحمة[٤١] تريد المدينة تسميتها باسمي ولكني قلت: (وضعت معظمكم في السجن أو تنمرت عليهم ولست أخشى نسيانكم لي).

١٦ نوفمبر

العرب هادئون – القليل من إطلاق النيران على المقرن. أتوقع أن المهدي أكتشف بسرعة أن رجاله يهدرون الذخيرة مثلما أكتشف أنا. هناك عرضة اليوم قرب معسكر المهدي. قام العرب عند الغروب بالأمس بنقل معسكر المهدي إلى الداخل. قيد الدراسة انسحابهم كلية – يكون أمراً رائعاً إذا حدث–. نقص المعسكر المقابل لخطوط القتال كثيراً – لا أكثر من خمس أو ستة خيم ذهب العرب هناك إلى الجريف والعيلفون على النيل الأزرق كل شيء هادئ اليوم ما عدا إطلاق نيران مدافع العرب على المقرن ورد مدفعيتنا عليهم. أطلق العرب ١٦ قذيفة خلال ساعتين ولكن لا أضرار. لابد أن ذخيرتهم نفذت تقريباً، جرحت صباح اليوم امرأة في بري. يتبع العرب مبدأ معتاداً مع الجنود السود الذين يقبضونهم لأنهم يعلمون بأنهم سيهربون إلينا في أول فرصة إذا استطاعوا، لذا يعطونهم جرابة كاملة ويعدونهم بجرابة قليلة إذا قاتلونا. بعد ذلك يجبرونهم على الالتحام بنا – للظهور في المرة الأولى وللحصول على الجرابة الكاملة – عندما يظهرون نطلق عليهم النيران ونقتل البعض – حينها يغضبون وينتقمون بعنف ويحثهم العرب قائلين لهم: « أطلقتم النيران الآن على قوات الحكومة ولن تسامحكم الحكومة» وهكذا لا يفرون إلينا. نفس الشيء في بري – كان يأتينا الكثيرون فارين – ولكن بعد أن وبخناهم مرة توقفوا عن المجيء قبلوا بقضية المهدي وخافوا منا، إذا جاءوا ،إن الإنكشاريين هم أبناء لأبوين مسيحين قبض عليهم وهم صغار –

حاربوا بنشاط ضد المسيحين عندما كبروا. يقولون نادراً ما يكون العرب في الصفوف الأمامية.

لدينا تسعين رجلاً في المستشفى أربعة وخمسون منهم جريحاً. قتل رجل وجرح آخر اليوم في المقرن. جرحت امرأة بالأمس في المدينة يقال في المدينة: إن سبعين من جنودنا المقبوض عليهم قد فروا إلى حصن أم درمان، بعد أن أكد لي ضباطي أنه من الخطورة السير في ضفة النهر حيث الحسينية حتى ولو بالليل نسبة لنيران بنادق العرب وميلي إلى الشك في الماضي، ذهبت الليلة حوالي الساعة ١١:٣٠ ووجدت أن كل هذا خرافة، عبارة عن غدر لعدم العمل على سحب الحسينية خلال الليلة الأولى لجنوحها وكذلك محاولة لتضخيم الخطر وشجاعة أولئك الرجال الذين أخرجوا الذخيرة في الليلة قبل الماضية، على أية حال نسبة لأنها تجد اهتماماً من العرب وبالتالي لايزعجون حصن أم درمان، فاسأتركها كما هي. بالطبع لا حاجة لي أن أقول إني وجدت كل الضباط المسؤولين غائبين - ذهبوا للنوم في منازلهم. لم أنزعج هم كقاعدة أجبن من الأرانب ولا شيء سيغير من طباعهم. توجد الحسينية بالقرب من ملتقى النيلين الأبيض والأزرق. ويمكن للمرء أن يقول: إنها داخل خطوط قتالنا أستطيعُ القول بإن هذا تكرار، ولكن إذا خرجنا من هذه الفوضى ستكون معجزة لأني أعتقد بأنه لا يوجد مجموعة ضباط أكثر إهمالاً، ولكن العامل السيئ دائماً يشكو من أدواته والعامل الجيد ينتج عملاً، جيداً مهماً كان سوء أدواته.

١٧ نوفمبر

من المضحك جداً (عندما يستطيع المرء أن يدعي بأن حياته ملكه) أن يجد المرء خادماً له زوجة واحدة (الكثيرون يعتقدون أنها تكفي) يأتي إليك طالباً إجازة لثلاثة أيام حتى يتزوج امرأة أخرى. كانت هذه هي الحالة قبل أيام قليلة مع أحد خدمي.

أطلق العرب نيران مدافعهم هذا الصباح على بري من النيل الأبيض ومن أم درمان -كذلك يطلقون النيران من بنادقهم. لديهم اليوم (عرضة) عند معسكر المهدي. أعتقد أنهم يمارسون تعصبهم. لدى العرب مدفع نوردفيلد مقابل الباخرة الصغيرة الحسينية. أهالي المدينة مبتهجون بتسمية الباخرة الجديدة (الزبير) ،ستغضب جمعية محاربة الرق.[٤٢] إذا كان الزبير قد جاء، لكنت قد حصلت على الأنباء منذ زمن طويل قبل الآن.[٤٣] يبدو من السخف عندما تكون سياستنا تسليم السودان إلى المهدي وهو ورجاله صائدو رقيق بدرجة أكبر مما سيكون الزبير، إننا لم نستغل هذا الرجل في هذه الحملة هناك مائتي رجل في جزيرة توتي، ومع ذلك جاء رجل الليلة الماضية وقتل رجلاً واستولى على ثلاثة حمير - إنهم لا يستحقون كلمة رجال. كيف كان الزبير سيعامل هؤلاء الرجال، سيذهب إلى توتي ويجلد كل واحد عمره ما بين الثامنة عشر والخمس وثلاثين ثلاثين جلدة على الأقل إني مجبرعلى إرضاء نفسي بالعويل.

(أعد الشهور مارس، أبريل– مايو، يونيو، يوليو، أغسطس، سبتمبر، أكتوبر

ونصف نوفمبر إنها خرق للعقد[٤٤]. إذا كان صحيحاً أن الأحباش طردوا من كرن، أتوقع عاصفة من الضحك. في داوننج ستريت على سذاجة الأمبراطور جوت (كما يسميه ميتراكس) من الغريب جداً أننا لم نتلقى أخباراً من كسلا لعدة شهور – ليس منذ ... سبتمبر حتى .... «قلت إنه أمر شنيع، ماذا ستقول عندما أخبرك بأنه كتب صوراً وصفية عنك وعني؟ إنه أمر رهيب أن أقول: بأنه كتبها في يومياته شبه الرسمية ولا نستطيع فعل شيء. إذا هوجم كضابط بريطاني سيقول إنه كتب الوصف كحاكم عام والعكس بالعكس.

بعيداً عن حزني على ستيورات فإن فقد يومياته تؤثر فيَّ لأن بها الكثير من الأشياء المثيرة. نوشدت كل القوى (بما في ذلك البابا واستثناء إنجلترا وفرنسا) في مذكرة مؤثرة بأن تحشد قوة مساعدة تحت إمرة بيكر ... الخ، ووقف بعض الدراويش كتبت كذلك للسلطات لا أعلم إن كانت هذه المناشدات قد وصلت ولكنها كلها منسوخة في يوميات ستيورات. إن الحوادث ومخاطباتي جعلت منه مؤخراً شريراً مثلي لابد أن بارنج قد انزعج خلال الثمانية أشهر الماضية – لقد تم ترشيحه من الجميع)بمساعدة باور(إذا وصل القنصل الفرنسي، هيربن فإن يارنج سيتعب كثيراً. يقول الوزير الفرنسي عن إخلاء السودان: بالطبع إن يارنج سيحتمي خلف أسطورة بأنه كوزير بريطاني لا علاقة له بالأمر – يالها من مهزلة! – إذا لم تكن تتعلق بحياة رجال. يجب على المرء أن يحزن له عندما يرى بأن يارنج يعمل بجد كعبد لمثل هذه النتائج المؤلمة.

أرسلت ١٥٠ من هذه القوات الممتازة (الشايقية) إلى جزيرة توتي نتيجة للغضب في الليلة الماضية (أنا لا أعتقد بأن رجلاً واحداً جاء وقتل رجلاً آخر وأخذ ثلاثة حمير في مركب – إنه أمر سخيف) على أية حال إن الشايقية

في أمان في جزيرة توتي أكثر من وجودهم في الحصن الشمالي. جاء العرب الساعة ٧ مساء وأطلقوا النيران على بري من الضفة الغربية للنيل الأزرق. سالني الضابط)وهو كونيل كنت أنا من قام بمنحه هذه الرتبة(هل عليه الرد على إطلاق النيران؟ قلت: «من الأفضل أن لا تسألني هذا السؤال إلا إذا أردت الإمساك بها»

بالتأكيد إنني أدعي بأنني أكثر من أي رجل آخر توليت قيادة قوات جبانة لكن تجربة ١٨٨٤م تفوق كل التجارب الماضية. الأمر الأسوأ أنك لا تستطيع تصديق كلمة واحدة يقولها الضباط فيما يتعلق بالميجور؟ الذي كان غائباً الليلة الماضية من حصن المقرن فهو يقول: بأنه كان في مكتب البريد - إنها كذبة صريحة - لم أفعل له شيئاً أكثر من نعته بالكاذب - يحتمل أنه يعتبر هذا إطراءً. أخبرني رقيب تحملته لمدة طويلة بكذبتين متعمدتين خلال يومين، لذا طردته هل يمكن التعجب بعد تسعة أشهر! والكثير من هذا النوع من القلق الحربي وكذلك القلق المدني إنني سئمت الأمر كله، ويشترط ألاّ أكون جزءاً)ولن أكون(من انسحاب دنيء، فإنني سأكون مسروراً للخروج من هذا المكان.

أطلق العرب ١٥ قذيفة على حصن أم درمان، واحدة فقط أصابت المخزن - جرح رجل جراء شظية من قذيفة في المقرن. لابد أن حاملات المدفع عند العرب في حالة ماسة للإصلاح. يصنع بحارونا باستمرار حاملات جديدة وليس عند العرب الوسيلة لفعل ذلك. توجد الحسينية عند انفصال النيل الأبيض والنيل الأزرق، وليس كما ذكرت سابقاً كل الجزء المكشوط هو إساءة ليارنج [٤٥] قال أحدهم: « إذا شعرت بالغضب، أكتب خطاباً ومن ثم مزقه» من المؤكد أنها راحة للبال أن تكتب حقدك ومن الأحسن أيضاً

تمزيقه– أجرؤ للقول: بأن بارنج يقوم بواجبه أفضل مني – بالتأكيد إنه أكثر وطنية – إذا كانت الوطنية تعني إطاعة الحكومة الموجودة في بلد المرء[٤٦] يقول الطبيب: بأن قذائف ورصاص العرب سقطت هذا الصباح حول المستشفى ولكن لم تحدث ضرراً – كانت هذه القذائف والرصاص من بري.

١٨ نوفمبر

كل شيء هادئ حول المكان أطلقوا قذائف قليلة من مدافعهم على خطوط القتال بالقرب من النيل الأبيض. الساعة ١١:٣٠ صباحاً تحرك العرب في الضفة الشرقية للنيل الأزرق نحو الشمال. أتوقع نسبة عدد الحمالين أنهم سيقيمون معسكراً في الشمال، قد تصير الأمور كما يجب المرء توجد ثلاث حقائق بارزة لا يمكن إنكارها.

رفضت حكومة جلالتها مساعدة مصر بخصوص السودان، ورفضت السماح لمصر مساعدة نفسها، ورفضت السماح لقوة أخرى بمساعدتها - لا يمكن نقاش أو شرح هذا الأمر. كانت رسالة لورد دفرين (لا تتدخل)[٤٧] إن استقالة شريف هي عدم السماح لمصر بمساعدة نفسها،هذه المساعدة المتأخرة التي أتت تحت الضغط ورسالة بارنج يؤكدان عدم الرغبة في المساعدة.

استقر العرب في الديم القديم الذي احتلوه في شهر مارس الماضي مقابل القصر وأخلوه في شهر أغسطس. سيتيح لنا قربهم المزيد من الجواسيس، والذين افتقداناهم حتى اليوم - هذه العملية لا تظهر كأنهم مرتعبون من تقدم قوات الحملة نصبوا خيامهم في ١٢ مارس في نفس المكان الذي ينصبون فيه الخيام الآن - قبل ٢٥١ يوماً - كنا خلالها في عداءات معهم، وكنا مجبرين بأن نكون على حذر - من ماذا؟- بسبب ماذا؟ - ماذا؟- كانت الإجابة مكررة إلى حد الابتذال.

أطلق العرب من ناحية أم درمان نيران مدافعهم على المقرن الساعة ١:٣٠ مساء، صرفوا الكثير من ذخيرة مدافعهم خلال الأيام القليلة الماضية الساعة ٣:٣٠ - لازالوا يطلقون النيران يمكن للمرء تمييز مدفع نوردنفلد. أتذكر عندما غادر هكس إلى السودان كيف أن الصحف كتبت عن تأثير مدافع نوردنفلد على العرب مثلما كان تأثير مدافع الفرنسيين ميترالويز قبل الحرب الفرنسية - البروسية. عند الساعة ٤ مساء أطلقوا النيران بسرعة لمدة ربع ساعة. كان السبب خمس أبقار اقتربت من الحصن، وقام رجاله بقتل ثلاث منها ﴿سيكون لديهم لحم اليوم﴾ أطلق العرب ١٥ قذيفة الواحدة تلو الأخرى على الحصن، غاضبين على ممتلكاتهم. على أن أنقل هذه القوات الممتازة ﴿ الشايقية ﴾ من الحصن الشمالي لأن اقتراب العرب أصابهم بالهلع. حافظت على نقلهم من كل مكان يقترب منه العرب. حقاً إنه لأمر مضحك أن يكون على المرء الصرف والإبقاء على مثل هذه القوات. سأقول: بأن فرج باشا)مهما كان مزعجاً في بعض الأوقات(هو دائماً السيد النبيل وللأسف لم أكن كذلك مع الغضب الذي ينتابني في الأوقات الرسمية، تقول امرأة جاءت من الجبهة الجنوبية بإن : كل الذين يقاتلون في الضفة الغربية للنيل هم جنودي السابقين وقد فقدوا الكثيرين في اليوم الذي جنحت فيه الحسينية، سأنقل الشايقية إلى خطوط القتال - لافائدة من تعريفهم للهجوم. العرب الذين هم الآن في الجبهة الشمالية مقابل القصر هم رجال المهدي، ليس كالسابق رجال الشيخ العبيد، ولايبدو أنهم مشاركين بحرارة في الحصار الثاني للخرطوم. قوات العرب تحيط بنا الليلة من كل الجوانب ويحاصرونا بانتظام، ولكن المدينة لا تحتفل البتة ويوجهون لي الأسئلة حول الرواتب لأني أدفع لهم بالعملة الورقية بقشيش الثلاثة أشهر الذي وعدتهم به.

الميجور الذي أصيب عندما كان راقداً في عنقريبه وتوفى جراء جروحه كان على بعد ٣٠٠٠ ياردة من العرب. لا نعرف بعد تأثير المسافة على نيران البندقية. عرضت أن أدفع بقشيش الثلاثة أشهر للقوات بأن أصدر أوامر دفع بمبالغ ١٢٠ و ١٣٠ جنيها، ولكنهم رفضوا استلامها يريدون العملة الورقية المعتادة. لذا أصدرت ١٠٠٠٠ جنيه بفئة ٥٠ جنيهاً من هذه العملة الورقية، أكون مسؤولاً شخصياً عن صرفها ويمكن لأي شخص أن يرفع قضية ضدي بصفتي الشخصية للحصول على المال، بينما يمكن أن يكون هناك تساؤل حول إن كانوا)السلطات في القاهرة (سيدفعون هذه الأوامر بالدفع. لا يمكن الآن شراء العملة الورقية بخصم. حاول الأهالي شراؤها ولكن فشلوا في ذلك [٤٨]. أعتبر هذه ثقة مرضية عن المرء. لا تحتاج حكومة جلالتها وكذلك أهالي السودان أن يسموا سفينة باسمي ليتذكروني حتى، وإن كانوا يميلون لذلك. سنجد الكثير من الجواسيس لأن العرب يطوقونا. في هذه الصحاري يمكنك مشاهدة أي شخص يتحرك إن لم يكن المكان محروساً، ولكن إذا حاصرت المكان يكون هناك التحرك جيئة وذهاباً مما يمكن الجاسوس من التسلل. أعتقد بحق أنه لم يتم فهم ما حدث في هزيمة هكس قبل عام. هلك خلال يومين من العطش[٤٩]. ١٠٠٠٠ جندي بما في ذلك ٢٠٠٠ من الفرسان و ٤٠٠٠ تابع للمعسكر و ٧٠٠٠ جمل، واستولى على ١٧٠٠ بندقية و ١٠٠٠٠٠٠ ذخيرة رمنجتون و ٧ مدافع كروب و ٦ مدافع نوردنفلد و ٢٩ مدفعا جبليا لكل منها ٥٠٠ قذيفة)من المحتمل أن ٣٠٠ رجل ناج(قتل ٨ إنجليز و ٨ ألمان، ووفقاً لكل التقارير كانوا مرهقين بحيث لم يستطيعوا التحرك. تعب كثيراً ستيورات للحصول على التفاصيل وكتبها في يومياته.. أقام العرب هرماً من الجماجم. كان

الميجور الذي جرح في المقرن نائماً في محطة التلغراف في الحصن. شعر بالحر فذهب خارجاً فأصيب وتوفى. إذا ذهبت إلى الحصن في المقرن سترى)عند رؤيتك للموضع الذي أطلق منه العرب النيران(إنك في أمان كأنك في شارع رجينت كان هذا الرجل جباناً وتجنب الخدمة في أقل الأماكن خطورة لا فائدة من القتال ضد مصيرك.

وصف لي الطبيب الليلة الحالة في المدينة قبل سنة عندما سمعوا بهزيمة هكس، وتعارفها المرء بوضعنا الحالي حيث يمكن للمرء أن يقول: إن ثقة كبيرة توجد في المدينة – وقد ذهب كل شخص إلى سريره مرتاحاً – إنها درس للإنسان بألّا ييأس.

١٩ نوفمبر

جاء العرب الساعة ٧ صباحاً إلى القبة مقابل القصر وأطلقوا النيران، ولكن لم يحدثوا ضرراً – إنهم يهدمون منزل السيد محمد عثمان والذي كان تم الإبقاء عليه. لم يجرؤ فرج الله على الخروج لإحضار الثلاثة بقرات التي قتلت بالأمس. مع العرب بُوقيّ من رجالنا – نفخ في البوق) الكتيبة الأولى(ولكن يبدو أنه أوقف. بعدها نفخ قائلاً) نحن أقوياء ! نحن أقوياء !(حزمت وعنونت إلى قائد حملة الإنقاذ السوداينة) كل البرقيات الأوروبية التي أرسلت من واستلمت في السودان في عامي ١٨٨٣ – ١٨٨٤م وأرسلت الصندوق مع هذا الجزء من اليوميات[٥٠]. وضع العرب مدفعاً فوق متراس مرتجل في الضفة الغربية للنيل أسفل حصن أم درمان لكي يمنعوا الدخول إلى الخرطوم من جهة الشمال.

تواصلنا مع حصن أم درمان بواسطة الرايات – الكل بخير – لم يطلق العرب نيراناً اليوم (منذ الساعة ٨:٣٠ صباحاً) تبقى ١٢ يوماً قبل أن تستحق جرابة الشهر. أُخبرت هذا المساء أن هذه القوات التي لا فائدة منها على الإطلاق – حوالي ٥٠ باشبوزق – بدأوا في الصراخ بأنهم ليس لديهم ما يأكلونه – وذهبوا أبعد من ذلك بأن ألقوا أسلتحهم أرضاً – هذا كثير جداً – باعتبار أنهم يستلمون الحصص الكاملة للجنود، وكذلك رواتب الرجال الذين يفترض أنهم يسلمونها لهم بأنفسهم – لذا إنها هدية إكرامية أن أمنحهم جرابة – أو إذا فعلت أن أوقف رواتبهم – والأدهى أنني منحتهم جرابي

الشهر كاملة – وتبقى من الشهر ١٢ يوماً. لا أعلم إن كانت الحملة ستجيء إلى هنا ولا أعلم السياسة التي ستتبع، ولكن أمراً واحداً أعلمه وهو إنني محق في طلب تسريح هؤلاء الوحوش الذين أعطيتهم فقط بالأمس ٥٠ دولاراً لإقامة متراسهم المرتجل.– كان إجراء غير ضروري من جانبي. بالطبع إذا استطعت تسليم الحكومة لقائد الحملة فليس لدي ما أقوله ،يمكن أن يفعل مايشاء ما يزعجني هو أن مثل هذه الضجة يحرض عليها ويسندها كل ضابط. نظراً لأن الضجة وصلت إليّ– فهم لن يستطيعوا أن يقرروا. بالطبع بوضعنا الحالي إذا منحت كتيبة جرابة لشهر وأكلها في أربعة عشر يوماً، ومن ثم تمنح المزيد فهذا يعني جرابة مرتين للقوات – إذا منحت جزء سيطالب بهذا كل الباقين.

٢٠ نوفمبر

جاءت قافلة مكونة من ٣٠٠ رجل و ٢٠ جملاً بمحاذاة الضفة الغربية للنيل الأبيض من إتجاه المتمة. يقول جندي جاء الساعة ٧ صباحاً من العرب: (أرسل المهدي ٢٠٠٠ رجل إلى الأسفل نحو المتمة نظراً لتقدم الحملة والتي هي قريبة من بربر) أيضاً – تقارير عن تقدم الملك جوهانس – (أشك في ذلك) أعتقد أن القافلة التي شوهدت اليوم تحمل الأموال من بربر. تقول شائعة في المدينة إن قوات الحملة صدت ثلاث هجمات من العرب. العرب هادئون اليوم .هرب أربعة من هذه القوات الغالبة الشايقية (أحدهم باشبوزق) إلى العرب. لم يتم إبلاغي أبداً [٥١] أشك في أن أكثر من هؤلاء قد هرب. اتصلنا بحامية أم درمان من خلال إشارات بالرايات – كلهم بخير. أطلق العرب نيران مدافعهم بالنيل الأبيض ومن جهة أم درمان. طلقات قليلة هذا المساء، من المدهش أن الضجة حول الجرابة في الليلة قبل الماضية قام بها باشبوزق القاهرة، الذين هم تحت رحمتنا، لأن العرب لن ينظروا إليهم أبداً. لقد ذهبوا أبعد من ذلك بإلقائهم أسلحتهم! قيلت الكثير من الأكاذيب حول هذا الأمر في محاولة لمنعي من معرفة الحقيقة. على أية حال توصلت إلى الحقيقة وعرفت أصدقائي. هناك شريك لتاجر هنا ذهب قبل ثمانية أشهر إلى العرب ومعه ٣٠٠٠ جنيه يملكها هذا التاجر والذي يطالبني ببرود بدفع الـ ٣٠٠٠ جنيه!!!.

٢١ نوفمبر

لا أعتقد إن شخصاً واحداً توفى من الجوع خلال الـ ١١/٣٠ ٨ شهراً حوصرنا خلالها. أرسل فرج الله بك من أم درمان إشارة (نعم لدي ٢٣٠٠٠٠ طلقة، ولكنني أطلق الكثير خلال اليوم) هذه كذبة لأني لا أعتقد بأنه يطلق أكثر من ثماني طلقات بدون علمي الشخصي. وأقدر أن الذي صرفه من الذخيرة أقل من ٢٠٠٠ طلقة في اليوم. أعتقد أنه بهذا يريد أن أفتح له الطريق وأن الذخيرة مجرد عذر.. لكنني لن أهتم بالمخاطرة بالهزيمة أو نجاحاً مؤقتاً يحيط به الكثير من الجرحى (لدينا الآن ستين جريحاً في المستشفى) .اليوم تتم سنة منذ وصول أخبار هزيمة هكس إلى الخرطوم غادر هنا في الثالث من سبتمبر. يصف كل من القنصل اليوناني والطبيب اليوناني وصول الأخبار كالآتي: وصلت الليلة الباخرة بوردين ومعها كويتلوغان من النيل الأبيض كان القنصل اليوناني في منزله. جاء القنصل الفرنسي، ماركين إلى منزله وقال: «تعال إلى منزلي عبر الحديقة، ذهب إلى منزل ماركين ووجد حسين باشا خيري وإبراهيم باشا حيدر وكويتلوغان وباور وهانسال ،قيل له انتهى هكس» أرسل القنصل برقية إلى توفيق– انتهى هيكس– أرسل توفيق برقية بأنه: سيرسل تعزيزات تلك الليلة. كان توفيق يقيم حفلاً كبيراً في قصر (عابدين) والإشاعات منتشرة بأن هناك شيء سيئ في الجو. ولكن لا أحد يعرف شيئاً منذ ذلك اليوم. لم تأتِ مساعدة للسودان سمعت في اليوم قبل الأمس أن: عريفين (أحدهما جاء من العرب وخمسة جنود وكاتب

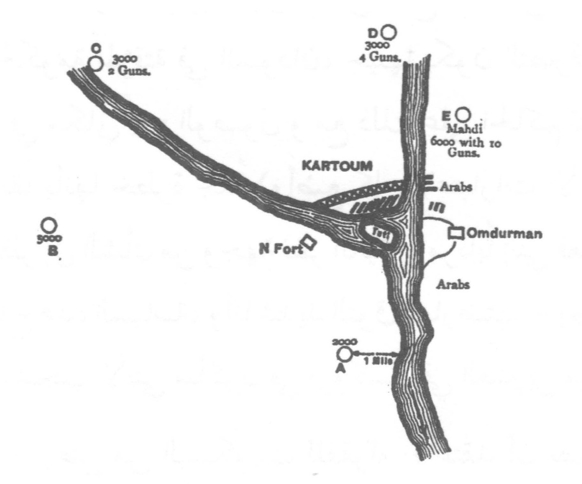
وكلهم جنود سودانيين هربوا إلى العرب - لم يتم إبلاغي بهذا أبداً، أعتقد أن الضباط نهبوهم) أرسل فرج الله بك إشارة من أمدرمان أن لديه ٤٣٠٠٠ طلقة فقط هذه من ٢٣٠٠٠٠ طلقة، وأشعر بثقة بأن ما يقوله: أكاذيب ويتصرف هكذا ليجبرني على إنقاذه ولن أحاول ذلك. يقول: بأن معه ٢٥ جريحاً و أحد عشر قتيلاً. عرضت طول اليوم - أطلق العرب نيرانهم صباح اليوم على بري وتوتي- اكتشفت اليوم سرقة بواسطة رشدي، كاتبي السابق، لم يكن هناك أي شك، لذا طردته وكتبت لألّغي منحه البكوية، جاءت امرأة من العرب وتقول بأن الحملة غادرت مروي إلى بربر وأن محمد أحمد سيحاول يوم ٢٤ نوفمبر الاستيلاء على حصن أم درمان. هذه أخبار سيئة. على أية حال فعلت ما أستطيع، والمرء لا يستطيع الآن فعل شيء أكثر من الأمل. كان الوضع المؤلم لي أن ليس هناك شخص أستطيع أن أعتمد عليه، وكذلك ليس هناك شخص واحد يعتبر أن عليه فعل أي شيء سوى عمله الروتيني. نحن الآن محاصرون عدة شهور والأمور حرجة ومع ذلك لا أحد من مُساعديّ، سوى رئيس الكتيبة ومساعده يظهر اليوم. كان عليّ أن أرسل لهم وأنتظر حضورهم - ربما ساعة (إنه يوم جمعة ومن غير المعقول توقع مجيئنا إلى المكتب) هذا ما يقولونه نفذ صبري تقريباً، مع هذا الجهد المتواصل والذي يبدو أنه لن ينتهي. ليس هناك مصلحة واحدة ليس عليّ أن أشرف عليها وكأنني رئيسها المباشر. لم يخبرني الضابط الذي يُشرف على النقطة التي هرب منها الرجال ولكنه يقول: بأنه أخبر فرج باشا ،ينكر فرج باشا، وهكذا سلسلة من الأكاذيب وماعادوا يهتمون إن أكتشفوا أم لا . بالتأكيد إنه عمل ميؤوس منه، ومع ذلك عوملوا بسخاء بكافة الطرق. كل أمر تقريباً عدا ذلك الذي في مصلحتهم كان يجب أن يكرر مرتين أو

حتى ثلاث مرات. أقول بصدق إنني سئمت من حياتي، نهاراً وليلاً وليلاً ونهاراً. إنه قلق مستمر[٥٢] تزعج متاريسنا العرب قرب أم درمان .جاء جندي من أم درمان وليس لديه شيئاً مهماً يقوله. لدينا أيضاً متراس في توتي تجاه القبة منحت هؤلاء القوات المبذرة ١٥٠٠٠ أقة من البسكويت أتمنى مخلصاً ألا أحاصر مرة أخرى مع مثل هذه الحامية. جاء عبد وأخبر: «تم الاستيلاء على بربر بواسطة القوات من كسلا وأن الحاكم العربي في بربر وصل إلى المهدي قبل يومين (ربما القافلة التي شاهدناها قبل يومين) وأيضاً غادرت البواخر الأربعة إلى بربر - أحداهما معطلة أو جنحت أو غرقت!. إذا كانت هذه هي الحالة فإن الوحش نوزار بك أو باشا (متخفياً جداً) عصى أوامري المتكررة» لا تأخذ البواخر ضد المدافع ولكن أبقى هادئاً في شندي وأنتظرُ الحملة - كان الأمر الأخير الذي أرسلته له- سأُلغي تعينه باشا إذا تجرأ على عصياني مرة أخرى، ولكن ما جدوى ذلك؟

٢٢ نوفمبر

نيران خفيفة هذا الصباح على بري والقبة. هرب جندي ببندقية الليلة الماضية إلى العرب وجاء جندي وعبد من العرب. يبدو أن الشايقية الذين هربوا أكثر من الأربعة الذين ذكرتهم، ولكن من الصعوبة معرفة الحقيقة وحتى عدد الشايقية هناك.

إنني قلق جداً على الحصن في أم درمان وأحاول إيجاد وسائل لإلهاء العرب وتوجيه اهتمامهم إلى ناحية أخرى. أرسل حصن أم درمان إشارة بأنهم بخير، وأن لديهم جريح آخر دخل المستشفى حتى تاريخه ٢٤٢ جريحاً. لدينا حوالي ١٨٠٠ إلى ١٩٠٠ قتيل (خلال ١٧ مارس و ٢٢ نوفمبر) هذا هو الوضع الحالي للأمور - تبعد معسكرات العرب حوالي ٥ أميال من المدينة المعسكر C على النهر يبعد ٨ ميلاً من النهر معسكري D و E يبعدان ثلاثة أو أربعة أميال من النهر.



من هذه الأعداد ربما هناك ٣٠٠٠ إلى ٤٠٠٠ مقاتلين و ٦٠٠ إلى ٨٠٠ خيالة في كل لا شيء مثل أن تكون دقيقاً، وتوفر الكثير من الكلام إذا عرفت أفكار المرء مسبقاً.

إذا وصلت الحملة هناك قبل سقوط المدينة (أمر مشكوك فيه) (وإذا كانت الأوامر إخلاء المكان فوراً، وترك كسلا وسنار - سأستقيل ولن تكون لي علاقة بحكومة المكان أو السودان - ولدي كامل الحق لأفعل ما أريد، لا أحد حتى قوات السودان أو الأهالي يمكنهم قول كلمة واحدة. سأعتمد على الظروف كيف سأتصرف في ما يتعلق بخدمتي العسكرية مع حكومة جلالتها) التي لا أتمسكُ بها - أشك أن أي وظيفة في المستقبل لن تقبل - حتى في الحالة غير المحتملة بأن تعرض(.ولكنني أرى أن كل ضابط له الحق في الاستقالة وإذا استقال لم يعد خاضعاً للأوامر العسكرية وهو حر، في أن يذهب متى وأين ما يريد. قد يقال: إنني عينت حاكماً عاماً (لكي أقوم بإخلاء السودان وأنا ملزم بالقيام بذلك، وهذا صحيح تماماً، ولكني عينت لإخلاء السودان) ـ ليس لي شيء ضد هذا- لا أهرب من الخرطوم وأترك الحاميات لمصيرها [٥٣]. إذا تقرر بشكل قاطع ألاّ أعتني بالحاميات وألاّ أحدد نوع الحكومة المؤقتة في السودان، حينها يكون التصرف الذي يتبع تسمية حاكم في مكاني يوم الوصول و مع ذلك على الحاكم تنفيذ السياسة التي قلتُ سابقاً بأنها خطرة جداً (وأَضع كل الاعتبارات الأخرى جانباً) شخصياً وبالنظر إلى الشأن من وجهة نظر أنانية (ومرتاباً إنني فعلت أفضل ما عندي لمنع اتباع هذه السياسة، وأنا شديد التوق لمعارضتها - يجب أن أكون مرتاحاً لهذا الشجب لأنني سأكون في بروكسل في العشرين من يناير).

منحت ٦٠٠٠ رطل من البسكويت للفقراء (أعتقد أن نصفه سيسرق)

وسأبيع غداً ٩٠٠٠٠ رطل لأهالي المدينة، إنني مصمم إذا سقطت المدينة أن يجد المهدي القليل في المدينة ليأكله. وجد جنديان رأس قذيفة صاروخ، ولما لم يكن لديهما شيء أفضل يفعلوه عملا على فتحه، انفجر وقتل واحدٌ تقريباً وجرح الآخر – نتيجة الفضول.

٢٣ نوفمبر

جاء جندي من العرب إلى الحصن الشمالي ويقول: بأن الحملة استولت على بربر وتتقدم، وأن العرب يريدون مهاجمة جزيرة توتي. أطلق العرب النيران هذا الصباح على متراس جزيرة توتي من القبة يقول الجندي: إن صديق نصحي بك أبقى البواخر آمنة في شندي و لم يساعد بأي طريقة في بربر، يتجمع العرب في الحلفايا لاستقبال الحملة ولكنني لا أرى ذلك. جاءت الليلة الماضية ثلاث نساء من العرب إلى الحصن الشمالي – كان قد تم القبض عليهن خلال غارة العرب على الشايقية قبل أيام مضت. أحضر الجندي بندقيتين وحزامين من الذخيرة. أرسل فرج بك إشارة بأنه بخير.

خبر في المدينة بإن الحملة وصلت المتمة، وواجهت العرب مرتين وأن باخرة أرسلت لإبلاغي، ولكن مدافع العرب أجبرتها على الرجوع. يقولون: بأن هذا الخبر وصل المدينة من قبل رجال لهم أصدقاء في معسكر المهدي، شاهدوا بعض العرب الجرحى – هذا الخبر قبل خمسة أيام. القليل من العرب في المعسكر شمال القصر. طلب مني الشايقية السماح لهم بنهب المعسكر.بما أن به عدداً قليلاً من الرجال. كانوا يعرفون جيداً بأني أعرف إذا سمحت لهم فلن يذهبوا – وهكذا كان تطوعاً آمناً من جانبهم جاءت قافلة هذا الصباح من الشمال إلى معسكر العرب. لدى العرب الآن مدفع واحد في جانب أم درمان . أعتقد بأن المدافع الأخرى أرسلت إلى الأسفل لمجابهة الحملة. لدينا الآن ٥٤١ قذيفة مدفع كروب لمدفعين. ذهبت إلى المقرن وهدفت

صوب المنزل الذي به مدفع العرب على بعد ١٦٠٠ ياردة أطلقنا عليه ثلاث قذائف بعدها غادر العرب - لازلت متخوفاً من هجوم على حصن أمدرمان وأبقيت الباخرة الإسماعيلية في حالة استعداد. أرسلت ٣٠ سهماً نارياً إلى المقرن لإطلاقها هذا سيزعج العرب ،ولن يعرفوا ماذا يستنتجون من هذا، وسيعتقدون بأن هناك أخباراً هامة جداً. أعرف إذا حدث هذا حينما كنت أفكر في الهجوم سأتردد قبل أن أهاجم عقب هذه الألعاب النارية.

٢٤ نوفمبر

الساعة ٦ صباحاً جاء العرب وأطلقوا النيران من القبة على جزيرة توتي. يقول فرج الله بك: إنه بخير. جرح رجل وتوفى آخر. جاء عبد من العرب من الجبهة الجنوبية ويقول: بأن لا أخبار من الحملة في معسكر ود النجومي. الساعة ١٢:١٥ مساء. العرب بالقرب من حصن أم درمان يقومون بالانسحاب من موقعهم بالقرب من الباخرة الصغيرة ويقومون بإحراق قطاطي القصب – يطلق رجالنا النيران عليهم ولكن لم يردوا انزلقت الباخرة الحسينية تجاه مياه أعمق – من تلقاء نفسها.

سأرسل الإسماعيلية للاستكشاف لم يطلق العرب النيران من مدفعهم اليوم يبدو أن الحسينية تغرق، وهذا سبب انسحاب العرب أعتقد أن المهدي يحتاج إلى القوات التي تحرس الحسينية، لذا أرسل رجالاً الليلة الماضية لإغراقها – هذا هو تاريخ الانسحاب. إنه نوع من الارتياح لديّ، لأنه يظهر أن العرب لن يهاجموا حصن أم درمان. ربما أن سهامنا النارية الليلة الماضية على طول الخطوط جعلت المهدي يعتقد بأن لدينا أخباراً هامة لا يعلم عنها شيئاً. أطلقنا ١٥ سهماً نارياً من خمس أماكن في وقت متزامن. أخبار من المقرن بأن العرب انسحبوا قبل غرق الحسينية، ولكن أرى أن هذه كذبة وأنهم غادروا بعد أن غرقت. لا يعقل أن تغرق بدون أن تلمس مع انخفاض النيل والمستوى الذي كانت جاثمة عليه. الحقيقة كما أتوقع أن الرجل الذي يحرسها كان نائماً. وفي محاولة العرب للإمساك بها سحبوها

إلى مياه أعمق فتسربت المياه إليها من خلال الثقب الذي أحدثته القذيفة. الساعة ١:٣٠ مساء ذهبت الإسماعيلية إلى الأسفل إلى ملتقى النيلين الأزرق والأبيض. أطلق العرب النيران عليها فرجعت أرسلت للتحقيق عما إذا كان العرب رجعوا قبل أم بعد غرف السفينة. أطلق العرب خمس قذائف على الإسماعيلية عاد العرب إلى متراسهم عندما ظهرت الإسماعيلية، ولكن عند رجوعها عادوا مرة أخرى. إذا لم يكن بالإسماعيلية ثقب قذيفة لكان العرب قد استولوا عليها لأنني أخذت منها صمامات البخار، لايستطيعون استخدامها إذا غرقت باستواء يمكننا رفعها.غرقت الباخرة باستواء لأن مدخنتها فوق الماء. أتوقع أن العرب وضعوا عبداً صغيراً لإدارة مفتاح مدفع نوردنفيلد لأنه أستمر في الشخير في فترات نصف ثانية، ولكن لم يحدث ضرراً.

٢٥ نوفمبر

جاء العرب هذا الصباح إلى القبة وأطلقوا النيران لمدة نصف ساعة على جزيرة توتي. إنها حقيقة أن العرب قاموا بعمل في الحسينية وتسببوا في غرقها، وعندما بدأت تغرق انسحبوا. كما افترضت فإن حراس خطوط قتالنا، كانوا نائمين. أخبر فرج الله بك أنهم بخير وحدثت وفاة بين الجرحى. وعدته براتب ثلاثة أيام على كل يوم يتم حصاره ورجاله فيه. الساعة ١:١٥ مساء – شوهدت البواخر وكان الطبيب أول من شاهدها. البواخر تطلق النيران – شهودت سفينة واحدة. لدى العرب ثلاثة مدافع في الحلفاية ضد السفينة القادمة. يشخر العرب بمدفعهم نوردنفيلد ويطلقون النيران. ترد عليهم المقرن بمدفع كروب وتوتي بمدفع جبلي. الساعة ٢:٢٥ استمر إطلاق نيران العرب على الباخرة القادمة بكثافة من المدافع والبنادق خلال نصف الساعة الأخيرة. إنني أميلُ للقول: بأنه بعد هذا الاستقبال الحار وصلت السفينة في أمان إلى المقرن.

إذا كان هناك ضابط من الحملة على متنها سيعرف معنى أن تكون في قارب قديم وتحت نيران المدافع . دخلت الباخرة بوردين وبها سبعة جرحى. لم يكن هناك عرب في السبلوقة، وبالتالي لم تكن هناك مدافع. حدثت الجروح من قذيفتين أُطلقتا من العرب في الحلفايا. قوات الحملة في أم بكول – أمراً ساراً–[٥٤] لدى العرب أربعة مدافع في الحلفايا. قتلت امرأة في البوردين. لم تكن الخطابات التي استلمت في بوردين ذات أهمية كبرى لأنها لاتخبرني

عن الطريق الذي ستسلكه الحملة، كما أنني استلمت بريداً مؤخراً – في ١٤ أكتوبر.

جرح رجلان اليوم في المقرن. وفقاً للرجلين اللذين جاءا من دنقلا فمن غير المؤكد أن الباخرة عباس تم الاستيلاء عليها. أرفق برقية ٥٥ لم نستطع حل شفرتها. أتخيل أن مفتاح الشفرة مع ستيورات – يحتمل أنها شفرة وزارة الخارجية أَلغى توفيق ببرقية الفرمان الذي يتخلى بموجبه عن السودان. والذي مزقته، ولكني أرفق طية (البرقية ٥٦ التي استلمتها اليوم) تقول البرقية: من توفيق إلى العلماء (يارنج) قادم مع لورد ويلسلي.

٢٦ نوفمبر

جاء رجل من القبة وأطلق رصاصتين وانسحب. أطلق العرب ثلاث قذائف على حصن أم درمان. أبلغ الحصن أن كل شيء بخير أبلغ نصحي باشا أن المال في بربر قد أخذ إلى المهدي. أرسل أربعة جرحى ويقول: إن الحملة تتقدم في ثلاث مجموعات – واحدة من أم بكول إلى بربر، وواحدة من أم بكول إلى المتمة وثالثة من أم بكول إلى السبلوقة. كتبت هذه الرِّسلة قبل ستة أيام. جاءت قافلة اليوم من الشمال إلى معسكر المهدي. عبر العرب من المتمة إلى شندي وذهبوا إلى الداخل. هرب أربعة جنود فلاحين من نصحي باشا إلى العرب – أتوقع بسبب سوء معاملته لهم.

هناك ثلاث خطابات طويلة بالشفرة، والتي لا يمكنني حل رموزها – ألصقتُ في الجانب الآخر [٥٧]. استلمت خطاباً يقول: بإن الحكومة أعطت كتشنر تفويضاً مطلقاً ليدفع للمهدي حتى ٢٠٠٠٠ جنيهاً مقابلي، ولكن يضيف (الكاتب لا يرى أن نقبل هذا العرض) – وهو محق تماماً – كذلك لن يقبل المهدي.

أعجب بوصف بيكر لكتشنر.

الرجل الذي وضعت آمالي فيه، ميجور كتشنر، هو أحد قلائل الضباط البريطانيين الممتازين جداً. رابط الجأش ومعتدل وقوي البنية مع نشاط لايكل، وقد سار الآن إلى دنقلا وأثبت أن المدير يعتمد عليه. أعطاه الأخير

خطاباً منك تسأل عن التعزيزات وتوضح أن معك في الخرطوم ٨٠٠٠ من القوات، وأن سنار لازالت تحت سطيرة الحكومة [٥٨].

كانت هناك ضحكة خفيفة عندما سمعت الخرطوم أن يارنج يتخبط[٥٩] طريقه إلى هنا هكذا نقرأ برقية توفيق – نغمة معتادة.

أنا متأكد بإننا حرمنا من متعة عدم مقدرتنا على حل شفرة البرقيات الطويلة في الصفحة السابقة. أيضاً من الممتع ألاّنجد كلمة واحدة مهذبة من أي شخصية رسمية سوى كتشنر. هذا يريحيني كثيراً (كذلك يجب أن استثني توفيق الذي كان مهذباً ومؤدباً في رسالته) من الواضح أنني في عار! كم هذا مخيف!.

وفقاً للرجل الذي جاء بالأمس إن الباخرة عباس ارتطمت بصخرة، وأن المركبين استسلما للعرب. لا أشك في أن العرب استولوا على الباخرة عباس لأن زعيم العرب في بربر أرسل إلى خشم الموس طبعة من الختم الذي استخدمته عندما كنت هنا من قبل، وقد أرسلته إلى الأسفل مع ستيورات من غير الممكن أنه قد عرف بذلك إلا إذا كان لديه الختم. لا أعتقد أن ستيورات عرف. أرسلت واحداً من مدافعنا الميتروليوس الفرنسية لسحق العرب إذا استطاع بارنج شق طريقه إلى هنا كمفوض بريطاني، سأعتبر إنه كفر عن أخطائه وسأسامحه، من النادر أن ندرك وضعنا ونصبح بكم خلال عشر أو اثني عشر عاماً – بارنج ولورد ويلسلي وشخصي وأيفلين وود ... الخ بعضنا سيذبل – لا أحد سيأتي ليتودد إلينا – سيظهر بارنج جديد ولورد ويلسلي جديد وسيقولون عنا: (ثرثارين) أه – إكراماً تعال بعيداً – هل سيأتي ذلك المضجر؟ إذا جاء بقربك – ستنفجر خلال نصف ساعة– ستكون هذه ملاحظة كتبت شاب من الزمن الحالي عندما يراك تدخل النادي. هذا

أمر مهين - لأننا - كل واحد منا يعتقد بأنه خالد. ذلك الجنرال العجوز البائس ... عاش حياة خمول لسنوات عدة في نهاية شارع ... بالقرب من النوادي! من زارة؟ من الأفضل رصاصة في الرأس من أن تذوي دون أن يلتفت لك أحد.

٢٦ نوفمبر

سيقهقه الخديوي السابق حول ركوب يارنج إلى السودان. أتخيله وهو يرمش بيعينيه الصغيرتين حول هذا الأمر. جاء في شبابه إلى دنقلا مع عمه إسماعيل باشا - شاباً رشيقاً - كذلك كان حليم (الوريث الشرعي للخديوية بعد إسماعيل) حاكماً عاماً لمدة ثلاثة أسابيع، ولكنه فر عائداً دون إذن من سعيد باشا الذي كان والياً في ذلك الوقت، إذا استطاع الخديوي السابق إسماعيل أن يجعل ماليت وفيفيان وكوفين القيام بهذه الرحلة، أعتقد أنه سيصفح في عزله. نشرت برقية توفيق إلى والي وجهاء المدينة (لاحظ في هذه البرقية - متأخرة سنة - يقول توفيق: إنه آسف لفناء جيش هكس) يقول: إنه سيحتفظ بالسودان من يأتي إلى هنا من الأفضل له أن يعين كتشنر حاكماً عاماً لأنه من المؤكد، بعد ما حدث أنني لا يمكن (يالها من راحة).

٢٧ نوفمبر

أطلق العرب نيران مدافعهم وبنادقهم لحوالي ساعة هذا الصباح على بري. أطلقوا ثلاثة قذائف على حصن أم درمان الذي بعث بإشارة بأنهم بخير. جاء عبدان اليوم وقالا بأن العرب تنقصهم الذخيرة. لا أتعجب من ذلك نسبة للطريقة التي يطلقون بها النيران قالا بأن المهدي تلقى وحياً بأن الأتراك سيحتفظون بالسودان مدة ثماني سنين وأن عليه الرجوع والعودة مرة أخرى عند نهاية السنوات الثماني[٦٠].

جاءت الباخرة الصغيرة محمد علي إلى الجريف ومن ثم قفلت راجعة. سيكون كتشنر أفضل رجل يتولى أمر هذا المكان كحاكم عام، لكن عليَّ أن أعترف بأني أرى أن حكومتنا بتكوينها هذا سيكون عبئاً ثقيلاً عليها تولي مسؤولية هذه البلاد، وأن الحل الوحيد هو أن يتولاها السلطان مع إعانة، وميناءي سواكن ومصوع. بالنظر إلى برقية توفيق التي يبدو منها أن اتفاقية هويت قد انهارت لأنه يتحدث عن الاحتفاظ بكسلا. أمام حكومتنا طريقين لتتبعهما - أحداهما تعيين كتشنر أو جنرال آخر، وأن تكون مستعدة لمنحه ٥٠٠٠٠٠ جنيه سنوياً لمدة عامين لأنه لن يحصل أبداً على ضرائب يمكن التحدث عنها - كما أن على حكومتنا أن تكون مستعدة لإعادة ملء المخازن والمواد الحربية لمدة عامين، وأن تمد السودان بـ ٦٠٠٠ جندي إضافي. الطريق الثاني هو أن تعهد بالبلاد إلى السلطان مع مليوني جنيه والمائتين. بالنسبة لي أن اتباع الطريق الثاني هو الأسرع والأفضل، سيخلي

حكومة جلالتها من أي مسؤولية إلى الأبد، في رأيي إذا اتبع الطريق الأول من الضروري لنجاحه المصالحة مع فرنسا بخصوص مصر. هناك طريق آخر وهو وسطي أي الزبير مع ١٠٠٠٠٠ سنوياً وإعادة ملء المخازن.

أربعون امرأة احتشدن تحت نافذتي يصرخن مطالبات بالطعام، يسرني أن أفكر في المعاملة التي سيلقاها بارنج عندما يصل إلى هنا (إذا فعل) لا أعتقد أن هناك ٥٠٠ عربي في المعسكر في الجهة الشمالية كما لايوجد خيالة، بالرغم من أن قطاطيهم من القش تمتدح أكثر مما كانت عند الحصار الأول. دشنت اليوم الباخرة الزبير. يمكن أن يقال عن قوات العرب في الشمالية «إذا كانوا قليلي العدد فلماذا لا نهاجمهم» ولكن أفترض أنني مخطئ، وأن هناك عدد أكبر فإن الهزيمة ستكون سبباً في سقوط الخرطوم. لذا لن أجازف.

استلم العلماء والوجهاء خطاباً من توفيق معتذراً عن تراخيه. جاءوا اليوم راغبين في إرسال رد ووافقت على ذلك. فعلوا هذا بحرية وليس بأي إيعاز مني هذا سيجعل توفيق يثب واقفاً. من بين العلماء الذين جاءوا اثنان (شيخ الإسلام والقاضي) كنت قد سجنتهم[٦١].

٢٨ نوفمبر

حصن أم درمان بخير توفي آخر من الجرحى. جاء جنديان من العربـ - عرضات صغيرة- تلك التي على النيل الأزرق أكبر من المعتاد لدينا اليوم في المخزن ١٧٤٤٠٠ أقة من البسكويت و ١٦٥ أردب ذرة، وهي ليست سيئة بعد ٢٦١ يوماً من الحصار، جاء عبد إلى الحصن الشمالي ويقول: بأن العرب يتوقعون مجيء أربع بواخر أتمنى أن يقوم الضابط المسؤول بتنظيف الحلفايا قبل أن يتقدم إلى هنا، لأنه قد تستهدف إحدى بواخره بقذيفة من أم درمان. لا أرغب بالمجازفة بإرسال بوردين لإيصال هذا التحذير. إذا جاءت البواخر و لم يكن لهم الوعي بالوقوف في الحلفايا فسأعمل على تحذيرهم بإطلاق نيران هائلة على العرب في أم درمان، إن الخطر موجود في رأس أو أنف (X) ملتقى النهرين.

إننا نحمي الباخرة بوردين بتغليف صندوق البخار بالخشب، إن الصواب هو إخلاء معسكر العرب في الحلفايا قبل المجيء إلى هنا، يمكنك حينها الاتصال بالخرطوم براً وتجنب المرور ببواخر تواجه مدافع العرب.

جاءت امرأة من العرب وتقول بأن رجلاً جاء صباح أمس إلى معسكر العرب في الجهة الشمالية وقال: إن الحملة استولت على بربر وأن أربعة بواخر في طريقها إلى هنا، وأن العرب أرسلوا رجلاً ليعرف إن كان هذا صحيحاً، كذلك أن جنودي هم من يحاربونا الآن.

إذا كان صحيحاً أن بربر قد سقطت، فإن البواخر ستسحب مراكب) خمسون منها في بربر) ولن تصل هنا قبل عدة أيام. الساعة ٢ مساء أعتقد أن العرب يفتحون كوان في القبة لقصف القصر. أرى هذا بواسطة منظاري. لن يضرنا هذا إذا فعلوه، وستبعد رجالهم ومدافعهم من النهر حيث خطورة نيران مدافعهم على البواخر.

من المضحك رؤية شخصية [٦٢] لبطاريات مدافعهم، إن القذيفة الجبلية لن تخترق الجدران من تلك المسافة – كما تعرف من قذيفة أصابت الحصن الشمالي في زمن سابق. أعتقد أنهم سيبدأون صباح غد عند الفجر. أطلقت ثماني أو عشر طلقات عليهم، مما أدى إلى خروجهم للنظر في الأمر. ستكون صدفة إذا وصلتهم من هذه المسافة، هناك وقت عندما كان المرء قلقاً على القصر – ولكن مضى هذا الوقت. لن تكون المرة الأولى التي أطلق فيها جنودي النار علي.

بارنج إلى أيفرتون – المتمة – أخيراً بعد عذابات عنيفة انخلع كل عظم في جسمي مع هذه الجمال المتوحشة. وجدت هنا يومياته ومنها يبدو أن ذلك الأخرق المهدي استيقظ أخيراً، ولكن أخشى متأخراً. أما نغمة اليوميات فهي مؤسفة و (لا تذكرها من فضلك) وفي الواقع رسم (هيء نفسك لسماعه) لقسيسنا الأعلى: أعذرني أكثر لتخبط الجمل والفسوق الذي أظهره هذا المستهزئ، فأنا ميت أكثر مني حياً» هرب بالأمس إلى العرب أحد الباشبوزق (ليس فقداً) وتوفى اثنان من الموسيقين (من فرقتنا المربعة) كما يقول .... إنها (فاسدة) كان هذا نتيجة سرقة الجراية من قبل الضباط.

٢٩ نوفمبر

حصن أم درمان بخير ولكن هرب ثلاثة رجال إلى العرب، حقيقة إن هذه الحياة لا تطاق. كان الضباط يسرقون جراية الجنود، وأمين المخزن يخفف في الوزن. يشعر المرء بأنه عاجز عن مجابهة هذه الأمور، وإذا لم تحضر الحملة سريعاً إلى هذا المكان فسيسقط نتيجة لفساد هؤلاء الناس [٦٣]. يعرفون بأني من المحتمل ألاّ أكتشف أفعالهم السيئة ويضحكون على هذا. يعمل العرب في بطاريتهم في القبة.

من الغريب أن سرقة الجراية لا تحدث وسط الجنود الفلاحين المصريين المكروهين. إنها فقط بين الضباط والقوات السود. الساعة ١ مساء سمعت أن الجنود كمنوا للنسوة اللآتي منحتهن البسكويت وسرقوهن!.

لدي إقتناع بأن لا بارنج أو لورد دبليو. احتاطا بإحضار فرمان من توفيق باشا يمنحهم وضعاً قانونياً أعلى من وضعي في السودان، إذا كانت هذه هي الحالة)واستمرت أسطورة توفيق كحاكم أعلى (يكون لي الحق في تسمية الحاكم العام وأميل بشدة إلى طبع بلاغات تنشر عند وصول الحملة.) إذا وصلت أبداً(أتخلى بموجبها عن الحكومة لصالح الضابط الذي يقود الحملة بالطبع سيكون أمراً مختلفاً إذا أحضر فرمان، ولكن إن لم يحدث واستمرت الأسطورة فلي الحق الكامل بالتخلي عن الحكومة وتعيين من أشاء بشرط موافقة توفيق باشا. قد يعترض الضابط القائد على هذا التعيين، ولكن هذا لن يصفيه من المسؤولية التي أُلقيت عليه رسمياً إذا سقطت المدينة.

السؤال المهم هل هناك أي ضابط عسكري أو مدني في الحملة لديه فرمان

من توفيق؟ إذا لم يكن كذلك فلا شك أن السلطة القانونية لتعيين من أشاء تقع عليّ (ماعدا في حالة إعلان ضابط مدني أو عسكري للأهالي بأن الحكومة البريطانية قد ضمت السودان﴿ لن يكون تأديب عسكري في هذا – فماذا لدى قوة أجنبية ما تفعله مع موظفين لتوفيق إلا إذا اغتصبت ﴾مهام توفيق) مهامه؟.

هرب جنديان اليوم الساعة ٨ مساء. جاء العرب إلى خرائب قرية مقابلة وأطلقوا النيران على القصر. أرسلت البواقين إلى سطح القصر وبناء على أقوال الذين قالوا إنهم قتلوا ألفاً وانسحب العرب. أصبحت معتاداً على صوت دوي النيران، بحيث أستطيع أن أقول بأن صوت النيران من العرب على توتي أو القصر أو رجالنا من توتي أو الحصن الشمالي. أيضاً إذا ما كان العرب يطلقون النيران على المقرن أو بري أو رجالنا يطلقون عليهم النيران، من هذه الأماكن وفقاً لاتجاه فوهات البنادق كذلك الأصوات. أعتقد أنني أحب أن أكون في حصار حقيقي بدون سكان مدنيين أو ضباط سارقين يتنمرون عليّ. ستقوم فرقة من خمسين رجلاً هذه الليلة بإعطاء العرب جرعة لن ينسوها، ولكن لافائدة – نحن لسنا على قدر هذا يقول البواقون إنهم قُتلوا في مابينهم ٣٠!.

٣٠ نوفمبر

حصن أم درمان بخير!! جاء إليها الليلة الماضية عبد (الساعة ١٠:٣٠) صباحاً أطلق العرب قذيفتين من (شخصيتهم)[٦٤] بطاريتهم من القبة، ولكن القذائف لم تصل القصر سمعت بأن إحدى القذائف وصلت المدينة، وسقطت خلف القصر. أطلقوا ثلاث قذائف أخرى، وبعدها انهار المنزل الذي كان به المدفع. إنهم الآن يحفرون لإخراج المدفع. أعتقد أن حاملة المدفع تحتاج إلى إصلاح، لأن المنزل كان عالياً الساعة ١١:١٥ صباحاً إما أن لدى العرب مدفع آخر بجانب ذلك الذي كان في المنزل الذي انهار أو أن المدفع لم يتلف لأنهم أطلقوا قذيفة الآن على الحصن الشمالي.

عند الظهر أطلق العرب ثلاث قذائف أخرى على الحصن الشمالي – انفجرت القذائف في الجو – ذهب الآن العرب لتناول طعام العشاء. هرب رجل آخر إلى العرب – هرب سابقاً من العرب إلينا. وجد اثنان من رجال فرقة الموسيقى في المدينة، وكان قد قيل أنهما هربا. أطلق العرب الذين في القبة (لا أعتقد أن عددهم أكثر من) ٤٠ ثلاث قذائف أخرى. هذه الليلة أشعر بالميل شخصياً للذهاب مع ١٠٠ رجل (ضد ٤٠) غداً ومهاجتمهم هذه اللامبالاة مضحكة!. هؤلاء الرجال الأربعون بعيدين أربعة أميال على الأقل من أي مساعدة، من المؤكد أن المكان منبسط وعار.

١ ديسمبر

أطلق العرب نيران مدافعهم خلال الليل على المدينة، وعند طلوع النهار على القصر والجزء الشمالي والمقرن وبري. جاءت اليوم قافلة مكونة من سبعة عشر جملا من دنقلا إلى المهدي ظل المدفع نوردنفيلو (أم درمان) صامتاً لمدة ثلاثة أيام من أم درمان لا بأس به الساعة ١٠ صباحاً أطلق العرب قذيفة واحدة سقطت في الماء أمام القصر و أخرى انفجرت في الهواء الساعة ١١ صباحاً. أرسلت الباخرة بوردين لاغراء العرب لإهدار ذخيرتهم وهذا ما يفعلونه .

تم اليوم شرح تلغراف توفيق أكثر واستنتجتُ منه أنّه يقول بأنّ يارنج و لورد ويلسلي قادمان وسيحسمان مسالة السودان، أجبت بأن هذا قد يكون ملائماً له، ولكنه لا تواجهه الحالة إلا إذا كان هذان الموظفان لديهما فرمان منه يمنحهما السلطة لن تكون لهذين الموظفين السلطة أبداً لأنها فعلياً ستجعلهما مساعدين لتوفيق، يعني التلغراف ضمناً بأن عليّ أن أنسق مع هذين الموظفين حول السودان. إنه ترتيب جميل بالنسبة لتوفيق، ولكن ليس كذلك بالنسبة لي، لذا جاوبته إنّ عليه (توفيق) أن ينسق مع هذين الموظفين وأن يبعث بترتيباته في شكل فرمان إلى هنا، من المؤكد ألاّ وجود لسلطة قانونية في السودان، إلاّ إذا تم الحصول عليها من توفيق إذا لم يكن لهذين الموظفين سلطة من توفيق فليس لديهم سلطة في السودان، إذا كانت لديهم سلطة من توفيق فهما يخضعان لأوامر توفيق.

لن تصمد الأسطورة في السودان بالرغم من إحباطي في الأيام القليلة الماضية، لأنني لا أستطيع غير الضحك على هذه الفوضى المخيفة التي نحن فيها. توفيق ذكي مثل والده ويريد أن يحملني مثل هذا الخلاف محتفظاً لنفسه بحق النقد، ولكن لا أميلُ إلى أنْ أحمل هكذا وربما أعينُ يارنج حاكماً عاماً بشرط موافقة توفيق وسأهرب. قد يقول إنه لن يستلم المنصب ولكن لا خيار لديه، لأنه إذا فعل سينبذ الحالة القانونية التي يمتلكها من جانبه قد يسمي شخصا آخر، ولكن ستكون هذه مسئوليته وحده وبالبطع عليه إيجاد حلول، وإذا استطعت فعل ذلك (بدون الإضرار بوطن أو يكون سببا أقل خطرا للقوات) وإلقاء العبء على ياربخ والوزارة بالعطف كل توفيق حتى إجادة معاركه هنا وهذا ما يهدف إليه، لا أشعر بالميل إلى تعريض نفسي للشبهة بمساعدة ياربخ، لقد قلت: بأن الحل الوحيد الممكن هو السلطان مهما كانت الإعانة، في الحقيقة إنّ قوات الحملة تأتي من حلفا إلى توفيق إلاّ إذا قالت حكومتها: إنها تأتي كمستقلة وكحلفاء لتوفيق فمن المعقول، بقدر ما يتعلق بالأمور المدينة يخضعون له، لا يستطيع ضباطه إصدار قرارات إلاّ باسمه ماعدا تلك التي تتعلق بالعمليات الحربية ، حاكم عام مجامل؟ يستطيع التعامل مع هذا الشأن بدون تصادم أنا لا أستطيع لأنني متورط مع الناس ولكنني أريد كفأر أن أغادر المنزل قبل أن ينهار. ولذا فأفضل شيء أن نلمح لتنصيب كتشنر حاكماً عاماً بشرط موافقة توفيق فإنه سيفعل كل ما تريد وبطريقة قانونية وستكون سعيداً إذا لم يكن لديك فرماناً من الذي معي، لن تسطيع تنصيب حاكماً عاماً حتى لو كان مثل ١٠ مليون جندي إلاّ إذا أعلنت نفسك حاكماً على البلاد، ولن تفعل بسبب التسعين جنيه الإسترليني التي في دين على مصر. الساعة ٥ مساء أطلق العرب قذيفتين على القصر، لذا

وضعت ثلاثة بروجية للرد عليهم قالوا إنهم قتلوا خمسة عشر. أود كثيراً أن أعرف محتويات تلغراف لورد كيل إليّ وأيضاً التلغرافات المشفرة من نوبار وباربخ، ولكن لن أنال هذه المتعة أبداً لأني لا أتوقع أن ترجع هذه اليوميات أو إذا رجعت بأني سأعمل كتب مشفرة لحل شفرتها. أطلق العرب هذا المساء قذيفتين على القصر سقطت إحداهما أمام القصر في الماء والأخرى في الحديقة. أطلق العرب اليوم قذيفتين من بري سقطتا بالقرب من المستشفي .

في رأيي أن هذه فكرة حكومة جلالتها تجيء الحملة اسميا للعناية برعاية البريطانيين، ولكن حقيقتها كانت لحسم مستقبل حكومة السودان تحت ادعاء أن توفيق يحكم. يرسل توفيق برقية للموظفين البريطانيين سيحسمون معي)سراً(مستقبل الوضع في السودان، بالطبع الآن قد أكون مخطئاً، ولكن في رأي الموظفيين البريطانيين سيقترحون الإبقاء على سنار والخرطوم وبربر ودنقلا وعدم التدخل مع المهدي، وفصل كسلا إلى الملك جون وترك مديريات الإستوائية لمصيرها، وما يقترحه الموظفون البريطانيون سيوافق عليه توفيق، ولكن يأتي السؤال.بما أنني أعتبر الاقتراح غير مقبول – طالما المهدي موجود لا سلام ممكن – لن أقبله وسأترك (A) أو(B)))كممثل لي و لتوفيق لتنفيذ الاقتراح، لا يلومني أحد على هذا لأنني سأكون وغداً إذا قبلت أي اقتراح يقود في النهاية إلى مشكلة لبلدنا .

٢ ديسمبر

أطلق العرب أربع قذائف على القصر عند طلوع النهار ولكن بلا أثر ، الساعة ٩ صباحاً أطلقوا أربع قذائف أخرى انفجرت إحداهما قريباً من غرفتي، أعلى قليلاً وضعت مدفعين قرب القصر للرد عليهم تقول الأقاويل في المدينة: إن رجال ود النجومي عبرون الشاطئ الشرقي للنيل الأبيض إلى معسكر المهدي في الشاطئ الغربي للنيل الأبيض.أبلغ حصن أم درمان أنهم بخير. الساعة١١ صباحاً فتح العرب نيرانهم مرة أخرى على القصر. نحن نرد على هذه النيران.وللعرب مدفعين يطلقون نيرانهما علينا. هنالك تقرير بأن عرب المهدي يذهبون شمالاً على الضفة الغربية للنيل الأبيض. عند الظهر أسكتنا أصدقاءنا المقابلين لنا بعد أن ركزنا نيراناً كثيفة عليهم فقدتُ عيني تقريباً هذا الصباح وأنا أطلق النار على العرب، انفجرت قاعدة خرطوش النحاس وأرسلت النار على وجهي هذا خطأ الرمنجتون ويجب عدم استعمال العلبة المعدنية لهذا الخرطوش كثيراً.يجب قطع رووس بعض الناس إذا كان ينبغي أن يسود الهدوء في السودان.

أتعجب كيف أنّ حكومتنا ستكون قادرة على السماح لإيجاد مثل هذا الهدوء أمام عينيها! لأنّه مهما كان ضرورياً قطع هذه الرؤوس هم بالكاد يمكن أن تسميهم متمردين فهم قد يقولون بأنهم أُجبروا على التمرد لعجز الحكومة على مساعدتهم، وأيضاً أنهم سمعوا بأن السودان قد تم التخلي عنه. الساعة ٣ مساء معركة أخرى ضد العرب في القبة والذين على أي حال

ليس لديهم مدافع إطلاق رهيبة. الساعة ٣:١٥ مساء انتهت المعركة وقد كسبناها. العرب صامتون الساعة ٣:٣٠ مساء بدأ العرب معركة أخرى بإطلاق نيران بغزارة .مدافعهم الساعة :٣:٣٨ مساء انتهت المعركة وهناك عربيّ) أو من المحتمل أحد رجالنا(واقفاً وهو يذرو بالتراب في الهواء) مثل شمعي وهو يذرو داؤود بالتراب –أيها الرجل الدموي– سموئيل الثاني (لابد من أن العرب استخدموا الكثير من الذخيرة لأنهم استمروا في إطلاق النيران بكثافة، ولكن أين ذهبت رصاصاتهم لا أحد يعرف، بما أن القصر والحصن الشمالي والمديرية في مواقع عالية كانت رصاصاتنا تصلهم، ولكن بدى أن رصاصهم لا يصل النهر كان لدى العرب ملجأً مسقوف من الاستحكامات لمدفعين أحدهما موجه على القصر والآخر موجه للحصن الشمالي. استغرق هذا الملجأ يومان ليقيموه وهو قطعة عمل جيدة له جدار ساتر في الأمام. في البلقان كانت تعتبر خسه أن تقفز و المرء يعتمد على محاولة تجنبها) اعتاد أن يقول إنه جيد بالنسبة لك، ولكني رجل أسرة «يقفز عند سماع كل دوي. ومن جانبي أعتقد أنّ القفز الحكيم ليس خطأ، وأنا أتذكر رؤية قذائف مثل هذه أمام عيني مرتين «ومن المؤكد أنني لو لم أقفز لكان قد قطع رأسي كانت الخارجية ستقول « تخلص جيد» كتبت هذه الملاحظات بالإشارة إلى نيران بنادق العرب.كنت تستطيع رؤيتهم بالتلسكوب يصوبون مباشرة على الجناح في القصر ويطلقون النار، ومن بعدها تسمع صوت ارتطام الماء. صرتُ الآن معتاداً عليها. أخرجهم مدفع المتراليوس (الديس) هذا المساء من مخبأهم. لقد وضعناه في المديرية. سقف القصر إذا أصابت قذيفة ٪سينهار القصر. لذا عندما يطلق العرب النيران يشعر المرء بارتياح وهو يسمع القذيفة تتنهد خلال الهواء حتى يسمع صوت وقوعها. إنّ السقف على إرتفاع ٤٠

قدماً على الأقل وبطابقين فقط. الباشا الذي بناه ممتاز باشا بناه بدون إذن من الخديوي السابق و بأخذ أموال ليس له الحق في أخذها، لم يشاهد الخديوي السابق القصر وإسماعيل باشا أيوب الذي كان سجيناً هنا وشى بممتاز فتمت محاكمته، ويقال أنه سمم وحل إسماعيل أيوب محله. أُرسل إسماعيل أيوب إلى هنا لأنه لم يعامل باحترام لائق إحدى الزوجات اللاتي أهملهن الخديوي إسماعيل (والتي أجبر على زواجها) لذا دبرت هذه الزوجة مؤامرة حريمية فتم نفيه.

كان إسماعيل أيوب وفيا مهما كان سبب نفيه وهو ينتمي إلى كردستان، وكان في الأصل بروجي في فرقة سعيد باشا. وكنت معتاداً على أنْ أقول له بأنه أجنبي في هذا البلد مثلي. وأنا أجنبي كان موسيقياً بارعاً وتعلم الفرنسية والألمانية، لقد مات الآن. أعتقد بينما كنت هنا كان أفضل إداري عرفه السودان على الإطلاق. كان وزيراً للداخلية أثناء عهد لورد دفرين، وكتب الرسالة الشهيرة حول عدم الفائدة من استعمال الكرباج – وهو الذي كان مشهوراً باستعماله هنا.

وهو مع شريف وتوفيق قهقهوا ضاحكين حول الأمر، لأن لورد فرين أبلغ الأمر للورد جرانفيل والذي أتجرأ بأن أقول إنه ضحك بحماس حول الأمر مع مستر ساندرسن. ياله من مسكين إسماعيل أيوب! كان أكثر وغد طيب ولكنه فشل في القاهرة عام ١٨٨٢م كوزير للمالية). البورجي ألماظ أرسل إلى زملائة بأنه قتل عشرين من العرب اليوم.

أطلق العرب اليوم ثماني قذائف نحونا ولقد رددنا – إحدى قذائفنا أصابت ملجأهم. غادر عدد من العرب معسكر المهدي إلى الشمال. أطلق العرب ثماني قذائف الليلة في المدينة من الخطوط الجنوبية. إحدى القذائف سقطت

في حديقة القصر. سقطت قذيفة من العرب الذين هم في القبة في الحديقة وهكذا نرى الاهتمام الذي يبدونه تجاه القصر. سقطت عشرون قذيفة في المدينة بالأمس، ولكن لم يحدث ضرر.

أعتقد أنّ هذا هو البرنامج، وبالرغم من أخلاقيته المشكوك فيها ربما يكون الطريق الأقصر للخروج من هذه الفوضى، الحملة البريطانية تأتي لإنقاذ الرعايا البريطانيين الذين في خطر لا شيء آخر نجد أحد رعاياه يعمل كحاكم يأخذونه بعيداً وهو عند أخذه بعيداً يعين الزبير حاكماً، بشرط موافقة توفيق، يسمح للزبير بالمجيء إلى الخرطوم كشخص عادي لرعاية أسرته.

الآن من ذا الذي يستطيع أن يقول شيئاً للحكومة البريطانية ؟ هي ليس لها أي علاقة بتعيين الزبير أو حكومة توفيق ،هي جاءت لإنقاذ رعاياها وغردون مسؤول بالكامل عن تعيين الزبير. حتى توفيق لم يكن مسؤولاً لأن غردون قام بهذا على مسؤوليته سيكون هذا تخلصاً رائع ويبرئ حكومة جلالتها من أي لوم ويضع اللوم عليّ، وفي العاصفة التي أحدثتها قد أكون لوثت فعلياً، حتى أنّ كل شخص سينسى عنا. حسناً لن نقولها بكلمات مباشرة (أحسب الشهور) سنسميه التأخير، في الواقع أتوقع أن يلوم الجمهور الحكومة لإرسالها أي حملة على الإطلاق لهذا النوع من الرعايا البريطانيين، ستضحك الحكومة في سرها على هذا!، وستحافظ على الأسطورة بأنهم لا شأن لهم بالسودان أو مصر.

ستجن المعارضة تماماً عند رؤيتها للوزارة تتخلص من هذه الفوضى.بما يمكن للمرء أن يسميه شرف. بينما تفرغ جمعية مكافحة الرق وأووروباعموماً جام غضبها على توفيق وباشواته صراحة حول مثل هذا التصرف وسيحصلون على المجد ،ومن جانبي سأكون خارج قوائم الشرف لأن الوزارة ستكون

مسرورة بأن تقول: (لا أستطيع أن أنعم بأي وسام بعد مثل هذا السلوك المشين جداً) ويعلمون جيداً بأني لن أقبل بمثل هذه الأوسمة إذا عرضت عليّ وبما أنني لن أعود إلى إنجلترا مرة أخرى، ولن أرى الصحف فلن أهتم بالاساءة كثيراً، أعتقد أنه برنامج رائع ، يجب أن يمنح الزبير ٢٠٠٠٠٠ أو ٣٠٠٠٠٠ جنيهاً سنوياً لمدة سنتين، وأن تملأ مستودعات الذخيرة والمخازن بكل الأنواع وأن تترك له كل البواخر والمراكب ،ويجب تقديم العون له وللحملات الصغيرة بالإضافة إلى ٢٠٠٠٠٠ أو ٣٠٠٠٠٠ جنيه لمدة سنتين وأن يدفع له ١٥٠٠٠٠ فوراً إلى ٢٠٠٠٠٠ جنيه.

يجب أن أنصرف من البلد لمنع ظهور أي تستر من جانبي في هذه الترتيبات، والتي سيأسف لها أو يجب عليه التأسف عليها رسمياً، لا أعتقد أنّ الزبير سيهتم بمديرية الإستوائية وسيتخلى عنها وسيوافق على تأييد معاهدة الرقيق للعام ١٨٧٧ وسيضحك وهو يفعل ذلك، أما بخصوص بحر الغزال أتوقع أنّ المهدي قد استولى عليها وإنْ كان كذلك فإن أنصاره يذهبون إليها عندما يعود الزبير بسياسة ويستولي على الأبيض. يا لها من ضجة ستثار. أعرف رجلاً سيكتب «جيد عزيزي غردون أن تموت من أن تبتعد كثيراً عن طريق الصواب. لا شيء يمكن شرحه باستمرار عيد ميلاد سعيد».

هذه الأخبار من السودان مرضية جداً أسميها نصراً كبيراً لأنها لا تخرجنا من المأزق فقط، بل تهدء أصدقاءنا وتبطل أي شيء قد يقوله عن التأخير ، أي عمليات عسكرية بُوشرت بعد المناداة بالزبير حاكماً ستوضح على أنها إجراءات ضرورية يجب إتخاذها لضمان عودة قوات الحملة سالمة. الساعة ٥ مساء مبارزة حادة بين مدافعنا ومدافع العرب ممارستنا كانت سيئة جداً تصل قذائف العرب التي يطلقونها من مدافع كروب إلى الحديقة، ولكن

صوت مدافعهم لايسمع .قذائف العرب من القبة تسقط على بعد حوالي ٢٠٠ ياردة من القصر، ولكن هناك لحظة من الترقب (بعد رؤيتهم يطلقون النار) بينما يسمع المرء صوتا خفيفاً لقذائفهم وهي تأتي أقرب فأقرب إلى أنْ تضرب. الساعة ٧ مساء معركة أخرى (الثالثة اليوم) .يأتي العرب إلى القصر ويطلقون النار على القصر لا نستطيع تحمل ذلك. الساعة ٧مساء انتهت المعركة كما كنا نعاني نقص بعض الخرطوش .الساعة٧:٢٠ بدأت المعركة مرة أخرى لأن البروجية عزفوا سلام فندينا. يهدر عرب ذخيرتهم. ساعة ٨ مساء يطلق العرب نيرانهم من الجنوب على مدافع كروب في القصر وهم على بعد ٤٠٠٠ ياردة .على الأقل يسمع المرء صوت انفجار قذائفهم ولكن ليس صوت دوي المدافع وصلت القذائف إلى القصر

٤ ديسمبر

حصن أم درمان بخير. جرح لهم رجل بالأمس كانت هناك معركة بسيطة هذا الصباح في بري. العرب في القبة هادئون اليوم بعد إرهاق الأمس، سمع الليلة الماضية إطلاق نيران في الشمال تجاه السبلوقة تقول الروايات في المدينة إنّ البواخر أقرب إلى هذا المكان.

إذا قبلت ترتيبات الزبير ستأتي مسألة الإجراء العسكري خلال شهرين، وفي نهايتها على قوات الحملة أن تعود راجعة سيكون طرد العرب من الديم في شمال القصر فور وصول القوات، سيتمسك العرب بعدها بالعيلفون والجريف، سيقومون بإخلاء ما حول حصن أم درمان وسيتعامل ١٠٠٠ رجل مع العيلفون أولاً، وبعدها الجريف مدعومين ببعض الرعاع، وفي نفس الوقت الذي يتم فيه هذا يجب على البواخر و ١٠٠٠ رجل آخر قطع الطريق على انسحاب العرب إلى كردفان، وذلك عن طريق القطينة سيرجع المهدي إلى شات وتكون المدينة حرة وكل القوات التي تدافع من خطوط النار متوفرة، تأتي بعد ذلك مسألة الذهاب إلى الداخل ومهاجمة أسرة أبن شيخ العبيد، والتي هي على مسافة ساعتين ونصف إلى الداخل. وبدلاً عن ذلك الاستمرار ومهاجمة المسلمية، أعتقد أن أسرة شيخ العبيد ستستسلم بمجرد أن يطرد العرب من العيلفون (مسألة ساعة إن شاء الله). حاولت هذا المساء إغراء العرب في القبة على القتال ولكنهم لم يستجيبوا. جاوبوا فقط بقذيفتين سقطتا في النهر أطلقنا عليهم النيران من مدفع ميتواليس وأجبرناهم

على تحريك مدفعهم، وبعدها أطلقوا قذيفتين أخريتين سقطت إحداهما في النهر قرب القصر مع مدفع منبرالبوس جيد ومشغل على مرأس من التليسكوب لا يمكن تشغيل مدفع بحصانة على بُعد ٢٠٠٠ ياردة، ومع ذلك يمكن تشغيله ضد نيران المدفعية لأنه مع تلك المسافة هناك وقت كافي للإفلات عند رؤية الوميض قبل وصول القذيفة، ذهبت الفرقة وهي مكونة أساسا من صبية صغار لذهاب الرجال إلى خطوط النار إلى سطح القصر لتعزف (ياتون عادة ليلة عطلتهم الجمعة) سمعهم العرب وأطلقوا وابلاً من النيران عليهم إلا أنهم القوا آلاتهم وأسرعوا إلى أسلحتهم واستمر للحظات إطلاق وابل منتظم من الرصاص مدعوماً من مناطق أخرى. البروجية ينفخون أبواقهم تعالوا إلينا تعالوا إلينا نحو العرب (الحكومة المصرية لديها النداءات الفرنسية ويستطيعون الحوار بواسطة البوق لا أعتقد أنّ لدينا مثل هنا إجابة) الليلة الماضية أجاب درويش بروجي متمرد في صفوف العرب" تعال إلينا تعال إلينا".

٥ ديسمبر

عرضات صغيرة جاءت هذا الصباح إلى معسكر المهدي ثلاث قوافل صغيرة من الشمال. جاء اثنان فارين من العرب هذا الصباح حصن أم درمان بخير في المخزن ٧٣٧ أردب ذرة و ١٢١,٣٠٠ أقة من البسكويت، سنقوم بمحاولة لإنقاذ حصن أم درمان حقيقة تبدوا الأمور سيئة يقول الرجال الذين جاءوا: أن المهدي لديه نقص في الذخيرة ،أطلق العرب هذا الظهر ثلاث قذائف على القصر سقطت في النهر، فر اليوم جندي إلى العرب، الساعة ٥ مساء أطلق العرب قذيفتين سقطتا في الماء. إذا عرفوا فقط بأنهم إذا خفضوا الجزء الأدنى من عربة المدفع سيتمكنوا من المساس بنا إنّ خط قتالهم صحيح تماماً. الساعة ٦ مساء كنا نطلق النيران عليهم منذ الساعة ١١ مساء وهم يفعلون نفس الشيء، ولكنهم يهدرون رصاصاتهم ،ومع إنّ رصاصنا يصلهم فإنّ القليل من رصاصهم يصلنا وفقاً للرجال الذين جاءوا من العرب إنّ الفرقة المفضلة لدى المهدي هي في قبالة القصر ولا يزيد عددهم عن مئة وهم في الأساس جنودنا السودانيون، تخليت تقريبا عن كل فكرة لإنقاذ المدينة. هذه المحاولة لفتح الطريق إلى حصن أم درمان هي الملجأ الأخير.

٦ ديسمبر

(بالتأكيد أنّ كل مكان في الحصن يجب أنْ يوفر فيه مائة تلسكوب، جيد) ذهبت البواخر إلى الأسفل وأطلقت النيران على العرب في أم درمان، لدينا ١٥٠ جنيهاً نقداً في الخزينة، اليوم لدينا ثلاثة قتلى وستة وثلاثون جريحا في البواخر، وأبلغ فرج الله أن هناك خمسة جرحى في حصن أم درمان جاء. العرب في قوة كبيرة ولكنهم خسروا . نبذت كل فكرة النزول في أم درمان لأنه ليس لدينا القوة لفعل ذلك، أطلق العرب ٤٥ قذيفة من مدافعهم على المقرن و البواخر، لدينا قتيل واحد ورجلين جريحين في المقرن. إنه لأمر محزن أنْ تجد هؤلاء الأشخاص جرحى وقتلى ،غداً سنكمل ٢٧ يوماً أي ٩ أشهر تحملنا خلالها قلق و بؤس مستمرين يقول اليونانيون الذين كانوا في المقرن إن ٣٠٠ أو ٤٠٠ على الأقل من العرب قد قتلوا وجرحوا في معارك اليوم .أصيبت الإسماعلية بأربع قذائف و بوردين بقذيفتين، ولكن لم تكن الإصابات في أجزاء حيوية، قمت بزيارة البواخر وأصابني الضجر عند سماع شكوى الرجال من سرقة لحصصهم التموينية.

٧ ديسمبر

٢٧ يوماً على سجننا. أطلق العرب من القبة ٨ قذائف من مدافعهم سقطت إحداها على المدينة قرب القصر، ولكن لم تحدث ضرراً، أبلغت أم درمان أنّ الحصن بخير ،جرح رجل آخر هناك. ضلت قوة كبيرة من العرب طريقها قرب أم درمان الليلة الماضية ولكنهم بارحوا عند الفجر. قتل الديك الرومي أحد رفاقه والسبب مجهول،(يفترض أنه تراسل مع المهدي أو خيانة مع بعض الحريم)، رواية في المدينة أنّ بربر استسلمت. سنقوم غداً عند الظهر بإرسال البواخر لمهاجمة العرب في أم درمان– سرقة أخرى– أطلق العرب تسع قذائف على بري وبدأ في مرانهم على القصر بإطلاق خمس قذائف وجاءت إحداها قريبة من سقف القصر.

هرب جندي من العرب وجاء ألى هنا ويقول: بأن قوات الحملة استولت على بربر، فر جنديان اليوم من العرب، أطلق العرب في القبة ثلاث قذائف هذا المساء على القصر وسقطت اثنان قريباً من القصر و واحدة في الماء، إحدي قذائف العرب من بري سقطت في المستشفى، إحدي قذائف العرب هذا المساء أصابت المبنى المجاور للقصر وأستقرت في الجدار على علو ٩ أقدام من الأرض. جاء أحد العرب ويقول بأن قوات الحملة تقترب ،رأيت مجموعة من الخيالة يذهبون اليوم شمالاً وبسرعة من العيلفون، هناك ثمانون ثقبا في الإسماعلية رصاص على خط الماء في هيكلها، في بوردين خمس وسبعون حفرة رصاص ونفس العدد أحدث في المعركة السابقة، أغلقت

هذه الثقوب بمسامير صنعت لهذا الغرض، أمّا بالنسبة لعلامات الرصاص في أماكن أخرى لا يمكن عدها.

في اعتقادي أنّ أمر المهدي سيكون نهاية الرق في السودان. قام العرب بشكل دائم بتسليم عبيدهم ووضعهم في المقدمة ورأى العبيد أنهم يتقدمون بينما أسيادهم يتهربون، وهل من الممكن أنّ هؤلاء العبيد سيخضعون أبداً لإطاعة هؤلاء الأسياد كما من قبل ؟؟؟

٨ ديسمبر

أطلق العرب اليوم ١٢ قذيفة من مدافعهم على بري. وهي قذائف على الحصن الشمالي والقصر، جاء رجلان من العرب ويقولان لم يذهب العرب تجاه بربر وأن الرواية في معسكر العرب أنّ بربر قد تم الإستيلاء عليها هذه الرواية قبل أربعة أيام. الساعة ١٠ صباحاً ستذهب البواخرللمهاجمة. أبلغ حصن أم درمان أنهم بخير. الساعة ١٠:٣٠ اشتبكت البواخر للعرب ببطاريتين بهما فتحات منتظمة أوربية الشكل تماماً (اشك في أنها من تصميم سلاطين) بالرغم من حاجتنا لصناديق البخار في البواخر فإن المرء لا يستطيع إلا أن يكون منزعجاً جداً– العرب في القبة صامتون– جاء جندي آخر من العرب وبين تقدم قوات الحملة القادمة بالبر. كل مرة أسمعُ فيها نيران المدافع أشعر بقلق وهم يأكلون قلبي على بواخري القديمة. الساعة ١١:٣٠ صباحاً أنتهت المعركة وبواخري القديمة آمنة – حمد لله (ليس بالكلمات فقط بل من كل قلبي) لدينا اثنين جرحى في الباخرة بوردين ولا شيء في الإسماعيلية، نفكر في أنْ نهاجم بخمسمائة رجل الخمسين رجلاً في القبة مع المدفع.أصيبت الباخرة بوردين بأربع قذائف والإسماعيلية بقذيفتين دمرت إحداهما الغرفة ليس هناك نيران بنادق، ولكن العرب أطلقوا الكثير من القذائف لديهم ست مدافع تطلق النيران على البواخر، أطلق العرب عند الظهر خمس قذائف على بري و في المساء أطلقوا ثلاث قذائف على القصر من القبة سقطت على المدينة، إنْ لم نكن قد قوينا صندوق البخار في

الإسماعيلية بالخشب لكان القيزان قد انفجر بإحدى هذه القذائف، قوة نيران البنادق في القبة غير ضارة تماماً نحن لا نسمع أصوات رصاصهم، ولكن رصاصنا يصلهم. وهم لا يستطيعون البقاء في العراء ونحن نرى الغبار الذي ينشره الرصاص الذي نطلقه، أرسل لي ود جبارة أحد أمراء المهدي في الجهة الشمالية خطاباً (في الملحق AB)يطلب مني الاستسلام ويقول لي: إن ما قيل عن الحملة كله أكاذيب وأنّ المهدي غاضب (مثل حكومة جلالتها) من ردي الجاف على خطابه الأخير، وأن قداسته لن يكتب لي مباشرة كلما كان لدينا ما نسميه نصراً، نطلق بعض الألعاب النارية من المراكز الرئيسية في خطوط قتالنا مما يغضب العرب ويجعلهم يحتارون عن السبب، كانوا غاضبين جداً الليلة و جاءوا بأعداد كبيرة وأطلقوا العديد من الرصاص على القصر، أمرت البروجية الثلاثة بالرد عليهم، أرسل خطاب ود جبارة إلي بواسطة امرأة جاءت إلى الحصن الشمالي، أرسلت تلغراف إلى الضابط (أفتح الخطاب وأخبرني بمضمونه) فعل ذلك فأجبت (أرسلت المرأة إلى الأمير وأخبره بأن يذهب إلى)..... أعتقد أنّ هذا أغاظ الأمير الذي أمر بتقدم رجاله وبالتالي أهدار ذخيرته.

٩ ديسمبر

غادر من ديم المهدي هذا الصباح ستون رجلاً مع ذخيرة وجمال وبعض الخيالة وذهبوا إلي الشمال. جاء العرب من الضفة الشرقية للنيل الأبيض أي الضفة الغربية للنيل الأزرق وقاموا ببعض التصرفات الشاذة مما جعلنا نفترض أنّ هناك أمر ما، جرح رجل بالأمس في أم درمان وأبلغ الحصن أنهم بخير لم يطلق العرب بالأمس قذائف شرشرة، بل قذائف مدورة والتي لا بد أنهم حصلوا عليها من الأبيض وهذا يظهر أنّ لديهم نقص في الذخيرة من النوع المعتاد. سبب خطاب ود جبارة كان أمراً أصدرته إلى المدينة عندما استلمت تلغراف توفيق الذي يقول فيه: إنه سيتمسك بالسودان والذي سلمته إلى رجل ليرسله إلى العرب، إذا كان لورد بالمرستون حياً (أو فورستر رئيساً للوزراء) لم يكن ليترك السودان بدون إعلان تحرير العبيد أعلن لنكولن في ١٨ ديسمبر ١٨٦١ إلغاء الرق في الولايات المتحدة، وهذا سيكون يوماً جيداً لإصدار مثل هذا الإعلان في السودان، شجعني خطاب ود جبارة باشا الخرطوم يقول: بأني كنت أصم لكل توسلاتهم اليوم – بارح استيورت هذا المكان قبل ثلاثة أشهر، جرح رجل بنيران العرب في بري أطلقوا اثنتي عشر قذيفة مدفع على الحصن ،أشعرُ وأثقاً بأن سبب مجيء المهدي إلى هنا هو أنه حاز على يومية هيرين القنصل الفرنسي والتي كتبت بروح ناقدة عدائية و باعتقاده (المهدي) إنها صحيحة، تقدم من شات أعتقد أنّ القنصل النمساوي هانسال أرسل أيضاً يومية في الباخرة عباس، وقد كتبت بأسلوب

فيه الكثير من العويل، من الملاحظ أنّ كل جهد بذلته للحصول على أذن صاغية من أوروبا إرتد علينا، هكذا تخليت حالياً عن مهاجمة العرب في القبة لأن أم درمان أكثر أهمية ولأني أتوقع أنّ العرب أخذوا مدفعهم. لم يطلق المدفع نيرانا اليوم (حتى الساعة ٢ مساء)، أرغب في أنْ أسال المهدي مجازاً مبدئياً أنه المهدي، ماذا سيكون عمله النهائي، بالتاكيد إن عمله الحالي ليس ساراً وهو إطلاق النيران ليلاً ونهاراً على زملائه من المخلوقات ،دام حصار سيفتويل ٣٢٦ يوماً ونحن في يومنا الـ ٢٧١ في وصفهم كانت إتصالاتهم دائماً مفتوحة وتعاملوا مع عدو يعترف بحقوق الحرب، بينما نحن ليس في مثل هذا الوضع كان الروس متحدين وليس بينهم سكاناً مدنيين ليتعاملوا معهم ومع ذلك لا أستطيع القول: بإنني أرى أبطال عظام. الحقيقة إذا حلل المرء المجد الإنساني فهو تسعة أعشار كلام فارغ، وربما تسعة وتسعين في المائة كلام فارغ ،نحن فقط لدينا نقص. ٥٧ يوماً من مدة حصار سيفستويل ونحن ليس لدينا فترات استراحة مثل ما كان لدى الروس خلال شتاء ١٨٥٤– ١٨٥٥ و لم يكن أيّ من نيكولا أو الكساندر يتكهن حساب الشهور بالطبع سينظر إليه كأمر مضحك! مقارنة الحصارين سيفستويل والخرطوم، ولكن إذا تم التمعن فيها بطريقة صحيحة فإن أحداهما جيد مثل الآخر كان لدى الروس أموالا وليس لدينا شيء، لديهم ضباط مهرة وليس لدينا كذلك لم يكن لديهم سكان مدنيون ونحن لدينا ٤٠٠٠٠ طريقهم مفتوح ومعهم أخبار ولا شيء لدينا شهر من الاثنين

١٠ ديسمبر

جاء اليوم عبد كان مع سلاطين ويقول: بأن سلاطين لازال مقيداً بالسلاسل وأن الإشاعة رائجة بأن قوات الحملة قد قربت ،حصن أم درمان بخير، يقول العبيد: بأن العرب ليس لديهم الكثير من الذخيرة، أطلق العرب اليوم ٣١ قذيفة على بري وجرحوا أربعة رجال أحدهم ضابط هو الميجور سليمان أفندي وكان جرحه مميتاً. كان العرب يطلقون حجارة اليوم. القبة هادئة و لم يطلقوا نيران مدافعهم اليوم أو الأمس أعتقدُ أنه المدفع أرسل إلى ضفة النهر يقول العبد: إنّ رجوع المهدي إلى كردفان أوقف بسبب التمرد في مؤخرته، وبذا نحن وهو مثل فارين في صندوق (أتمنى لو كان خارج الصندوق) أمرتُ الباخرتين بالبقاء في بري حيث يبدو أنّ العرب يوجهون درجة من الاهتمام غير السار (حقيقة إني مرهق من شبح مسألة الطعام إنها مطالب دائمة) فر خمسة رجال، اليوم يشكل العرب الحجارة التي يطلقونها في شكل قذائف من مدافعهم سيلقون قريبا شرشرة بنادقهم إذا استمروا في هذا.

١١ ديسمبر

أطلق العرب نيران مدفعهم من القبة ثلاث مرات. سقطت قذيفة في الماء أمام القصر وقذيفتان مرتا فوق القصر وضعت المزيد من الألغام في بري منحت كل الحامية راتب شهر إضافي إلى راتب الشهور الثلاثة الذي استلموه من قبل، لن أتردد في أنْ أمنحهم ١٠٠٠٠٠ جنيه إذا كان هذا سيحفظ المدينة.

جاء ثلاثة جنود من العرب وأبلغوا بتقدم الحملة نحو بربر، أطلق العرب ١٤ قذيفة من مدافعهم على بري يقول الضباط: بإن هناك أوروبياً يوجه مدافع العرب أتعجب إن كان هو الفرنسي الذي جاء من دنقلا وظننت أنْ يكون رينان!. سنار صامدة وبقوة(هكذا يقول الجنود الثلاثة) وكذلك كسلا. تغيير في شكل ديم المهدي الشكل يقولون أنه أرسل انصاره إلى الداخل.

الساعة ٣ مساء أطلق العرب ثلاث قذائف من القبة على القصر سقطت واحدة في الماء ومرت اثنان من على فوق القصر، هذا يزعجني دائماً لأنه أمر شخصي ومن جنود الشخص نفسه أيضاً من غير السار أنْ تشعر في أي لحظة بأنك قد تجد قذيفة في غرفتك، لأن هذه المخلوقات تطلق النيران في كل الأوقات. أطلقت البواخر قذائف في هذا الصباح على العرب في بري ،أصابت إحدى قذائف العرب باخرة وأصابت الأخرى صندلاً رصفناه هناك لحماية الجناح، ولكن لم تحدث أي منها ضرراً، فر جنديان اليوم إلى العرب عموماً هؤلاء الرجال كانوا سابقاً مع العرب وفروا إلينا، أطلق العرب هذا المساء قذيفة على القصر ولكنها انفجرت في الهواء.

١٢ ديسمبر

عرضة أخيرة، أرجوا أنْ تكون هذه العرضة هي الأخيرة التي سنشاهدها لدينا ١,٦٩٦,٠٠٠ طلقة من ذخيرة رمنجون و٥٤٠ قذيفة كروب و ٦٠٠٠ قذيفة مدفع جبلي و ١٤٠ جنيهاً نقداً و ١٨٠٠٠ جنيهاً من العملة الورقية في الخزينة، وهناك ٦٠٠٠٠ جنيه من العملة الورقية في المدينة لدينا ١١٠٠٠٠ أقة بسكويت و ٧٠٠ ألف أردب من الذرة . أُخبرت هذا الصباح بقصة طويلة عن رواية تخص قوات الحملة بأنها في الدامر قرب نهر عطبرة وكيف أنّ بربر استسلمت، عند تعقبها وجدت أنها كذبة نشرها أحد العلماء الكبار لتشجيع الأهالي.

الساعة ٣ مساء أطلق العرب قذيفتين على القصر إحداهما انفجرت في الهواء والأخرى في الماء في خط مباشر لغرفتي التي كنت جالساً فيها بعيدة بحوالي ١٠٠ ياردة.

الساعة ٣ مساء أطلق العرب قذيفة مرة أخرى سقطت على بعد ٥٠ ياردة من القصر وأخرى انفجرت في الهواء. أرسلت البروجي لإيقاف هذا التمرين على الهدف كل هذه القذائف مصوبة بإتجاه جيد نحو الجناح الغربي، والذي يعرف العرب أني أقيم فيه أطلقوا سبع قذائف في هذا الشأن بالرغم من أن العرب أطلقوا أكثر من ألفي فذيفة علينا إلاّ أنني أعتقد أننا لم نفقد سوي ٣ رجال جراء نيران مدافعهم.

١٣ ديسمبر

ذهبت البواخر إلى الأعلى وهاجمت العرب في برين بالتأكيد إنّ هذا التأخير يوماً بعد يوم له أثر مثبط للعزيمة على كل شخص، اليوم هو اليوم ٢٧٦ على قلقنا يبدو أنّ العرب كما دلت جميع الأخبار قد قاسوا اليوم كثيراً في بري، لم يجرح العرب لدينا أحداً ولكن أصيب رجل في عنقه نتيجة لإطلاق خرطوش هذا نفس السبب الذي كاد أن يفجر عيني ذلك اليوم، سنرسل بعد غد الباخرة بوردين إلى الأعلى و سأرسل معها هذه اليومية إذا لم يبذل جهد قبل عشرة أيام ستسقط المدينة، هذا التأخير لا يمكن أنْ يفسر إذا كانت قوات الحملة قد وصلت إلى النهر وقابلت بواخري فإن كل ما يتطلبه الأمر هو مائة رجل يظهرون أنفسهم.

أُرسل هذه اليومية لأن لديّ أمل ضئيل في إنقاذها عندما تسقط المدينة، أكتب في الملحق (EF) نوع الترتيبات التي سآخذها مع الزبير باشا لحكومة المستقبل في السودان، حقيقة لم أعترف بفضل فرج الله باشا في النشاط الذي يظهره حتى إذا سقطت المدينة أمام أعين قوات الحملة، فلن يبرر هذا في نظري التخلي عن سنار وكسلا أو المديرية الإستوائية من قبل حكومة جلالتها، كل ماهو ضروري على الإطلاق أن يركب خمسون من قوة الحملة الباخرة متوجهون إلى الحلفايا، وهكذا يظهرون حضورهم ليس هذا بالكثير، ولكن يجب حدوثه فوراً أو كالعادة يكون متأخرا جداً، فر جندي اليوم من الحصن الشمالي، بما أن البروجية في السطح مقابلة للقامة فقد

وضعت صناديق ليقفوا عليها ويتمكنوا من إطلاق النيران من فوق الحاجز، وقع أحدهم نتيجة ارتداد البندقية وسبب إثارة عظيمة بالضجة التي أحدثها عند سقوطه ظننا أنه قتل، أطلق العرب النيران من مدافع كروب باستمرار على المدينة في الجهة الجنوبية ولكن لم يلاحظها أحد، أطلق العرب اليوم قذيفة واحدة فقط على القصر ولكنها انفجرت في الهواء .

١٤ ديسمبر

أطلق العرب قذيفتين صباح اليوم على القصر، يوجد في المخزن ٥٤٦ أردب ذرة وأيضاً ٨٣,٥٢٥ أقة بسكويت الساعة ١٠:٣٠ صباحاً البواخر في الأسفل عند أم درمان يناوشون العرب وأنا على أحر من الجمر ، الساعة ١١:٣٠ صباحاً عادت البواخر وأصيبت الباخرة بوردين بقذيفة في بطاريتها، جرح لنا رجل واحد ،سنرسل الباخرة بوردين غداً مع اليومية إذا كنت قائداً للمائتي رجل من قوات الحملة والذين هم كل المطلوب للحركة، فعلي فقط أن أقف أسفل الحلفاية وأهاجم العرب في ذلك المكان قبل أن أُجيء إلى الخرطوم، ومن ثم يجب عليّ الاتصال بالحصن الشمالي وأتصرف وفقاً للظروف، – تذكر هذا– الآن أنا لا أطلب أكثر من من مائة رجل وإذا لم تصل قوات الحملة خلال عشرة أيام قد تسقط المدينة، وأنا فعلت الأفضل لشرف بلدنا الوداع.

لم ترسلوا لي معلومات مع أن لديكم الكثير من المال.

سي . جي . غردون

١/ من المستحيل أن نقرأ هذا ولا نشعر بالإعجاب بالطريقة الشاملة التي لخص بها الجنرال غردون التفاصيل الدقيقة لكل شيء بنفسه، اتخذ كل الاحتياطات التي تتخيلها الحكمة الإنسانية للتأكد من سلامة الباخرة عباس وملاحيها وبعد هذا فإن مصيرها كان في أيادي أعلى منه.

٢ / قارن بما أورده الجنرال غردون وما أورده مدير دنقلا: جاء إلى هنا شخص يسمي الفكي ولد أحمد ويبدو أنه يعتمد عليه وقال: إنه قد سمع بأنه بعد رجوع غردون إلى الخرطوم وصلت سفينة بها أربعين رجلاً وجزء منهم أوربيوين و جزء آخر مصريون بالإضافة إلى خمسة عبيد وثلاث خدم إلى سلامات حيث جنحت ولكن لم تغطس، كان الأهالي عارفين بمصير بربر و خائفين نزول عدة أشخاص من السفينة إلى الشاطئ ليطمأن الأهالي معلنين بأنهم لم يأتوا لإشعال حرب، ولكن ليشتروا جمالاً لعبور الصحراء إلى مروي وافق الشيخان سليمان وأبو نعمان وعم الفكي عثمان على نقلهم ووفروا لهم مرشداً للسير مع المجموعة.

فرح الذين كانوا بالباخرة بهذا الاهتمام وأهدوا أحد الشيخين سيفاً من ذهب وكلهم سيفاً من فضة وملابس جميلة للمرشد. وعندها طلب الشيخان منهما مغادرة السفينة وقبول ضيافتهما إلى حين إكتمال الترتيبات لعبور الصحراء، قبلت الدعوة و دخلت المجموعة منزلاً حيث تم ذبحهم.

بعد ذلك رجع الشيخان إلى الباخرة و قتلوا معظم من كان على ظهرها، تم الإبقاء على أربعة عشر أُخذوا أسرى من بين أربعين شخص، أرسل نائب المأمور رسلاً لمعرفة المزيد من المعلومات فهو لا يعرف إنْ كان هناك أوربيون بين الأحياء - المحرر.

٣/ أي تفاصيل القوى القتالية للباخرة عباس- المحرر

٤/ الذين جاءوا

٥/ جمعتهم من المكاتب المختلفة و الموظفين في الخرطوم لم تسلمهم الحكومة - المحرر.

ملحوظة في الصفحة المقابلة ملخص لخطاب لورد ليون قص من أحد الصحف « أسأل الجنرال غردون إذا عاد إلى الوطن سالماً ماذا تعلم عنه وحاميته التي لم يتم إنقاذها بعد ليفكر في الشعور بشرف الوطن والشجاعة النبيلة والإيمان الذي لا يتزعزع عند مستر جلادستون وحكومته المتطرفة (هتف ثلاثا لغردون)

٦ / أي أنّ الرجال محبطون نسبة للاحتمال البعيد

٧ / ألصق الجنرال غردون على الصفحة المقابلة للصفحة التي تحتوي على هذه الفقرة قصاصات من الصحيفة التي يشير إليها تقول: إحدى هذه القصاصات « تبين برقية رسمية استلم هنا من وادي حلفا بإنه نسبة للإنخفاض غير المسبوق للنيل ليس هناك شعور بالثقة في إمكانية سحب المراكب فوق الشلالات حتى نهاية سبتمبر» بتعليق غردون المكتوب على هذا هو) أن النيل ليس منخفضاً كان الميل متوسطاً فقط أنتم متاخرين جداً- المحرر.

٨ / سبق لجنرال غردون أنْ شرح بالكامل أين تقع مسؤولية حكومة جلالتها تجاه السودان– المحرر

٩ / الكونيل هاريسون r.e.c.m.g–c.m المحرر

١٠/ يشير الجنرال غردون إلى قصاصات الصحيفة التي ألصقها بالصفحة المقابلة، الإشارة الأولى تعليق على برقية في الإستاندرد بتاريخ ٣٠ أغسطس من سواكن، وهي كالتالي « إنحطت الباخرة الجعفرية ليس بعيداً إلى الجنوب من سواكن المراكب الشراعية التي كان المتمردون قد استولوا عليها ،وترتب على ذلك أنّ بحارة الجعفرية أحرقوا المراكب (B) يشير إلى برقية أخرى عنوانها)تمرد في الجزيرة العربية(ومؤرخ من القسطنطينية ليلة الأحد، القتال لا يزال مستمراً في الحجاز بين القوات العثمانية والقبائل العربية والتي ثارت ضد سلطة حكومة السلطان. يجب على الجناب العالي النظر بجدية للأمور، لأن الحكومة قد قررت إرسال المزيد من القوات الإمبراطورية بحجم حوالي ألفيي جندي إلي معقل الاضطرابات (أشار الجنرال غردون على فقرات سطحية في رواية لصحيفة لندنية وفي كل الحالات التي يذكر فيها – حملة إنقاذ غردون– وضع خطاً تحتها وتحت كل العبارات التي تشير إلى أن قوات الحملة قادمة لإنقاذه) – المحرر.

١١/ كانت سواكن في هذا الوقت محاصرة من الناحية البرية – المحرر.

١٢/ خطوط القتال ممتدة من النيل الأزرق إلى النيل الأبيض أي من بري إلى طابية المقرن – المحرر.

١٣ / كان للجنرال غردون إعجاب كبير ومحبة للنظاميين السود – المحرر

١٤ / من يارنج إلى جرانفيل - مارس - ١٨٨٤ « بالإشارة إلى رسالة الجنرال جراهام إلى وزير حربية حكومة جلالتها و المتعلقة بفتح طريق بربر سواكن أرغبُ في أنْ أقول أنني لا أوصي بإرسال أي قوات إنجليزية إلى بربر « مصر رقم ١٢- ١٨٨٤ رقم ٢١٤

١٥ / أي عزلي من منصبي كحاكم عام – المحرر

١٦ / "في الحقيقة الأمور ليست خطيرة رغم أنّها قد تصبح كذلك إذا حدث تأخير في إرسال الزبير. ضعفي هو أنني أجنبي ومسيحي ومسالم، فقط بإرسال الزبير يمكن إزالة هذا التحيز « من الجنرال غردون إلى السيد أي بارنج الخرطوم ٤ مارس - ١٨٨٤ . مصر رقم ١٢- مرفق ٥ في رقم ٢٠٢ .

١٧ / دفع الأبقار بغرض تفجيرها للألغام – المحرر

١٨ / البواخر التي أرسلها الجنرال غردون إلى المتمة لمساعدة قوات الحملة – المحرر

١٩ / من السيد أي يارنج إلى لورد جرانفيل – القاهرة ١٣ مارس ١٨٨٤ « لقد أمرته (الجنرال غردون) بالصمود في الخرطوم حتى أستطيع إجراء المزيد من التواصل مع حكومة جلالتها و أبلغته بأنه لا يمكنه بأي حال المسير إلى مديريتي بحر الغزال و الإستوائية . مصر ١٨٨٤رقم ١٢- ٢٤٢- المحرر

٢٠ / بيّنت الحكومة الإنجليزية وبكرم زائد أنها ستسدد أي فواتير قد يكون الجنرال غردون قد سحبها عليها من حسابه الخاص، والتي قدم الجنرال غردون قائمة بها تعرفت الحكومة المصرية تصرفاً مشابها بالنسبة للأموال التي أنفقها الجنرال غردون في الخرطوم – المحرر

٢١/ أي الوزراء – المحرر

٢٢ / كلما تطرق الجنرال غردون لهذا الموضوع يظهر لهم وهو غاضب من ذلك و يزداد غضبه كلما واصل! ومن ثم الترديد المتكرر لتصميمه على ألاّ يغادر – المحرر .

٢٣ / في إيجاز ما يقوله الجنرال غردون (إذا كانت قوات الحملة قد جاءت من أجلي فقط لن أرجع معها – يمكنها الرجوع بينما سأبقى هنا كحاكم عام و بأفضل ما أستطيع استخدام المواد الحربية التي أملكها أثناء تقلدي لذلك المنصب.

اذا تم عزلي من ذلك المنصب بفرمان من الخديوي سأستمر في البقاء هنا بصفة شخصية و أكرس حياتي و جهدي لهؤلاء الأهالي الذين كرسوا حياتهم لي –المحرر

٢٤ / لم تستلم من الحكومة.

٢٥ / الفرمان الذي أصدره توفيق فيما يتعلق بانسحاب القوات و الذي استلمه غردون في ٢٤ يناير ١٨٨٤ والذي لم ينشره – المحرر

٢٦ / من المهم ألاّ يكون هناك تأويل خاطئ لهذه الكلمات. الجنرال غردون أعتقد أنّ موتهم سيفيد السودان، ما كان أبداً قال عند ما حث على مغادرتهم « إذا ذهبتم ستؤدون لي خدمة جليلة أي تؤدون للسودان خدمة جليلة « عندما قال: « لا أجرؤعلى أن أقول بأن موتهم شر مع آرائي– عني فقط– لا أجرؤا أن أقول بأن رجلين اثنين شجعان و عادلان و نزيهان ليسو أسعد في الحياة الأخرى أكثر مما هما في الحياة الحالية « – المحرر.

٢٧ / في رأيي أن الجنرال غردون يعني منصف في آرائه السياسية – كانت هيمرون برأس تحرير البسفور المصري – المحرر.

٢٨ / يشير هذا إلى تلغراف أرسله كولونيل كوتيلوغان إلى كولونيل فريزو فلوير في وادي حلفا بالتاريخ أعلاه و يقول:) لا أخبار جديدة (– انتظر بقلق التعزيزات– كتب الجنرال غردون تحت هذا « إذا كان فقط تم إعلام كوتيلوغان حينها بأن لا نية لإرسال تعزيزات أكثر من ٩ أشخاص تقريباً لمدة سنة المحرر.

٢٩ / كتشنر لم يكن نفسه يعرف – المحرر.

٣٠ / جندي ذكر سابقاً و أعتقد بأنه فر – المحرر.

٣١ / استعادة هذا البسكويت مكن الجنرال غردون من الإحتفاظ بالخرطوم حتى تم فتح الأبواب بخيانة من العدو – المحرر.

٣٢ / بموجب رسالة جراهام فيما يتعلق ب Blah Watel.

٣٣ / طابية المقرن – المحرر.

٣٤ / أعتقد أنّ قصة إصابة الإسماعيلية بقذيفتين مرة أخرى كذبة بيضاء.

٣٥ / أي ١٢٠٠ ياردة – المحرر.

٣٦ / تبعد القبة أكثر من ميل عن القصر في الخرطوم – المحرر.

٣٧ / أي الهروب من مدافع الحصن الشمالي – المحرر.

٣٨/ أي عرب راكبون – المحرر.

٣٩ / أي كان من الممكن إذا كانت القوات بدأت في وقت سابق – المحرر

٤٠ / سرير – المحرر.

٤١ / ليس بسبب أنّ الجنرال غردون يكن للزبير إحتراماً، ولكن كتسجيل كيف أنه طالب كثيراً بحضوره، وكيف أنّ غيابه مرتبط إرتباطاً وثيقاً برفاهية السودان. – المحرر

٤٢ / كانت الجمعية مجمعة على أن الموافقة على مثل هذا الشخص أي الزبير بأي شكل ستكون إزلالاً لإنجلترا وفضيحة لأوروبا – المستر ستوراج إلى أبل جرانفيل – جمعية محاربة الرق البريطانية و الأوروبية ١٠ مارس ١٨٨٤ – المحرر

٤٣ / أي أنّ الزبير كان يمكنه الحصول عليها لي – المحرر

٤٤/ عليك أن تتذكر بأن الهدف الرئيسي الذي يجب السعي إليه هو إخلاء السودان بمباشرتك لهذه المهمة الصعبة التي أمامك تأكد بأنه لن يدخر جهداً من جانب السلطات في القاهرة، سواء إنجليزي أو مصري لتقديم كل التعاون والدعم الذي من اختصاصهم. من السيد بارنج إلى الجنرال غردون مرفق في مصر رقم ٦– المحرر.

٤٥/ قام الجنرال غردون هنا بشطب عشرات السطور من يومياته – المحرر.

٤٦/ الوطنية لا تنطوي على طاعة الحكومة الموجودة، ولكن في حب المرء لبلده والإخلاص لشرفها والصالح العام – المحرر

٤٧/ رفضت حكومة جلالتها إرسال قوات إلى السودان، ومع ذلك أمرت مصر بإخلائه و لم تسمح للقوات التركية بمساعدة مصر – المحرر.

٤٨/ يظهر كيف أنهم وثقوا كثيراً في غردون – المحرر.

٤٩/ أنظر الملحق في تمرد النبي المزيف – المحرر.

٥٠/ لم تسلم من الحكومة – المحرر.

٥١/ إذا فروا – المحرر.

٥٢/ يتبع هذا بعض السطور التي شطبها الجنرال غردون بقلمه وكتب تحتها إساءة إلى بارنج و رفاقه – المحرر

٥٣/ يكتب السيد أي يارنج إلى الجنرال غردون: « وبناء على تعليمات حكومة جلالتها التي أرسلت إليه « عليك إنّ تتذكر أن الهدف الرئيسي الذي يجب السعي إليه هو إخلاء السودان. مرفق في مصر رقم ٦– لا يقول السير يارنج: « إخلاء الخرطوم و التخلي عن الحاميات في السودان – المحرر

٥٤/ هذا يعني أنّ قوات الحملة على بعد ١٨٥ ميلاً من الخرطوم، أكثر مما كان غردون يتوقع – المحرر

٥٥/ يلاحظ غردون خلف هذه البرقية وهي أحد ثلاثة « البرقية التي كان لدى كولونيل ستيورات مفتاح لشفرة"

٥٦/ الذي أشير إليه في الفقرة السابقة

٥٧/ أنظر الصفحة الماضية.

٥٨/ رواية كتشنر في خطاب من الجنرال بيكر نزع الجنرال غردون الجزء من الخطاب الأصلي و الصقه في يومياته – المحرر.

٥٩/ قادماً على جمل – المحرر.

٦٠/ هناك بعض الأهمية في هذا. في كل الإحتمالات أن المهدي عرف أنّ الجنرال غردون قد أوصى بإرسال قوات تركية إلى السودان وشعر بأنه

لا يستطيع التمسك بالبلاد إذا جاءوا - المحرر.

٦١/ كانا اثنين من الستة عشر الذين سجنهم غردون لتآمرهم مع المهدي - المحرر.

٦٢/ أي الطريقة التي وجهت بها المدافع إلى الجزء من القصر و الذي عرف العرب أنّ الجنرال غردون مقيم فيه - المحرر.

٦٣/ بأن تقول: إمّا أنْ هؤلاء الذين تتم سرقتهم ويخدعونهم سيجبرون لمصالحهم الخاصة على تسليم المدينة للعدو أو أنّ اللصوص و المخادعون سيشتريهم المهدي - المحرر

٦٤/ بالأحرى أمر مضحك أنْ نرى شخصية هذه البطارية العربية! - المحرر



رقم الايداع (623/2018م)